
عبد الله الناجي
شباب
النادي الشبابي
حمامات الدم
في سجن تدمر
مدونة أبو عبدو
أبو عبدو البغل

حمامات الدم

في

سجن تدمر

عبد الله الناجي

كلمة شكر

(ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين).

الحمد لله الذي من علي بالنجاة من أيدي الظالمين بعد سنوات عجاف من العذاب في سجونهم المظلمة، كما أحمده تعالى على إنجاز هذا العمل، كما لا يسعني أيضاً إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لجميع إخواني الذين ساهموا معي سواء الذين شجعوني أو أمدوني بالمعلومات اللازمة والذين ساهموا بكتابة بعض الفصول وإعادة صياغة وتصحيح ما كتبته، والذين قاموا بتصحيح الأخطاء اللغوية والمطبعية، وإذا لمس القارئ مسحة احترافية بالكتابة فالفضل بذلك يعود بعد الله للأخوة الذين أسهموا بذلك.

كما أوجه شكري لإخواني الذين ساهموا بطباعة ونشر الكتاب لهم مني جميعاً جزيل الشكر سائلاً المولى أن يتقبل منهم جهودهم وأ ن يجعلها بميزان حسناتهم يوم الفزع الأكبر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد:

فالذي كتب هذه المذكرات أو الذكريات عن سجن تدمر، بعيد من مهنة الكتابة والتأليف، فلا تزويق ولا تنميق، بل عبارات وجمل تحمل مشاعر وأحاسيس ملتهبة، من خلال سرد وقائع يعجب المرء لوقوعها على أيدي ناس. يزعمون أنهم بشر، لهم رؤوس وأدمغة وأعين وآذان وأرجل وألسن، وما إلى ذلك من شكل البشر، ولكن ... شتان شتان بين ما يفكرون ويخططون وينفذون وبين سائر البشر.

إن إبليس يتعلم من أولئك الطواغيت أساليب الإجرام، وإن بني صهيون، أولئك الذين يعدون في الدرك الأسفل من العطاء الإنساني، هم تلامذة صغار في مدرسة الطائفية الحاقدة على كل ما يمت إلى العروبة والإسلام بصلة ... وما أظن أبالسة بني صهيون يهبطون إلى الدركات التي هبط إليها حافظ أسد وجلاوزته وجلادوه وهراطقته...

وقد عبر مؤلف هذا الكتاب عن هذه الحقيقة المرة بكلمات جاءت عفو الخاطر، ولكنها مشحونة بما لقيته البشرية من ألوان العذاب والاضطهاد عبر القرون، فلا محاكم التفتيش، ولا مجاهل سيبيريا ، ولا جرائم الصهاينة، تعد شيئاً إذا قيست بما يجري في ذلك السجن الرهيب الرعيب القابع في عمق بادية الشام، في تدمر الحمراء الصفراء البتراء...

ولهذا جاءت كلمات المؤلف ذات تأثير من نوع خاص، لأنها محمولة على أجنحة الصدق الصدوق، بعيدة من كل غلو أو مغالاة أو تضخيم، فهو لم يكتب إلا عن بعض ما عانى أو شاهد ولمس أو سمع... فكان ما كتبه هو الصدق الصرف في

التجربة المذبوحة، والمعاناة الملتهبة...

تبت يدا أبي لهب وتب... فقد أودى بحياة الآلاف المؤلفة من صفوة الشعب السوري المجاهد، في أقباء سجونه ومعتقلاته، في تدمر، في المخابرات العسكرية، في معتقلات سرايا الدفاع، في سجون الوحدات الخاصة، في جحيم مخابرات القوى الجوية، في أقباء أمن الدولة، في فرع فلسطين، في الفرع الداخلي، في سجون المخابرات العامة والأمن السياسي، في عشرات السجون التي ابتناها الطائفيون في سائر المدن السورية، لتتسع لعشرات الآلاف من أبناء الشعب السوري المصابر... تبت يدا أبي لهب وتب... فقد سجلنا أكثر من خمسين ألف شهيد في حماة وحلب وحمص ودمشق وتدمر واللاذقية وإدلب وجسر الشغور ودير الزور والرقة والطبقة، وفي كل قرية سورية، فقد عمت المأساة الريف والمدن، ودخلت كل بيت، فرملت ويتمت وأثكلت وروعت، وما تزال تعتقل وتقتل وتروع، إرضاء لبني عمومة أبي الجهالات في تل أبيب وأوكار الماسونية الصهيونية اليهودية الصليبية الطائفية التي تنزّ أحقاداً سوداً على هذه الأمة... أحقادا تاريخية، تمثلت في ما جرى وما يزال يجري في سجن العذاب والموت في تدمر...

لقد توقف الكاتب عند سنة 1984 وقد كانت المجزرة مستمرة، وكانت الكوارث والمآسي التي ينزلها الباطنيون بأسراهم في سجن تدمر خاصة، ما تزال على أشدها... فالبطش والتنكيل وألوان التعذيب ينزلها الباطنيون في كل لحظة، على أحبتنا المؤمنين هناك، وما سمعناه من بعض من أفرج عنهم في هذا العام (1991) يفوق كل تصور، بحيث يجعلني أزعم، أن ما ورد في هذا الكتاب كان- وهو يكتب عن معاناته فيه- يلحظ أعصاب القراء، فلا يريد تحطيم أعصابهم وأعصاب ذوي المعتقلين الذين لا يعرفون عنهم شيئاً منذ اثنتي عشرة سنة... لا يريد تحطيم قرائه بنقل الصور الفاجعة التي عاناها شخصيا، أو رآها تمثل أمامه في أقسى تراجيديا يمكن أن تخطر على بال الأبالسة ... وربما كان يخشى ألا يصدقه الناس فيما يروي، وربما لاعتبارات أخرى لا نعلمها، ولا نرغب في أن نخمنها...

ما جرى وما يزال يجري في سجن تدمر أعصى من أن يحيط به وصف م ن شعر أو نثر، ولقد قرأت كتاب الأستاذ خالد فاضل : (في القاع... سنتان في سجن تدمر العسكري الصحراوي)، ولكن ما سمعته منه، من الأستاذ خالد، كان يفوق كثيراً ما قرأته في كتابه... ومعاناة الذين جاءوا من بعده، كانت أقسى بكثير مما رواه مؤلف هذا الكتاب، ومؤلف (في القاع).

وأخيراً...

لابد لي من توجيه الدعوة إلى كل من كان يموت في ذلك السجن عشرات المرات في ليله ونهاره، إن كان في سجن تدمر نهارات، ثم من الله عليه بالفرج، أن يبادر إلى تسجيل ما مر به من ألوان النكال والعذاب على أيدي القرامطة الجدد، ورّاث الأحقاد التاريخية، وخونة هذه الأمة، من أجل التأريخ لهذه المرحلة العصيبة الدقيقة من حياة الشعب والأرض والوطن، لتكتمل الصورة، بتكامل الشهادات، وليس لأحد عذر في أن يكتم شهادته، مهما تكن ظروفه، إذ لا يمكن لواحد واثنين وعشرة وعشرين ممن كتب الله لهم الحياة وخرجوا من سجن الموت ذاك، أن يفوا الصورة حقها، أو أن يحيطوا بكل ما كان يجري...

لقد كانت المؤامرة على الشعب السوري خاصة، كبيرة ومتشعبة، لأن اليهود ومن يسير في ركابهم وتحت ألويتهم، يعرفون طبيعة هذا الشعب، وجهاده، وبذله وتضحيته، لذلك تآمروا عليه، وأغرقوه في حمامات الدم، وصولاً إلى تهجين ه وتدجينه، وعندها، لم تقوم للعرب قائمة، فالشعب الذي لم يلق السلاح يوماً قد ألقاه، بعدما حكم الطائفيون على كل من توجد لديه قطعة سلاح بالإعدام ...ظنوا أنهم قد دجنوه... وخسئوا... فهذا الشعب الذي يئن تحت وطأة الجزارين الطائفيين، سوف ينتفض من أوباش القرن العشرين ولن يكون مطية لمستعمر أو عميل .. ويسألون : متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً...

أليس الصبح بقريب؟.

عبود بن الشيخ

1992/10/20

مقدمة المؤلف

الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءا واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً).

أما بعد، فلا يخفى على أحد أن عالمنا الإسلامي يواجه أحداثاً يشيب لهولها الولدان، فقد افتتح القرن الحالي (القرن العشرون) بإسقاط الخلافة الإسلامية، ثم توسطته نكبة فلسطين، وأخيرا جاءت مأساة الخليج، وبين كل نكبة وأخرى العديد من النكبات والكوارث في شتى بلاد المسلمين.

وبلاد الشام كنانة الله في أرضه، قد نالت حظاً وافراً من تلك النكبات، فمأساة فلسطين ما تزال قائمة، والجرح اللبناني مازال ينزف، والباطنيون يسيطرون على عاصمة عمر بن عبد العزيز، لقد وصلت تلك العصابة إلى الحكم عام 1963 ومع الأيام كانت تلك العصابة تزداد إجراماً، حتى إذا جاء عام 1979 وجدنا تلك الفئة المارقة تشن حرباً مكشوفة لاستئصال الإسلام وأهله، فما كان من شباب المسلمين إلا

أن يهبوا للدفاع عن دينهم وأعراضهم، فسقط آلاف الشهداء، واعتقلت آلاف أخرى، منهم من قتلهم الظالمون، ومنهم الذين مازالوا يعانون شتى صنوف التعذيب وال قهر في أقباء السجون والمعتقلات الرهيبة.

لقد كنت أحد الذين قدر عليهم أن يتعرضوا للاعتقال في سجن تدمر، ذلك السجن الذي أصبح اسمه مشهوراً رعيباً لما ارتكبت داخل أسواره من مجازر بحق أبناء سورية، ولما تعرض له السجناء من ألوان التعذيب والقهر التي تفوق كل وصف.

لقد قدر الله علي أن أقضي عدة سنوات بذلك المعتقل ثم كتب الله لي السلامة من تلك المحنة إذ خرجت مع من خرج... لقد قررت أن أدون ما رأيته وعايشته مع إخواني في ذلك السجن الرهيب، وأنا به رهين، وعندما خرجت وجدت أن أخواني الذين أخلي سبيلهم قبلي قد قاموا بهذا العمل، لقد اطلعت على كتاب (في القاع) للأخ خالد فاضل وقرأت كتاب (تدمر المجزرة المستمرة) فوجدت أن الكتابين يتضمنان الكثير من المعلومات التي كنت أنوي نشرها، كما وجدت أيضا أنهما يفتقدان معلومات أخرى، إضافة لتحليل وتعليل تلك الأحداث. ومن جهة ثانية، فقد أحببت أن أضيف تجربتي وما تعلمته من تلك المحنة حول أجهزة المخابرات وطريقة عملها، لاعتقادي بأهمية هذا الموضوع لشباب الصحوة الإسلامية، مع تلخيص لبعض الدروس والعبر التي تعلمتها من المحنة.

لقد توخيت الدقة بكل ما كتبته، فلم أدون إلا المعلومات التي تأكدت من صحتها، وعند وجود أي شك بصحة تلك المعلومات فإنني أكتبها بطريقة تتيح للقارئ هامشاً من الشك، وبالنسبة لي فأنا لا أهدف من نشر هذه المعلومات فضح وتعرية ذلك النظام العفن، فهذا أمر مفروغ منه، لأن رائحته النتنة تزكم الأنوف، ويكفينا أن نعرف أن أنصار العدو الصهيوني يبررون جرائم الصهاينة بحق أهلنا داخل الأرض المحتلة وخارجها، من خلال الاستشهاد بجرائم القرامطة الجدد، فكلما وقعوا نتيجة لجريمة ما، فإنهم يبادرون إلى القول: في سورية يحصل كذا وكذا.

وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وُفقت لتوثيق جزء من محنة المسلمين في سورية، وهو ما يتعلق بسجن تدمر، فإن أحسنت فبفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي، وأسأله تعالى العفو المغفرة.

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين). (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الاعتقال

الظلام حالك، الأيام تسير ببطء شديد، لقد تغيرت الدنيا حولنا فالوجوه لم تعد كما كانت بالأمس القريب واختفى معظم الشباب من المساجد كما توقفت الدروس وجلسات العلم، وغاب عدد كبير من الأخوة الذين أعرفهم منذ نعومة أظفاري، استشهد بعضهم في العمليات الاستشهادية، وآخرون فروا بدينهم خارج البلاد، وبعضهم توارى عن الأنظار، وربما التحقوا بالمجاهدين، لأنهم أصبحوا في قائمة

الملاحقين، وقسم كبير آخر يغيب في قاع السجون، لا يعلم أحد بحالهم إلا الله ... لقد تحولت البلاد لسجن كبير، إذ لا يجرؤ أحد أن يزور إخوانه أو الاتصال بهم، فأجهزة الأمن ترصد حركات الناس وسكناتهم، ومن يعلم؟ فلعل المخابرات يحتلون منزل ذلك الأخ الذي يرغب المرء في زيارته فيصطادوا كل من يأتي إليه؟.

وتمر الأيام وكأنها كابوس مخيف يجثم فوق صدور الناس، يا الله !! لقد طال ليل الظالمين، وادلهمّ الخطب، فعلميات الاعتقال شملت القاصي والداني، من له علاقة بالمجاهدين ومن ليس له علاقة، فالسلطة الباغية تأخذ الناس بالشبهات، ومن يعتقل لا يعلم أحد إلا الله بمصيره، دوريات المخابرات الراجلة والمحمولة موجودة في كل مكان، والحواجز الثابتة والطيارة تحيط المدن، وتنتشر بداخلها، الناس يعيشون بهاجس دائم، فشبح المخابرات، والاعتقال، وأعمال القتل، والمداهمات تسيطر على الجميع.

وسط هذا الجو المشحون بالخوف و الرعب يفكر الإنسان فلا يرى طريقاً للخلاص إلا الفرار بدينه أو الالتحاق بالمجاهدين، حتى لا يقع رخيصاً بأيدي الظالمين كنت مثل غيري من الناس أعيش بوساوس وهواجس لا تفارقني في ليل أو نهار وأدعوا الله وأرجوه أن يعمي أبصار الظالمين عنا فلا ينالنا منهم شر . ولكن لا أحد يعلم ما تخبئه الأقدار وماذا ينتظرنا في مستقبل الأيام . **(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري بأي أرض تموت)**، وفجأة وقع المحذور عندما جاءت دورية المخابرات لمنزلنا قبل آذان الفجر، واقتحموا المنزل دون أي إنذار، فلم أجدهم إلا فوق رأسي، لقد اندفع أولئك الأوغاد داخل البيت، وباشروا بالتفتيش، استيقظت من نومي، فطلبوا مني رفع يدي مستسلماً، ثم فتشوا جميع الغرف جيدا، لعلهم يعثرون على كنز ثمين، لكن الله سلم لقد كنت في غاية الحذر؛ فقد عمدت إلى إتلاف كل ما من شأنه أن يجر علينا أو على غيرنا البلاء، وأخفيت جميع كتبي الإسلا مية، كما أتلفت جميع الرسائل والصور وبطاقات التهاني، وأخفيت أشرطة التسجيل المتعلقة بالمجاهدين، ولم أترك أي شيء يثير الشبهة، أو يمكن أن يكون ممسكاً له دلالته عند

أجهزة القمع.

بعد أن أنهوا التفتيش، طلبوا مني الخروج، وهكذا قادوني معهم . في هذه الأثناء أخذت تدور برأسي الكثير من الأفكار المختلفة والمتناقضة، وعبثاً حاولت إقناع نفسي أن فترة الاعتقال لن تدوم طويلا، ربما عدة أيام أعود بعدها إلى البيت، كما حصل مع بعض الناس. أليس كذلك؟ فأنا لا علاقة لي بالمجاهدين، وربما كان الأمر لا يعدو كونه تقريرا لأحد المخبرين. نعم إذا كان همّ السلطة اعتقال الناس كيفما اتفق، فالشوارع مليئة بالناس... ألا يستطيعون أن يفعلوا ذلك؟ ماذا يستفيدون لو فعلوه؟ وأخيرا سلمت أمري لله، وباشرت بقراءتي سورتي يس والواقعة، وتوجهت إلى الله بالدعاء، سائلاً إياه السلامة.

لقد أجلستُ بمقعد السيارة الخلفي، وجلس عن يميني ويساري اثنان من عناصر المخابرات، يحملان بنادقهما بينما جلس بالمقعد الأمامي السائق مع رئيس الدورية، وانطلقت سيارتنا بالمقدمة، ترافقها سيارة جيب، تحمل خمسة عناصر آخرين تمنيت أن تطول الرحلة فلا نصل إلى فرع المخابرات، أو نصطدم بسيارة أخرى فيموت الجميع، ولكن هيهات؟؟ هيهات؟؟

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

هاهي ذي القافلة تصل إلى فرع المخابرات الذي طالما سمعنا به والذي بات اسمه يثير الرعب والخوف في نفوس الناس، فكيف بمن يدخل ذلك المكان اللعين كمعتقل؟ عند ذلك توجهت إلى الله بالدعاء: (اللهم إني أعوذ بك من شر هذا المكان وشر ما فيه ومن فيه).

التحقيق

وصلت القافلة إلى فرع المخابرات الذي أحيط من جميع جوانبه بالحراسة المشددة، وأقيمت المتاريس والحواجز الإسمنتية، وتحصن الجنود خلف أكياس الرمل، وكأنهم في خط الدفاع الأول في الجبهة: نعم، لقد أصبحت الجبهة بالنسبة للنظام هذه الأيام هنا داخل البلاد وأصبح الشعب عدوا لذلك النظام، وما على السلطة الباغية إلا أن تعد للأمر عدته.

دخلت القافلة ذلك المكان المشؤوم، وهناك وقعت الطامة الكبرى، إذ ما إن نزلت السيارة حتى انهالت علي اللكمات، وأصبت بالذهول لهول المفاجأة، وطلبوا مني الوقوف جانبا متوجها للحائط . في هذه الأثناء، جاءني أحد العناصر يفتشني، متحسسا أماكن الجيوب... لقد سالت الدماء من أنفي وأسناني نتيجة الضرب، ومن الغرفة المجاورة كنت أسمع صوت أحد المعتقلين يصرخ ويستغيث من شدة التعذيب، بقيت على هذه الحالة مدة من الزمن، واقترب مني أحد الضباط، وسألني عن اسمي قائلا: (شو اسمك ولك حقير) فأعطيته اسمي، فنادى عناصره الذين أحضروا الغمامات(1). فوضعوها على عيني وجاءوا بالقيود الحديدية التي قيدوا بها يدي، وأدخلوني لإحدى الغرف وانصرفوا.

أنا الآن في غرفة التحقيق التي طالما سمعنا عنها هناك في الخارج، بادرني المحقق بالسؤال عن اسمي وعنواني ومهنتي وأفراد أسرتي، ثم انتقل بعد ذلك بسرعة سؤالي، فقال لي: (إيه يا فلان أنت إنسان بتفهم وأنت إنسان عاقل ومحترم وأعتقد أنك لن تحيج نفسك للإهانة ولن تحيجنا لتعذيبك).

فأجبته: لما تريد... قال لي: إذا عليك أن تخبرنا عن كل ما تعرفه عن أبي فلان وعلاقتك به، فسألته: من هو ابن فلان، قال لي: يبدو أن المعاملة الحسنة لن تجدي معك، فنادى كلابه، وطلب مني إخراجي من الغرفة قائلاً: خذوه.

لم أسمع أي كلمة أخرى، ولا أعلم إن قد أشار عليهم بشيء آخر . المهم : أمسكني أحدهم من رقبتي، كما تمسك الشاة التي تؤخذ للذبح، وأخرجني لغرفة أخرى في الجهة المقابلة، ورفعوا الغمامات عن وجهي... نظرت حولي ويا لهول ما

رأيت!!! رأيت أحد المعتقلين قد عري من ملابسه ما عدا السروال الداخلي، قد افترش الأرض وجلده متصبغ باللون الأسود، الجروح والقروح ملأت جسمه حتى ظهر العظم من بعض الأماكن، والدم ينزف من جروحه، وربما كان في حالة غيبوبة، ولم يكن يصدر منه أي صوت سوى التنفس. وجلس إلى جانبيه أحد العناصر يدهن له جسمه بقطعة من القطن عليها مادة مطهرة.

دخل الغرفة أحدهم، ويبدو أنه ضابط، فقال لي: انظر... ستصبح مثله إذا لم تعترف بالتي هي أحسن، فالأفضل لك أن تعترف، حتى لا ترى مالا تتوقعه، ولم تسمعه، ثم تعترف بعد ذلك بالقوة. وتابع بلهجة أقل حدة: لقد جئنا بك إلى هنا كي نسألك بضعة أسئلة، فإن أجبتنا فسنخلي سبيلك حالا، هي ربع ساعة أو نصف ساعة وتكون في بيتك. قلت له: كما تريدون.

نظرت إلى الأرض فرأيتها قد امتلأت ببقع الدم، ورأيت السياط من مختلف الأنواع، وأغلبها من الكبلات الكهربائية الغليظة، وقد برزت ضفائر الأسلاك المعدنية من أطرافها، وشاهدت الدولاب والسلم والحبال والخيزرانات وبساط الريح (عرفت اسمه فيما بعد) وغيرها من أدوات التعذيب الهمجية، فقلت في نفسي : لقد وقعت في الفخ. فقرأت قوله تعالى: (**أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة**)، وطلب الضابط من زبانيته أن يدخلوني إلى غرفة التحقيق قائلا لهم : (خذوه لعند سيادة المحقق)(2) فأعادوا وضع الغمامة على عيني وأخرجوني إلى الغرفة المقابلة التي يجلس فيها المحقق، فقال لي: (إيه يا فلان ما رأيك الآن)؟ فقلت له: كما تريد. قال : سوف نرى. ثم أعاد علي السؤال: ما علاقتك بأبي فلان؟ قلت له: عندنا في الحي شخص اسمه أبو فلان. سألني: من هو؟ قلت له: اسمه فلان الفلاني، أجابني ليس هو المطلوب قلت له: لا أذكر اسم شخص آخر اسمه هكذا ... فقال لي: سوف نريحك، إننا نسألك عن فلان الفلاني الذي يعمل (.....) قلت له: أعرفه، قال لي : عليك أن تشرح لنا ما هي علاقتك به، منذ أن تعرفت عليه حتى اليوم . فأجبته: إنه جاري في الحي، وأشاهده كل يوم، وهو إنسان حسن السمعة، يعرفه كل سكان الحي عندنا،

وعلاقتي به علاقة جوار، كما هي علاقتي بجميع سكان منطقتنا . فلم تعجبه الإجابة، قال لي: لا تتعب نفسك، ولا تحاول أن تخفي شيئاً، فإن فلان عندنا، وقد اعترف بكل شيء. هنا أخذت أتساءل: هل صحيح ما يقوله هذا الشيطان؟ هل الأخ فلان يكذب ويفتري علي كما يدعي هذا الأفاك اللعين؟ قلت له : وماذا اعترف فلان؟ فليس عندي ما أقوله..

قال لي: هل تريد أن تحقق معنا أم نحن الذين نحقق معك؟ وتابع يقول : يبدو أن (الآدمية لا تجدي معك)(3) فنادى زبانيته وقال لهم: خذوه فاجلدوه ... عند ذلك انقض علي الجلادون، ونزعوا ملابسي كلها، باستثناء السروال الداخلي، ووضعوني في الدولاب، وهو الإطار المطاطي الخارجي لدولاب السيارة، فحصروا جسمي فيه، ورفعوا رجلي للأعلى، ثم انهالوا علي بالضرب المبرح فرحت أصرخ، وأستغيث، والجلادون يرددون (بدك تعترف يا كلب) فقلت لهم: سأعترف بكل شيء أعرفه ... فأخرجوني من الدولاب، وأدخلوني غرفة المحقق الذي أعاد السؤال، ورحت أتساءل : هل صحيح ما يقوله هذا اللعين من أن فلان قد اعترف علي؟؟ فالأمر لا يعدو كونه أحد احتمالين:

الأول : أن الأخ قد اعتقل وتحت التعذيب تعرّض لأسمي بأنه يعرفني أو أنه ألصق بي تهمة وهذا ما كنت أسمعه من الناس .

وأما الاحتمال الثاني : وهو الأرجح ، فهو أن الأخ فلان لم يعترف علي بأي شيء ، وأن المحقق قد حصل على تقرير من أحد المخبرين يتهمني فيه بمعرفتي لهذا الأخ ، فربما كان لي صلة تنظيمية به ، وأعرف عنه بعض المعلومات المهمة .

الوقت لا يساعد على التفكير وإجراء المحاكمات العقلية والتحليل والتركيب والاستقراء والاستنتاج ، فلابد للمرء أن يجهز نفسه لغرفة التحقيق قبل دخوله تلك الغرفة الجهنمية ، وعدت بذاكرتي لأقنع نفسي من جديد ، لمعرفتي مدى صلابة وشجاعة الأخ المذكور ، فهو لا يمكن أن يفتري علي كما يدعي هذا اللعين ، إذ ن فالقضية شبهة ، ولا تعدو أن تكون تقريرا لأحد كلاب السلطة ، فليس أمامي سوى

الصبر وتحمل التعذيب ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ، فإما أن يتوقف التعذيب ، بعد أن يقتنع المحقق بأنني لا أعرف شيئا ، أو أن أرزق الشهادة ، وفي كلتا الحالتين (فرج من الله) . نعم ليس لدى المحقق أية معلومات عني ، وعليّ أن لا أفيدهم بشيء، وأخيرا طلب المحقق من زبانيته إعادتي لغرفة التعذيب، وعاد الجلادون لضربي، حتى تورمت قدماي ، فطلبت منهم إعادتي للمحقق، ولكن دون جدوى . وبعد فترة قصيرة، جاء أحد الزبانية وفك القيود عن يديّ، وطلب مني أن ألبس ثيابي، وأمسكني من يدي وأنزلني درجا طويلا، وأدخلني إحدى الزنزانات المنفردة ، وبعد أن نلت نصيبي من الركل واللكم والشتائم . وبعد مدة قصيرة، جاء أحد الجلادين ، وأخرجني من زنزانتي، فارتعدت أوصالي، وقلت في نفسي : لقد أخرجت للتحقيق أي (للتعذيب) ولكن خاب ظني هذه المرة .

فقد أخرجت لغرفة صغيرة يجلس فيها أحد الجلادين الذي سألني عن اسمي وعنواني وبقية المعلومات الشخصية ، وأحضر مظروفا كتب عليه اسمي وعنواني وتاريخ الاعتقال ، ووضع بداخله أغراضي ، وقال لي : إن أغراضك أمانة عندنا (وكأن القوم يعرفون معنى الأمانة) ويمكنك أخذها عندما تخرج من هنا إلى مكان آخر، وسجل قائمة بتلك الأغراض، وطلب مني التوقيع عليها، ثم أعادوني لزنزانتي، كانت بطول 180 سم أو أكثر قليلا، وعرض متر ونصف، وارتفاع حوالي 3 أمتار، وعلى أحد جدرانها مصباح كهربائي محاط بأسلاك معدنية غليظة، كما تحوي على فتحة مرتبطة بجهاز التهوية المركزي، تصدر منها ضوضاء مستمرة، أما بابها فحديدي يحتوي على فتحة صغيرة بقسمه العلوي مربعة الشكل طولها حوالي 30 سم، ولها باب يمكن فتحه وإغلاقه نحو الخارج، يسمونها (الشرّاقة)، ولا يوجد فيها مرحاض ولاصنبور ماء إنما يخرج المعتقلون كل يوم مرتين أو ثلاثة فقط لقضاء الحاجة ، وجلب المياه ، وينالون حظهم من الضرب والتعذيب والتحقير . أما محتويات الزنزانة فهي ثلاث بطانيات مع صحنين بلاستيك يستخدمان للطعام والماء وربما لقضاء الحاجة أيضا، كما حصل مع البعض .

الساعات تمر ببطىء متثاقل، تراودني فيها الكثير من الأمور المرعبة، وكلما سمعت صوتا أو حركة تدل على فتح إحدى الزنزانات المجاورة، سيطر عليّ الرعب، وتسارعت دقات القلب والتنفس، وسمعت قرقرة الأمعاء، وربما شعرت بالحاجة إلى للخروج إلي بيت الخلاء (ولكن لم أجرؤ على طلب ذلك منهم) وتوجهت إلى الله بالدعاء : أن يردّ عني كيد الظالمين وأذاهم، وتسلحت بسور القرآن التي أحفظها، أرددها وأعيدها طوال الوقت. لقد أنهكني التعب والجوع، لأنني لم أتناول طعاما قط .. الساعة الآن تقترب من الثانية بعد الظهر، عندما بدأ الجلادون بتوزيع الطعام للمعتقلين، وكنت من بعيد أسمع أصواتهم يسألون نزلاء الزنازين المجاورة عن عددهم، فيجيبونهم (خمسة وخمسون، سبعة وعشرون وهكذا) فعلمت بوجود الزنزانات الجماعية في هذا المكان اللعين، وعرفت أنه يضم عددا كبيرا من المعتقلين، فسألت الله الفرج للجميع .

وصل الجلادون للزنازين الانفرادية ، وباشروا توزيع الطعام على نزلا ئها، حتى وصلوا إلى زنزانتي وطلبوا مني أن أخرج لهم الصحون، فوضعوا فيها الطعام، وأعطوني رغيفين من الخبز، ثم انصرفوا فأكلت وحمدت الله على كل حال، وسألته السلامة والعافية، وأن يلهمني الصبر والثبات في محنتي . نظرت إلى جدران الزنزانة فوجدت عبارة كتب صاحبها فيها : القبلة لهذا الاتجاه فسررت بهما أي سرور، وعدت أتذكر محنتي والتحقيق وما يعده لي هذا المجرم من شباك وخداع ليوقعني فيها، فعزمت على الاستمرار بنفس الاعترافات السابقة، دون زيادة أو نقصان، والخير فيما اختاره الله.

بعد الطعام بفترة قصيرة أخرجوني لقضاء الحاجة فتو ضأت وصليت الظهر والعصر، ودعوت الله بما تيسر لي من الدعاء، وقرأت بعض السور التي أحفظها ... وفي المساء، فتح أحد الحراس الشراقة، وسألني عن اسمي، فقد كان يحمل بيده ورقة صغيرة كتب عليها اسمي، فنادى السجان المناوب (وهو ضابط صف) فجاءه بمفتاح، وفتح باب الزنزانة، فخرجت منها، وهنا لا أستطيع وصف مشاعري... لقد سيطر

علي الرعب، واضطربت، فطلبت منهم أن يسمحوا لي بدخول دورة المياه فرفضوا، ووضعوا العصابة على عيني، وأمسكني أحدهم من رقبتي، وسار بي حتى وصلنا إلى الدرج فأخذ يقول لي: (اصعد) كلما وصلنا إلى درجة جديدة، حتى وصلنا إلى غرفة المحقق.

أدخلني السجان وانصرف... وها أنذا أقف أمام ذلك اللعين الذي أصبح صوته المنكر معروفاً لديّ (**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**)، أعاد علي كلامه السابق : فسألته: وبماذا تريد مني أن أعترف؟ فرد علي: إن الطريق أمامك طويل، وعليك أن تقول لي: متى تعرفت على فلان؟ ومن الذي عرّفك عليه؟وما اسم الأشخاص الذين عرّفك عليهم؟ وأين؟ وأسماء أفراد مجموعتك بالتنظيم؟ وما هي المهمات التنظيمية التي قمت بها؟ وأسماء الأشخاص الذين تعرفهم بالتنظيم؟ وتابع يقول : لك أن تبدأ بالإجابة حيث تشاء (فحرية الرأي مصونة عند القوم !!!!). ولا تظن أننا سنتركك بسهولة، ومازال الطريق أمامك طويلاً، وسوف تتحمل من التعذيب أكثر مما تتصور، وما تعرضت له حتى الآن ليس إلا دغدغة ومزحاً، أمامك الآن خياران : إما أن تعترف وإما أن تموت هنا يا (.....). فقلت له: لا علاقة لي بالتنظيم ولا أعرف شيئا عن هذه الأسئلة.

أعاد علي نفس الصيغة قائلاً: لا تحاول التملص فلان قد اعترف بكل شيء، وعليك أن تعترف. أجبته: إن فلان قد اعترف على نفسه وإن ذكر عني شيئا فأنا على استعداد لتكذيبه أمامك. عاد ليقول لي: هل تريد أن تحقق معنا أم نحن نحقق معك؟ يبدو أنك لا تريد أن تفهم، ويبدو أن العقل الر حماني لم يأتك بعد (وكأنهم يعرفون الرحمن).

ونادى زبانيته ليستأنفوا التعذيب بنفس الطريقة السابقة واستمروا بتعذيبي فترة من الزمن دخل المحقق بعدها لغرفة التعذيب، وتناول السوط بيده، وأخذ يضربني ويسألني.. فرحت في البداية عند دخوله، ظناً مني أنني أمام ضابط كبير، أي أمام إنسان عاقل، ربما يجدي معه العقل والمنطق والحجج، ولكن سرعان ما خاب ظني

حين وجدته أسوأ من كلابه، فهو يستعمل أقذر الألفاظ والشتائم الموجودة بقاموسهم الهابط، والتي يعف اللسان عن ذكرها فضلا عن القلم. بعدها باشروا تعذيبي باستعمال الكهرباء فربطوا قطبي المولد بالإبهامين، وكنت أسمع صرير المولد وهو يديره بيده ورحت أرتجف وأصرخ وأستغيث، فانهالوا علي بالسياط، وراحوا يضربوني على ظهري كنت عارياً من جميع الملابس، باستثناء السروال، واستمروا على هذه الحال حتى منتصف الليل، ولكن الله سلم. طلب المحقق إحضار الطبيب الذي أجرى لي فحصاً عادياً، إذ قام بقياس الضغط، وأصغى لدقات القلب، وعد النبضات، فقال لهم : إن حالته أصبحت سيئة، وليس بالإمكان أن يتحمل أكثر من ذلك، فتوقفوا عن تعذيبي.

كنت أعلم أن القوم لم يفعلوا ذلك حرصاً منهم على سلامتي، فسلامة المعتقل وحياته لا تساوي عندهم شيئاً ، ولكنهم كانوا يظنون أنني أحمل معلومات هامة، وعليهم الحصول عليها بأي طريقة، وإن موتي أو إصابتي بعاهة قد تحول دون حصولهم على تلك المعلومات القيمة، وعرفت ذلك لاحقاً **(ألا ساء ما يحكمون)**.

طلب المحقق من زبانيته إعادتي للزنزانة قائلا لي : (لنا معك حساب طويل، ولن تخرج من هنا إلا إلى المقبرة يا كلب إذا لم تعترف).

عدت إلى الزنزانة وقد أرهقني التعذيب، ولكن ما أزال أتمالك قواي العقلية، فرحت أفكر بحصيلة ذلك اليوم، فحمدت الله الذي ألهمني الثبات، فلم أتكلم بأي كلمة تكون ممسكاً أو طرف خيط لها ما بعدها ورددت ما أحفظه من كتا ب الله، والتجأت إليه بالدعاء راجياً إياه أن يكف عني كيدهم وظلمهم، ويعينني على محنتي، ويرزقني الصبر والثبات وهكذا أعانني الله على قضاء تلك الليلة.

بزغت شمس يوم جديد بعيداً عنا في العالم الخارجي... أحضر الجلادون طعام الإفطار وكان قليلاً من الحلاوة مع وقطعة جبن مثلثة (لافاشكيري) مع كمية من الشاي، بعد الإفطار طلبوا مني الخروج لبيت الخلاء، ليأتي بعدها دور التحقيق .

وفتحت زنزانتي، وحضر شخص يحمل الغمامة (والأصفاد) وكالعادة، وضعت الغمامة مع القيود، وساقوني إلى الطابق العلوي، بعدما نلت قسطا من الشتائم

والإهانات والركل واللطم، وأسهل بها، مقارنة مع الذي واجهته في ذلك اليوم من تعذيب، ترك آثاراً لا تحصى على جميع أنحاء جسمي، وحفر آثاراً بذاكرتي بل وشخصيتي والتي ستبقى ملازمة لي مدى الحياة . إذ أدخلوني غرفة المحقق الذي بادرني بالسؤال: هل جاءك العقل الرحماني أم مازال الشيطان لابسك؟ فأجبته : لقد جاءني العقل الرحماني. قال لي: (احك لنا ماذا تعرف) قلت له: لا أعرف شيئاً. قال لي: إن تعترف نساعدك. أجبته: وبماذا أعترف؟ قال لي : سنسألك شيئاً آخر . فسألني: ماذا تعرف عن فلان؟ وما هي الأحاديث التي كان يتكلم بها بين الناس؟ وما هي الأحاديث التي فاتحك بها؟ ومتى التقيت به آخر مرة؟ وأين؟ ومن هم الأشخاص الذين يترددون عليه؟ وماذا تعرف عن انتماءاته الدينية والسياسية والاجتماعية؟ فأجبته : أعرف أنه إنسان عادي يسكن عندنا بالحي، وجميع أهل الحي عندنا يعرفون بعضهم بعضاً بحكم الجوار، وسمعته طيبة بين الناس، وأما الأحاديث التي كان يفاتح بها الناس، فإنه كان يحثهم على الصلاة دائما . فلم تعجبه الإجابة، كنت أعرف مقصده تماماً، فهو يريد مني أن أقول : إن صاحبي من الإخوان المسلمين، ليقول لي : وكيف عرفت ذلك؟ وإذن أنت منهم؟ عند ذلك يدخل التحقيق مرحلة جديدة، لأنهم عثروا (على طرف خيط) ولكن الله خيب آمالهم.

طلب من زبانيته أن يأخذوني للتعذيب، وقال لهم بالحرف الواحد : خذوه اسلخوه لهذا (ال ع ر ص). هنا ساقني الجلادون وجروني على الأرض ونزعوا مني ملابسي، وأعادوا وضع القيود بيدي، ثم انهالوا عليَّ ضرباً بالكبلات الكهربائية كيفما اتفق وعلى جميع أنحاء جسمي من قمة رأسي حتى أخمص قدمي فأخذت أصرخ وأستغيث قالوا لي : (بدك تعترف يا....) فقلت لهم سأعترف بكل شيء .. سحبوني لغرفة المحقق بعد أن أصبحت عاجزاً عن الوقوف والمشي، سألني ما تقول الآن؟ فأجبته: كما تريد، اكتب ما تشاء وأنا على استعداد لأوقع . فقال: لا أريد منك شيئا سوى أن تقول لي ماذا تعرف، فنحن لا نتهمك بأي تهمة، فنحن نعرف الذين ضربوا وقتلوا وفعلوا، ولكننا نريد منك أن تساعدنا بما تعرفه من معلومات، فإذا قلت لنا الذي

تعرفه فإننا سنخلي سبيلك، فنحن نعرف أنك إنسان آدمي وبريء ولا غبار عليك، فلماذا تتعب نفسك وتتعبنا معك؟ قل ما تعرف وخلصنا وخلص حالك .. قلت له: من أين آتيك بالمعلومات التي تريدها؟ لقد قلت لك على كل ما أعرف ... صرخ بوجهي: يا... يبدو أنك لا تريد أن تفهم بالتي هي أحسن . ونادى كلابه الذين أمسكوا بيدي، وسحبوني على الأرض، وأدخلوني غرفة التعذيب، وانهالوا علي ضرباً مبرحاً حتى أشرفت على الموت، ولم أعد أقدر على الصراخ عند ذلك دخل المحقق وأمرهم بوقف التعذيب، فتركني الجلادون بعد أن أصبت بجراح كثيرة، ثم انصرف المحقق وحضر بعد ذلك أحد العناصر، وربما كان ممرضاً ومعاه قطنة تحوي مادة مطهرة، وراح يدهن الجروح، وما أكثرها، بعدها دخل المحقق ثانية وحاول هذه المرة أن يتكلم معي بلطافة قائلاً لي: لماذا أحجت نفسك لهذا التعذيب والإهانة، كل ما نحتاجه منك بعض كلمات تعود بعدها إلى بيتك وأهلك، فلماذا تعرض نفسك للتعذيب؟ وتابع يقول : نحن لسنا جلادين، والضرب والإهانة ليست هدفنا، وإن هدفنا هو حفظ الأمن في البلاد وحماية أرواح المواطنين، وأنت ترى الأعمال التي تقوم بها عصابة الإخوان المسلمين، وعلى كل مواطن يعرف أي شيء مساعدتنا في القضاء على المجرمين، وإلا فإنه متعاون معهم . وتابع محاضرته بتلك العبارات والمزايدات التي تثير الغثيان والاشمئزاز، وانتقل بحديثه إلى السادات وكامب ديفيد وإسرائيل وأمريكا وتآمرهم على جبهة الصمود والتصدي وسورية !!! والهجمة الإمبريالية الشرسة، وأخيرا قال لي: عليك أن تتعاون معنا، وتساعدنا . قلت له: ومن أين آتيك بالمعلومات؟ هل تريد مني أن أفتري على نفسي وعلى غيري؟ قال: لا!! فقط نريد منك أن تقول لنا ما تعرف، وبعدها نطلق سراحك. حاول أن يتظاهر باللين عندما طلب من الممرض أن يدهن لي الجروح، وأن يعطيني الأدوية اللازمة، ففعل ذلك .. طلبت منهم الماء مرتين فأحضروه لي فشربت . تركوني فترة داخل غرفة التعذيب وحيدا أفترش الأرض، ثم جاء أحد الحراس، وفك قيودي والغمامات، وطلب مني أن ألبس ثيابي، فلبست بنطالي، ولم أتمكن من لبس القمصان (الداخلي والخارجي) وأعادوني إلى زنزانتي .

هناك وجدت طعام الغداء قد تم توزيعه فلم أتمكن من أكل شيء . حالتي يرثى لها، لا يخلو مكان في جسمي من الأذى من رأسي حتى أسفل قدمي وما تزال علامات ذلك اليوم واضحة على جسمي حتى كتابة هذا الكلام، وفقدت حدة النظر من إحدى عيني، وقدماي متورمتان، لا أقوى على الوقوف والنوم، والألم موجود في كل مكان، والجلد متهتك، والدماء تلطخ جسدي، وظهري متسلخ ... في المساء جاء السجان، طلب مني الخروج لقضاء الحاجة، فقلت له: لا أستطيع... قال لي: لن تخرج بعد الآن، وستبقى حتى صباح الغد. وقلت له: وماذا أفعل؟ فأنا لا أقوى على المشي . قال لي (تصطفل)(4) وانصرف.

لقد انتهت المرحلة الأولى من التحقيق المسمى مرحلة انتزاع الاعترافات وبعدها دخلت مرحلة جديدة هي تثبيت الاعترافات، جاء أحد السجانين في اليوم الثاني وأعطاني عدة أوراق وقلما وطلب مني الكتابة فسألته : وماذا أكتب ؟ فأجابني : (اكتب من أجل ماذا جئت إلى هنا) فرددت عليه: ولماذا؟ فعقب: هذا يفيدك ومن أجل مساعدتك!!! فكتبت معلومات مختلفة وركزت خلال كتابتي على أن فلان قد افترى علي، وأنا بريء من أية تهمة...

في اليوم التالي عاد إلي السجان ومعه عدة أوراق وقلم، وقد وضعت على إحدى الأوراق مجموعة أسئلة طالبين مني أن أتكلم عن علاقتي بـــــ ... متى وأين تعرفت عليه؟ ومن هم الأشخاص الذين عرفك عليهم؟ وماذا كان يتكلم معك ومع الناس؟ ومتى التقيت به آخر مرة؟ فأجبت على الأسئلة، وفي مساء ذلك اليوم استدعيت للتحقيق، فارتعدت أوصالي، ورحت أدعو الله بالسلامة، وقفز قلبي إلى حنجرتي هلعاً بما لقيته وألاقيه، دخلت غرفة التحقيق فإذا بي أمام ذلك اللعين ثانية (طبعا كنت مغمض العينيين فعرفته من صوته) قال لي: يبدو أنك لم تفهم حتى الآن بأننا أتينا بك إلى هنا من أجل فلان: وعليك أن تقول لنا كل شيء عنه، أجبته : كما تريد. ثم أمر زبانيته بإعادتي إلى الزنزانة . لم أتعرض لأي ضرب، فحمدت الله، وعلمت أن المحقق قد هزم في الجولة الأولى، وسألت الله الثبات حتى النهاية، وكانت

هذه آخر مرة ألتقي بها بذلك الزنيم إذ تولى التحقيق بعد ذلك أشخاص آخرون (لا أعرف أسماؤهم).

استمر التحقيق على هذه الشاكلة أي الكتابة ثم الخروج للإجابة على الأسئلة حوالي ثلاثة أسابيع، وبعدها دعيت للإفادة النهائية، عندما أدخلت غرفة التحقيق، فتولاه شخص جديد لم أسمع صوته سابقا، كان يسألني ويصوغ إجاباتي لكاتبه الخاص، كانت الغرفة تحوي عدة أشخاص، تركوني واقفاً طوال مدة التحقيق، وأما الأسئلة التي وجهت إلي، فهي تثير السخرية، كسؤاله إياي عن اسمي وعنواني وأسماء أفراد عائلتي ومهنتي الخ... بعد ذلك باشر بالأسئلة الآتية:

- من تعرف من الإخوان المسلمين؟

قلت له: أعرف الأشخاص الذين أذيعت أسماؤهم بوسائل الإعلام.

- من تعرف غيرهم؟

لا أحد فهم تنظيم سري وليس بإمكان أي إنسان أن يعرف عنهم شيئاً.

- هل فاتحك أحد بالتنظيم في جماعة الإخوان المسلمين؟

فأجبته بالنفي.

- هل أعطاك أحد شيئاً من منشوراتهم؟

لا.

- ما هي الأحزاب والنوادي والجماعات والاتحادات والهيئات التي انتسبت إليها؟

لاشيء.

- من هم أصدقاؤك، ومتى تعرفت عليهم، وما هي انتماءاتهم السياسية؟

ذكرت له أسماء بعض أصدقائي... بالطبع ليس لهم أي انتماء.

- هل قرأت منشورات للإخوان المسلمين؟

لا.

- ماذا تعرف عن تنظيم الإخوان المسلمين؟

ما سمعتُ من وسائل الإعلام.

- ما رأيك الشخصي بتنظيم الإخوان المسلمين؟

كما نسمع عنهم من الراديو ووسائل الإعلام بأنهم يقتلون الأبرياء فهم عصابة قتلة ومجرمين.

ثم انتقلوا بعد ذلك لسؤالي عن الشخص الذي اعتقلت من أجله، وهنا خرج المحقق عن طوره وبدأ يهددني: إذا لم تقل الحقيقة فالدولاب جاهز، وسنسجنك عشر سنوات، فالأفضل لك قول الحقيقة. قلت كما تريدون.

- متى تعرفت على فلان؟

منذ كذا مدة.

- ما هي علاقتك به؟

علاقة جوار. (لم تعجبه الإجابة فهددني).

لاشيء آخر عندي، إذا كان فلان يفتري علي، فأنا على استعداد لمقابلته، وعلى أي حال فهو عندكم ويمكنكم أن تتأكدوا من ذلك.

عاد وسأل: ما هي الأحاديث التي كان يتكلم بها بين الناس؟

- كان يتكلم دائما عن الصلاة.

-ماذا تعرف عن انتمائه السياسي؟

فسألته: الآن هنا أم قبل أن آتي إلى هنا؟

قال لي: (لما كنت بره من زمان)(5).

قلت: أعرف أنه إنسان (كويس وآدمي) سمعته طيبة في الحي، وهو إنسان متدين، وهذا أمر يعرفه عنه جميع سكان الحي.

أخذ يسألني عن بعض الأسماء، لكني لم أعرف أكثر الأسماء التي سئلت عنها، فأجبته بالنفي. وهكذا انتهى التحقيق.

ظننت أنهم سيخلون سبيلي عما قريب، فلاشيء يستدعي الاعتقال. وقّعت على محضر التحقيق، وأعادوني إلى الزنزانة.

من الأحداث الغريبة التي مازلت أذكرها أثناء وجودي بالزنزانة الانفرادية بعد أن نلت قسطاً وافياً من التعذيب أصبت بعدم القدرة على التركيز فقد نمت ذات يوم فترة قصيرة وعندما استيقظت ظننت أن الوقت قد صار متأخراً أي قرب منتصف الليل وبالطبع فإن المرء لا يستطيع أن يميز الليل من النهار أثناء وجوده في أقباء المخابرات فجميع فروعها تتصف بنفس التصميم فالسجن يكون في الطابق السفلي تحت الأرض وأما بقية الطوابق فهي عبارة عن غرف ومكاتب للضباط وباقي الموظفين العاملين بالفرع. بالتالي فإن نزلاء تلك الكهوف المظلمة لا يختلفون عن سكان القبور.

بعد استيقاظي تيممت وصليت الظهر والعصر والمغرب والعشاء، عندها بدأ الجلادون بتوزيع طعام الغداء فعرفت عندها أن الوقت ظهر هكذا كنت أشعر أن الساعات تمر ببطء شديد حتى يخيل إلي أن الساعة تعادل نهاراً كاملاً.

في الزنزانة الجماعية

بعد ذلك أخرجوني من الانفرادية إلى إحدى الزنزانات الجماعية وهي عبارة عن غرفة مساحتها 61 متراً تقريباً ويحتجز بها حوالي 25 سجيناً من مختلف الأعمار ومختلف الفئات السياسية، وإن كان أكثرهم من الإسلاميين . لا تحوي صنابير م اء أو مراحيض، إنما كنا نعامل بنفس الطريقة الانفرادية، فكانوا يخرجوننا مرتين أو ثلاثاً لقضاء الحاجة. لقد فاحت منا الروائح الكريهة المتعفنة، لأننا لم نستحم طوال هذه المدة، ولم نعرف النظافة، ولا أشعة الشمس أيضا . لقد اغتنمت مرة فرصة خروجنا لدورات المياه، فخلعت ملابسي، وصببت الماء البارد فوق جسمي، وعندما خرجت،

كان أحد الجلادين في انتظاري، فانهال علي ضرباً بالسلك الكهربائي الغليظ، موقعا بي أشد الألم. وقال لي: يا (...) تريد التكلم مع السجناء الآخرين؟ لقد كان ذلك حجة تذرع بها لإهانتي وضربي وما أكثر تلك الفصول.

قضيت مدة في العذاب بالزنزانة الجماعية، عانيت خلالها من الآلام بسبب تقيح الجروح والتهاباتها نتيجة الإهمال والقذارة، فكنت لا أستطيع النوم نتيجة الازدحام، حتى دعوت الله أن يفرج عني، سواء من المعتقل أو إلى سجن آخر، عسى أن يكون أريح من هذا المكان.

وأخيراً نقلنا إلى سجن تدمر، لنتحسر على الأيام التي قضيناها بفرع المخابرات، رغم ما فيها من أهوال ومشقات، وأخذت أدعو الله بهذا الدعاء (اللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير، اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه) فالأمور نسبية، ومهما تكن المحنة قاسية، فإن هناك ما هو أشد وأنكى.

قبل أن أنتقل للحديث عن سجن تدمر، لابد لي أن أتحدث قليلاً عن التحقيق وأساليب المحققين للإيقاع بالمعتقل، ثم طرق التعذيب المتبعة، ليعرفها شباب الصحوة الإسلامية . لقد بين لنا القرآن أهمية معرفة أساليب الأعداء . إذ يقول تعالى: **(ونفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين)** كما أفاض القرآن بوصف أحوال الكفار على اختلاف مللهم وكذلك المنافقين حتى يكون المسلمون على بينة من ذلك.

ملاحظات هامة حول التحقيق

يتظاهر المحققون عادة بأنهم يعرفون كل شيء عن المعتقل، فهم يحاولون إيهامه بأن جميع أموره باتت معروفة، إلا إذا كان التظاهر بالجهل أكثر فائدة، وهذا قد يحصل في حالات نادرة جدا.

كما يسعى المحققون لتضليل الضحية أثناء التحقيق بشتى الطرق، وحقيقة الأمر أنهم لا يعرفون شيئا في الغالب، وربما عرفوا شيئا يسيراً، أو لديهم بعض

الشكوك، وهذا ما يعرف بالاشتباه.

وفي حالة كون المعتقل مشتبها به، فان الذي ينفي أو يثبت الشبهة، ويقود لمعرفة المزيد من المعلومات عن المعتقل، هي غرفة التحقيق، واعترافات المعتقل هي الفيصل النهائي في هذه الحالة . وقبل أن نمضي بعيد ا في هذا المجال، لابد لنا من ذكر بعض الحالات التي يكون فيها الضحية مشتبها به.

دواعي الشبهة لدى أجهزة الأمن:

1 - معظم تقارير المخبرين حول الأشخاص، والتي ترد لإدارة فرع المخابرات، لأنه في حالات نادرة يفلح المخبر في استدراج الضحية بالكلام، وأحيانا بالحصول على أدلة ملموسة، كالمنشورات أو السلاح أو أن يفاتح الضحية ذلك المخبر بأمر التنظيم، أو يستدرجه للتورط بعمل ما، فيلقي عليه القبض متلبسا بالتهمة.

2 - وجود علاقة قربى أو صداقة بين الشخص المشتبه به، وبين أحد الناس المعروفين بانتماءاتهم السياسية المناوئة للسلطة.

3 - إذا ذكر أحد المعتقلين أثناء التحقيق اسم شخص ما، ونسب إليه أية تهمة، خاصة في حالة عدم وجود صلة تنظيمية بين الشخصين لأن المحققين يوجهون لكل معتقل السؤال التالي : من تعرف من أفراد التنظيم؟ وذلك بعد الانتهاء من الأسئلة المتعلقة به، وعادة يلقي المعتقل التهم جزافا في هذه الحالة، ليتخلص من التعذيب، وهذا أمر يعرفه المحققون، لذلك يعتبر المعتقل في هذه الحالة(مشتبها به). وحتى في حالة وجود صلة تنظيمية بين الشخصين فيمكن للمتهم نفي التهمة، بثباته أمام التعذيب، فاعتراف أحد الأشخاص ليس دليلا قطعيا، إلا إذا تواترت الاعترافات، فان التهمة تصبح مثبتة ولا مجال لإنكارها.

4 - عند العثور على بعض المستمسكات المادية، كوجود المنشورات أو الكتب

الممنوعة عند المتهم، أو وجود المتهم مع أحد الملاحقين، أو وجود صورته مع صور الناس المعروفين بانتماءاتهم السياسية والتنظيمية.

5 - قيام الشخص ببعض الأمور المثيرة للشبهة أثناء الحوادث، كالاشتراك بالمظاهرات، أو الوقوف بمكان يثير الشبهة، أو القيام ببعض ال ممنوعات الأمنية كالتصوير قرب المواقع العسكرية، أو وجود الشخص بمكان حصلت فيه بعض الأعمال المخلة بالأمن كالاغتيالات، وهكذا نرى أن دواعي الشبهة كثيرة، ولذلك لجأت المخابرات أثناء الحوادث، خاصة خلال الأعوام 79-80-81 لاعتقال الناس كيفما اتفق، كاعتقال أحد الناس من الشارع، لكونه ملتحيا أو لمجرد قدومه إلي المسجد، كما حدث ببداية حزيران عام 980 عندما قامت المخابرات العسكرية بمداهمة مساجد دمشق (راجع فصل مداهمة مسجد دمشق).

ولجأت المخابرات والوحدات الخاصة لاعتقال كثير من سكان الحي، ومن يرد إليه، لمجرد وجود قاعدة للمجاهدين في تلك المنطقة، وهذا ما حصل بمدينتي حلب، وحماة، وحتى في دمشق، عندما قامت المخابرات العسكرية بمحاصرة حي القزاز، واعتقال كثير من سكانه، وكل من وصل إليه في صيف عام 1980 وأما المجرم غازي كنعان(6) فأمر زبانيته باعتقال الناس من الشوارع اعتقالاً عشوائياً كل يوم للتحقيق، وتعرض الكثير من سكان حماة للاعتقال والتحقيق في الأعوام الماضية، لذلك، لا مجال لحصر أسباب الشبهة، وما ورد هنا مجرد أمثلة فقط، ولابد للمعتقل من معرفة ظروف اعتقاله، (أي سبب الاعتقال، وماذا يعرف المحقق من أمره ليتمكن من الإجابة على الأسئلة التي تعرض عليه أثناء التحقيق).

كيف يعرف المعتقل دواعي اعتقاله:

قد يصعب ذلك في بعض الأحيان، فأجهزة الأمن تحرص على إخفاء تلك الأمور، وتضليل المعتقل، ليتسنى لهم انتزاع كل المعلومات التي يعرفها، والأمر في

غاية السهولة، إذا كان الشخص لا يعرف شيئاً، ولا يرتبط بأي عمل تنظيمي، فتكون نتيجة التحقيق صفراً. أو يعترف نتيجة التعذيب باعترافات مضللة قد تتمسك بها المخابرات، وقد يعرف المحققون أنها لا أساس لها من الصحة، وإنما كانت نتيجة التعذيب، وقد ترفض الاعترافات عند وجود أدلة مؤكدة بنفيها. أضرب مثلاً لذلك أن أحد السجناء بفرع أمن الدولة بحلب، اعترف أنه نفذ عملية اغتيال لأحد رموز السلطة، وكانت تلك العملية قد نفذت أثناء فترة اعتقاله!!!.

أما في حالة كون المعتقل له علاقة ما، فهذا قد يُصعّب عليه أحياناً معرفة ظروف اعتقاله، خاصة إذا وجد التسيب الأمني والاستهتار ضمن الجماعة.

من صور التسيّب الأمني:

وجود علاقات جانبية بين أفراد الجماعة، بحيث يكون الشخص معروفاً لدى أفراد مجموعات أخرى غير مجموعته، إما بسبب الانتقال من أسرة لأخرى، أو بسبب مشاركة أفراد المجموعات الأخرى، في اجتماعاتهم أو نشاطاتهم المختلفة، أو المشاركة بالمناسبات الاجتماعية والحفلات والرحلات وحضور الدروس العامة .. إلخ..

ومما يزيد الطين بلّة (كما يقال) استعمال الكاميرات وتدوين الأسماء والعناوين، وحصول المراسلات بين أولئك الأشخاص، وتكون الطامة الكبرى إذا كان أولئك الأفراد الذين تعارفوا على بعضهم البعض، يسكنون في مدن بعيدة عن بعضها البعض، ومثل هذه العلاقات الفوضوية تحصل بين طلاب الجامعات أثناء فترة الدراسة، عندما يعتقل أحد الأشخاص في مدينة ما دون أن يعلم معارفه بالمدن الأخرى، ومما يزيد البلاء أو يجعل أو يجعل الكارثة أعظم، أن تتحول الأمور التنظيمية لمسائل عادية يفاتح بها الشخص كل من يعرفهم، ولمجرد ثقته بهم، لاعتقاده أن كونهم من المسلمين يبرر ذلك، فيصبح الشخص في هذه الحالة يعرف من أمور

العمل الإسلامي الكثير من المعلومات، سواء كانت تعنيه أو لا تعنيه ... وربما كانت فضولية بعض الأشخاص تدفعهم لمعرفة المزيد من الأمور، وكلما عرفوا شيئا فتحت لهم أبواب جديدة للتساؤلات عن أمور أخرى وهكذا...

ومن أشكال التسيب الأمني أيضا: ألا يضبط الشخص لسانه، فيتكلم بأسرار العمل الإسلامي هنا وهناك بقصد التفاخر.

ومما يسبب التسيب الأمني. أن يكلف الشخص بمهمات أكبر من قدراته، أو أن يكلف عدد كبير من الأفراد بمهمة يمكن إنجازها بعدد قليل من الناس.

ومن مظاهر التسيب الأمني أيضا أن يعرف الشخص الكثير من المعلومات والأشخاص ضمن الجماعة، خاصة إذا كان ذلك الشخص ممن يتوقع وقوعهم بيد الأعداء، كالملاحقين، أو الذين اعتقلوا سابقا، أو الأشخاص المعروفين لدى العدو بسبب بروزهم بمجال الدعوة أو الكتابة أو الخطابة.

ومن صور التسيب أيضا: عدم المحافظة على أمن الوثائق التي تخص العمل الإسلامي، ومنها أيضاً: علاقات وصلات قوية مع الفوضويين والمشبوهين الحمقى والسذج.

كيف يمكن تحقيق الانضباط الأمني:

1- عدم السماح بوجود علاقات جانبية بين أفراد الجماعة، أي أن تكون العلاقة التنظيمية محدودة، ومنضبطة، وذلك بمنع كل ما يؤدي إلى إيجاد العلاقات الفوضوية، مع توعية أفراد الجماعة بصورة مستمرة لمخاطر السلوك غير المنضبط.

2- أن تكون المعرفة بقدر الحاجة فقط، فلا يعرف الشخص أية معلومات لا تتعلق بمهنته. أي على الشخص ألا يعرف أن أمور الجماعة إلا ما يساعده على أداء عمله، فلا مجال للفوضوية ضمن العمل الإسلامي التنظيمي، آخذين

بهذه القاعدة التنظيمية المهمة جداً : " تُعطى المعلومات حسب الحاجة، وليس حسب الثقة".

3- ضرورة حفظ اللسان أمام جميع الناس، ولو كانوا موثوقين، فقد يتعرضون للاعتقال والتعذيب، أو لا يضبطون ألسنتهم والمثل العربي يقول: من مأمنه يؤتى الحذر... لذا ينبغي الحذر في جميع الأحوال وعدم الركون إلى الاطمئنان.

4- تكليف الأشخاص بمهمات تناسب قدراتهم.

5- إبعاد الأشخاص الفضوليين والفوضويين والحمقى والسذج عن المراكز الحساسة بالعمل الإسلامي التنظيمي، مع تنبيه أفراد الجماعة بالابتعاد عن المشبوهين.

6- المحافظة على أمن الأشخاص، وخاصة الشخصيات القيادية، والرؤوس المدبرة للعمل، مع السعي الدائم لإخفاء تلك الشخصيات، وعدم كشفها، والاكتفاء بكشف بعض الرموز المعروفة والمكشوفة سابقاً، لضرورة العمل فقط؛ إذ لا يمكن لأي جماعة أن تكون جميع عناصرها سرية، ولابد للناس من معرفة بعض الرموز.

7- الاعتماد على الحفظ والذاكرة ما استطاع الأخ إلى ذلك سبيلاً، وعدم اللجوء للكتابة إلا في حالات الضرورة القصوى، مع استعمال الشيفرات قدر المستطاع، خاصة في الظروف الحرجة.

8- المحافظة على أمن الوثائق، وذلك باستعمال الشيفرات ما أمكن، مع وضع الوثائق في أماكن يصعب على العدو كشفها، كأن توضع عند أشخاص غير معروفين لدى أعضاء الجماعة، أو خارج البلاد، مع أخذ كافة الاحتياطات لإتلافها عند اللزوم، حتى لا تقع بيد العدو..

9- عدم الاحتفاظ بالرسائل والصور والمذكرات اليومية، التي تحتوي أسماء لأشخاص أو عناوين أو أرقام الهواتف، فعند وقوع الخطر، تصبح تلك المواد

صيداً ثميناً يمكن العدو من معرفة جميع الأشخاص الذين يتربصون بذلك الشخص.

ومن الأمور البسيطة التي ينبغي أن ينتبه إليها الجميع، عدم كتابة أي شيء على الكتب التي يقتنيها الشخص، مع عدم كتابة أي شيء على أي كتاب يقوم بإهدائه لغيره، لأنه في مثل هذه الحالات، يسهل على الشخص أن يرد ذلك الكتاب لنفسه دون أي إشكال.

10- ضرورة تدريب جميع أعضاء الجماعة على الانضباط الأمني، بدءاً من أبسط الأمور حتى أشدها تعقيداً، ليصبح ذلك عادة وملكة يتصف بها الجميع، مع توعية أفراد الجماعة لطرق المخابرات وأساليب عملها، للكشف عن خصومها واعتقالهم، والتحقيق معهم، حتى يسهل على أفراد الجماعة تجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى وقوعهم بيد العدو، وإذا ما حصل ذلك، فإن الخسائر تكون في حدودها الدنيا التي لا تؤثر على سير العمل، إذ لا يمكننا أن نتوقع عملا ما دون أخطاء أو تضحيات، فوجود الخطأ يعتبر دليلاً على وجود العمل، ومن لا يعمل لا يخطئ ولا يصيب.

أساليب المحققين:

إن كل ما ذكرناه سابقا ليس إلا مقدمة لابد منها، وهي عوامل مساعدة ووقائية لتجنب كل ما من شأنه أن يفيد الطغاة . لو قدر الاعتقال على أحد لسبب ما، وهو أمر يجب افتراضه دائما، وخاصة إذا كان العمل الإسلامي يأخذ طابع المواجهة والجهاد(7)، وهذا ما يجب أن يكون عليه العمل الإسلامي في هذه المرحلة في بعض البلاد الإسلامية كسورية، وحتى إذا كان العمل الإسلامي سلمياً، فيجب افتراض قيام الأعداء بعمليات الاعتقال لتحجيم العمل الإسلامي، فالطغاة لن يتركونا نكمل مسيرة الدعوة وإصلاح الأمة، فماذا ينبغي على المعتقل أن يفعله لتكون الخسائر في حدودها الدنيا؟

يجب على المعتقل أن يعرف ظروف اعتقاله، وما هي المعلومات التي يعرفها المجرمون عنه، فإذا تيقن من اعتقاله لسبب الشبهة، فعليه أن يعلم أن العدو لا يعلم من أمره شيئاً، وإن لاعترافه القول الفصل، فإما أن تتحول الشبهة لذنب أو جريمة، أو تتحول لبراءة من الاتهام، ويتظاهر المحققون عادة بأنهم يعرفون كل شيء، فلا فائدة من الإنكار. ويقولون: إن تتكلم نساعدك. وربما ألقوا ببعض المعلومات المعروفة لديهم، كطعم لخداع المعتقل بأنهم يعرفون ويعرفون، وقد يوجهون أسئلة محددة لإقناع المعتقل بأنهم يعرفون من أمره شيئاً، كأن يقولوا له : حدثنا عن علاقتك بفلان، وتكون تلك المعلومات قد وصلت إليهم عن طريق المخبرين، أي أنهم غير متيقنين من صحتها، وربما احتوت على معلومات خاطئة، وهنا يسهل على المعتقل معرفة ما لدى المحقق من معلومات، ومصدرها، فعلى المعتقل في هذه الحالة: التسلح بالنفي لكل الأمور التي لا يعرفها المحققون، والعكس بالعكس أي عدم نفي شيء يعرفه المحقق بشكل أكيد، فلا فائدة من ذلك، فذلك يؤدي لإقناع المحقق أن الضحية يكذب، وهذا ما يقوده إلى استعمال التعذيب. كما أن على السجين اختصار الإجابات قدر المستطاع، فالكلمة أفضل من الكلمتين، والإشارة أفضل من العبارة، وإذا كان الصمت كافيا للإجابة فهو أفضل من الكلام، ومن الأفضل الإجابة على السؤال بسؤال آخر، لمعرفة ما لدى المحققين من معلومات . ويكون التعميم أحياناً أكثر فائدة، وربما يكون التخصيص أكثر فائدة في أماكن أخرى، وعلى المعتقل أن يعي تماما كل سؤال قبل أن يباشر الإجابة، فلكل كلمة مدلولها وخلفيتها لدى المجرمين.

وقد يتظاهر المحققون باعتقادهم أن المعتقل بريء، ولا يريدون منه شيئاً سوى أن يذكر كذا وكذا... كأن يقولوا: (عليك أن تدلنا على اسم شخص من الجماعة الفلانية) ليلتقطوا طرف خيط يعملون على جرّه لنهايته، كما يوحي المجرمون لبعض ضحاياهم بأن قضيتهم تافهة، ليشجعوه على أن يقول كل شيء يتعلق بتلك التهمة (كأن يقولوا: إن حضور الدروس بالمسجد مسألة (تافهة)). وبذلك يطمئن السجين فيبوح بكل شيء. وبالعكس، فقد يلجأ المجرمون لرمي المعتقل بتهمة أكبر بكثير من تهمته،

مما يسهل عليه الاعتراف بقضيته، لينفي عن نفسه التهمة التي رمي بها.

وقد يبدأ المجرمون بتعذيب الضحية دون توجيه الأسئلة المحددة، قائلين بصورة مستمرة: عليك أن تعترف بكل شيء . وهنا تكون الطامة الكبرى إذا وجد التسيّب الأمني لدى أفراد الجماعة، لأن المعتقل سيسرد قصة حياته كاملة، وخاصة عندما يكون جاهلاً ظروف اعتقاله، فعلى السجين أن يتحمل التعذيب قدر استطاعته، ليعرف ماذا يريد المحقق؟ وما هي المعلومات التي يعرفها؟ وقد يلجأ بعض المحققين لتوجيه أسئلة عامة، يحاولون من خلالها التقاط بعض المماسك التي لها ما بعدها، هنا يجب الاحتراس من الاعترافات، مع اختصار الإجابات ما أمكن، والتسلّح بالنفي عند الضرورة (خاصة إذا كان المحقق لا يعرف شيئاً).

والأفضل للمعتقل: أن يتظاهر بالغباء والسذاجة والحماقة والجبن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لأن إظهار الشجاعة والعبقرية لا تفيد في هذه الظروف، والأمور نسبية، فلا يمكن لأي معتقل التظاهر بالجهل والسذاجة أو استغباء نفسه، خاصة إ ذا كان شخصية اعتبارية، أو يحمل مؤهلاً علمياً، ففي هذه الحالة، يعرف المحققون أن المعتقل يحاول خداعهم بادعائه السذاجة والغباء، وهذا أمر يجب وضعه بالحسبان عند توزيع المهمات.

وبالعكس: إذا كان المعتقل أميّاً لا يملك أية مؤهلات، فقناعة المحقق الأولية أن هذا الإنسان لا يعرف شيئاً، وتوجيه إليه الأسئلة بناءً على هذه القناعة، فيجب عليه إظهار نفسه وفق ذلك، وأن يخفي ذكاءه وعبقريته كإظهاره للمحققين أنه يدرك مغزى أسئلتهم، فمثلاً إذا سئل عن أسماء الأشخاص الذين يعرفهم من جماعة مناوئة للسلطة فعليه الإجابة بالنفي فقط دون أي تعليق كقوله مثلاً أن على الشخص أن يكون منتسباً لتلك الجماعة ليعرف أشخاصاً منها فهذه الإجابة أو نحوها توحي للمحقق أن المعتقل يعرف غايتهم من الأسئلة وهذا يدعوهم للاعتقاد أنه (المعتقل) يضللهم بإجاباته مما يدعوهم لاستعمال التعذيب.

وعليه أيضاً تجنب ذكر أي شيء يوحي للمجرمين بمعرفته ظروف اعتقاله أو

استغبائه لهم وإدراكه لجهلهم بأمره. كأن يقول إذا كان لديكم دليل كذا وكذا، وعليه أن يوحي لهم بشكل مباشر أنهم يعرفون كل شيء، ولا يخفى عليهم شيء من أمور الناس، لأن ذلك يؤدي لزرع الثقة لدى المحققين باعترافات المعتقل، وبالتالي سيقودهم لتخفيف التعذيب.

ويجب تجنّب التناقض بالاعترافات، وأن يقول الإنسان ما يعتقد فيه النجاة والإفلات من قبضة الجلادين، تاركاً قناعاته الشخصية (8) جانباً فمثلاً حينما يُسأل عن جماعة مناوئة للسلطة، فعليه ذم تلك الجماعة، مادحاً النظام في الحدود المعقولة، وبطريقة مقنعة عندما يكون ذلك ممكنا، كأن يعتقل بسبب الشبهة . وتحمل التعذيب والصبر والجلد ضروري إذا لجأ إليها المحققون لإثبات صدق الاعترافات وزرع الثقة في نفس الجلاد، وفي حالة كون المعتقل متلبساً بالتهمة يوجه المحققون الأسئلة الآتية : ما أسماء مجموعتك التنظيمية؟ من الذي نظمك؟ من المسؤول عن مجموعتك التنظيمية؟ وأين تعرفت على من نظمك ومن عرف عليه؟ ومن هم الأشخاص الذين عرفك عليهم؟ ما هي المهمات التي قمت بها؟ ما هي الرحلات والمعسكرات والجلسات التي شاركت بها؟ ما هي الكتب التي قرأتها؟ ما الموضوعات المطروحة أثناء الجلسات التنظيمية؟ من هم الأشخاص الذين نظمتهم؟ أين ومتى وكيف تعرفت عليهم؟ ما هي البلدان التي سافرت إليها؟ وماذا فعلت أثناء سفرك؟ وإذا كان الشخص ملاحقا فإنه يسأل إضافة إلى ذلك عن أسماء الأشخاص الذين آووه وساعدوه مادياً ومعنوياً خلال فترة ملاحقته؟

أما إذا كان من المجاهدين، فيسأل أيضاً عن العمليات التي نفذها أو شارك بتنفيذها، وأسماء الذين شاركوه في تلك العمليات، كما يسأل عن العلماء الذين أفتوا له للقيام بأعمال الاغتيالات، ويسأل أيضا عن المستمسكات المادية التي تم ضبطها أثناء اعتقاله، كالأسلحة والمنشورات وأجهزة اللاسلكي وبقية المستمسكات إن وجدت، ومن أين أتى بها؟ وفيم استعملها؟ ومن علمه على استعمالها؟ كما يسأل عن المكان الذي تدرب فيه على السلاح ومن دربه؟

والخلاصة:

إذن : أهم الأمور التي ينبغي أن يعرفها المعتقل، هي ظروف اعتقاله، وما يعرفه المحقق من أمره، فيسهل عليه تضليله ببعض الاعترافات، ويستطيع إخفاء قسم كبير من المعلومات الهامة التي يعرفها، وعلى المعتقل أن يرد كل شيء لنفسه ما أمكن، لتجنب توريط الآخرين، سواء أكانوا مرتبطين بالعمل أم لا.

المحققون والتعذيب:

تلجأ أجهزة المخابرات لتعذيب المعتقلين بغية انتزاع الاعترافات، ويحصل هذا عندما يقتنع المحققون أن المتهم يخفي بعض ما يعرف، وهذا لا ينطبق على (باطنيي) سورية، فالتعذيب هدف في ذاته. لقد شاهدت الكثير من السجناء خلال فترة اعتقالي لا يحملون أية معلومات تستحق الذكر، وغالباً التقطوا عشوائياً من الشوارع، دون أن يكونوا مطلوبين لتحقيق معين، إنما تم اعتقالهم بتصرف أهوج من دوريات المخابرات التي تجوب الشوارع، ورغم ذلك، فقد تعرضوا لأشد صنوف التعذيب والقهر، خاصة إذا تولى الزبانية الصغار التحقيق معهم، لأن الضباط الكبار مشغولون بقضايا أخرى، لقد كان أولئك المساكين يتعرضون للضرب والإهانة دون أي سبب، ودون أن يوجه لهم أي سؤال، فضلا عما شاهدناه في سجن الموت بتدمر، فالجلادون يتصرفون بدافع الحقد، بعيدين كل البعد عن العقل والمنطق والحق : **(كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون)**، ذلك هو شأنهم: طاغية حاقد لئيم تمكن من عدو يهدد وجوده وعرشه وسلطانه.

فالتعذيب والقهر هما القاعدة والعرف في حياة النظم المستبدة، وهي المتبعة في أكثر بلدان عالمنا الإسلامي المنكوب، بهدف انتزاع الاعترافات من المتهم، وإذا كان الشخص معتقلاً عشوائياً دون وجود أي أدلة ضده، فالمحقق يوجه إليه أسئلة عامة، يحاول من خلالها التقاط أطراف بعض الخيوط، فإن توصل من التحقيق المبدئي إلى

ما يثير الشبهة، فالاستجواب يأخذ شكله المعروف، أي: التعذيب لانتزاع الاعترافات المطلوبة. وعند الفشل في الوصول لإثبات تهمة ما فالجلاد عادة ما يلجأ إلى التعذيب، والإهانة والقهر بعد ذلك ليس لهما سوى هدف واحد، هو المحافظة على رهبة المكان، الذي يجب أن يحمل الرهبة دائماً في أذهان الناس، لأن هيبة النظام من رهبة أجهزته القمعية، التي يجب المحافظة عليها دوماً.

أما إذا كان المتهم متلبساً بالتهمة، وكانت قناعة المحقق أنه قد أفرغ كل ما عنده، فقلما يستعمل التعذيب، لئلا يقود ذلك إلى اعترافات تضليلية . وهناك بعض الملاحظات التي ينبغي الالتفات إليها في هذا المجال:

1- إن معرفة المعتقل لظروف اعتقاله، وتضليل المحقق ببعض الاعترافات، يؤدي إلى تجنب التعذيب أو تخفيفه.

2- ليس هناك قاعدة ثابتة لتحمل العذاب، فبعض الأشخاص الذين يفترض فيهم تحمل الأذى لم يثبتوا أمام القهر، وباحوا بكل ما يعرفون من معلومات عند تعرضهم للعذاب، وربما أصيب المحققون بالدهشة نتيجة لتلك الاعترافات التي لم يتوقعوها، وبالعكس فهناك أشخاص قد تحملوا تعذيباً شديداً رغم أنهم لا يفتوض فيهم ذلك، وهذا أمر يجب أن يوضع في الحسبان، مع أخذ كافة الاحتياطات الأمنية، وذلك بأن تكون المعلومات التي يعرفها الأخ بأقل قدر ممكن عملا بقاعدة (المعرفة على قدر الحاجة) مع السعي لقطع جميع الخيوط الموصلة للمعتقل، وتغيير الخطط التي يعرفها، تحسبا لأسوأ الاحتمالات.

3- وللتعذيب درجات متفاوتة، وكلما اقتنع المحققون أن المعتقل تحمل درجة دون أن يعترف، شددوا عليه، وهكذا... كما أن هناك طرقا مختلفة للقهر كما سنرى. وهذا أمر يجب أن يعرفه المعتقل، فإذا شعر أنه سينهار، ووصل إلى الدرجة التي لم يعد يطيقها، فعليه ترتيب بعض الاعترافات التي يستطيع بها تضليل المحققين بأقل خسارة ممكنة، حتى لا يبوح بكل ما عنده في حالة الانهيار، ويفتح أبوابا جديدة للتحقيق، بقاؤها موصدة أفضل وأرحم.

4- إن الأحداث وصغار السن لا يتحملون التعذيب، وغالبا ما يبوحون بكل ما يعرفونه عند تعرضهم لأخف درجاته، فليحذر من تحميلهم أية مهمات تتطلب الكثير من المعلومات، وإبعادهم عن العمل التنظيمي ما أمكن، وأن تكون العلاقات التنظيمية بعيدة عن أنظارهم وعن أنظار بقية أفراد العائلة، لأن السلطة قد تلجأ لاعتقال الأقارب (اخوة... أبناء.. الخ) للاستفادة مما يحملونه من معلومات عن المعتقل.

5- إن الأشخاص غير المعنيين بأمور الجماعة، سواء كانوا أقارب أو أصدقاء يبوحون بكل ما يعرفونه عند التحقيق، لقناعتهم بأن ذلك لا يعنيهم، وكل ما يهمهم أن يكونوا بأمن وأمان، ولو على حساب غيرهم، خاصة إذا كانوا من المستهترين، والذين يرضون لأنفسهم أن يعيشوا على الهامش في الأحداث وفي حاشية الحياة الكريمة.

6- يجب على الإنسان الملتزم بالصف الإسلامي أن ينزع من تفكيره أن الاعتراف هو نهاية التعذيب، وما عليه إلا الاعتراف ليتخلص من التعذيب، كما أن اعتقال الآخرين واعترافاتهم ستؤدي لفتح المزيد من الثغرات، والمزيد من التساؤلات التي تقود المحققين لزيادة التعذيب حتى يجد المعتقل نفسه قد أفرغ كل ما في جعبته للمجرمين.

7- هناك الكثير من الناس قد ماتوا تحت التعذيب وهم لا يعرفون شيئاً، فعلى المعتقل إقناع نفسه أنه لا يعرف شيئاً. كما أن هناك كثيرين ممن عذبوا حتى الموت دون توجيه أية أسئلة (مثلما حدث في سجن تدمر) عند ذلك يجد المعتقل نفسه مرغماً على تحمل العذاب الذي لا فكاك منه.

8- فإذا علم السجين أنه لن يتحمل التعذيب، واستطاع بنفس الوقت أن يعرف ظروف اعتقاله، وما يعرفه المحققون من أمره، فما عليه إلا ترتيب الاعترافات قبل تعرضه للتحقيق والتعذيب، وذلك برد الأمور لنفسه قدر استطاعته، وأن تكون بقية الاعترافات مضللة ومقنعة للمحققين، لتكون

الخسارة بحدودها الدنيا، لأنه إذا لم يفعل ذلك، فإن المحققين سيلجئون للتعذيب الشديد، وبالتالي ينهار المعتقل فيبوح بما لديه.

9- على الشخص الملتزم بالعمل الجماعي أن يعي الغاية التي نذر نفسه لها، وأن يدرك أنه على ثغرة من ثغور الإسلام، فانهيار البعض يكون طامة كبرى على المسلمين، إذ تؤدي اعترافاتهم إلى جر العشرات وربما المئات إلى السجون أو إلى المقصلة . إن الثبات أمام التعذيب وتضليل المحققين يعتبران بطولة من نوع فريد، لأنها تؤدي إلى إنقاذ الكثيرين وربما أدت إلى نجاح الخطط، نتيجة فشل الطغاة في كشفها ... كما أن علينا أن نعي أن طريق الدعوة مليء بالمحن والشدائد، وما على الذين نذروا أنفسهم لذلك إلا أن يتحملوا تبعات الطريق، فلا مكان للمنهزمين والمتخاذلين ضمن الدعوة، والذي يشعر بنفسه أنه غير قادر على تحمل تبعات الطريق، فما عليه إلا الابتعاد عنه، حتى لا يكون عثرة أو طامة كبرى على الدعوة وأهلها وقت الشدائد، وصدق الشاعر حيث قال:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

الانتهاء من التحقيق:

يوقف المجرمون التعذيب والاضطهاد عند اقتناعهم أن المعتقل قد باح بكل ما لديه من معلومات، أو عند وصول التحقيق إلى طريق مسدود، أي أن الطغاة لم يعد بإمكانهم الحصول على المزيد، بسبب ثبات المعتقل أمام التعذيب، أو عند نجاحه بتضليل المحققين ببعض الاعترافات.

وتوقف التعذيب لا يعني نهاية التحقيق، لأن للطغاة طرقا ووسائل أخرى لاسترسالهم في الإجرام.

- فقد يلجأ المجرمون إلى إعطاء السجين عدة أوراق يطلبون منه تدوين اعترفاته، فإذا عثروا على جديد عادوا لطرح الأسئلة. وربما لجئوا للتعذيب من جديد،

وقد يسلك المحققون طرقاً أكثر دهاءً، وذلك باستخدام المخبرين الذين ينتشرون بين المعتقلين، ويتظاهرون بتعرضهم للتعذيب الشديد، وأن كذا وكذا... وأن المحقق قد سأله كيت وكيت، ويدلف بعد ذلك إلى أسئلة محددة، سواء داخل الزنزانة المنفردة أو الجماعية (بعد أن يحدد لهم سجين بعينه، ويعطونهم المعلومات التي تساعدهم على أداء مهمتهم) ويخرج المحققون كلابهم بين فترة وأخرى بحجة التحقيق ليسألوهم عما التقطوه من معلومات وأخبار خلال مهمتهم التجسسية بين المساجين.

– وقد يقوم الجلادون باستدعاء شخص ما (سواء كان مخبراً أو معتقلاً آخر) ويطلب منه الاعتراف على مسمع سجين، ناسباً إليه تهمة ما، كقوله : إن السجين الآخر قد نظمه، أو بالعكس ليوهموا الشخص الآخر أن هذا السجين هو أحد أصدقائه في الجماعة، والذي اعترف عليه كيت وكيت، وهذا الأسلوب قد يجر المعتقل للاعتراف، خاصة إذا كانت بعض الادعاءات التي سمعها صحيحة، وهو غير منتبه للتلقين في التمثيلية الإجرامية تلك.

– أو يلجأ إلى وضع المخبر في زنزانة منفردة، تواجه زنزانة سجين معين، فيفتح الشراقة الصغيرة، منادياً ذلك المعتقل برقم زنزانته، ويبادله السلام والكلام، وربما استطاع خداعه، وسحب بعض المعلومات منه، بعد اطمئنان الثاني الساذج.

– أو يرسل المخبر للمستشفى لينام على سرير مجاور لمعتقل معين، متظاهراً بأنه قد عذب، وأن تهمته كيت وكيت، محاولاً استدراج المعتقل، ليأخذ منه بعض المعلومات التي كلف من أجلها بمهمة التجسس والاستدراج.

– ولربما تظاهر ضباط المخابرات باللين لأبعد الحدود، حين يقومون باستدعاء المعتقل، ويجلسون معه، ويبادلونه أطراف الحديث، ويقدمون له بعض المأكولات الشهية، وربما سمحوا لأقاربه بزيارته، ويمنونه بالأماني العِذاب (كالإفراج)، ويظهرون اهتماما بمشاكله الخاصة داخل وخارج السجن، ويؤثر هذا الأسلوب على بعض الناس، فالمعاملة اللينة من ضباط المخابرات مع المعتقل الذي أنهك جسميا ونفسيا من التعذيب، تؤدي لانهيار الحاجز النفسي بين السجين وخصمه، فينطلق

المعتقل بالكلام دون أي ضابط، فيبوح بما لديه من معلومات مشكلاً بذلك ظروفاً معقدة جديدة، وسلبيات لانهاية لها مع الناس والأحداث...والتحقيق.

وسبب ذلك: أن المعتقل يصل إلى حالة نفسية يشعر معها أن كل ما يكلمه بصورة طبيعية هو صديق حميم أعز عليه من أقرب الناس، فكيف إذا تظاهر المحقق باللين و.. و..؟ على أن هذا الأسلوب لن يخدع إلا ضعاف النفوس، أما أصحاب العقول النيرة الواعية، فلن تخدعهم جميع أساليب العدو . وصدق الله العظيم حيث يقول: (**يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون**)، وقال سبحانه أيضاً : (**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**)، ورحم الله الشاعر الحصيف عندما يقول:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلب في أنيابها العطب

– وهناك أسلوب آخر يشبه الأسلوب السابق، وهو أن يتودد أحد عناصر المخابرات كطبيب الفرع أو الممرض أو أحد الضباط بالتكلم مع السجين، متظاهراً بالإشفاق عليه، ومبدياً أسفه لما تعرض له من تعذيب، ثم يقدم له النصائح بأن يقول كل ما يعرف ليخلص نفسه من التعذيب.

وهكذا نرى أن طرق المحققين متعددة، وعلى السجين أن يدرك أنه في تحقيق مستمر طوال فترة اعتقاله، وكلما فشل أسلوب استبدل به غيره، وهكذا حتى يصل الطغاة إلى غايتهم مهما كانت هذه الأساليب فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، ولا مكان للقيم الأخلاقية في عقيدتهم (وهذا ما سنراه عند الحديث عن أساليب التعذيب بشكل مفصل وموضوعي أكثر..).

وبعد التحقيق الشفهي والكتابي، توضع جملة أسئلة لطرحها عليه (حسب التهمة الموجهة إليه) من قبل أحد المحققين، تاركين للسجين الإجابة عليها بأسلوبه الخاص، ويقوم بعد ذلك المحقق بصياغتها هو بأسلوبه، وبما يناسب قناعته، وتدون تلك الاعترافات بمحضر التحقيق النهائي، والمسمى عندهم : الإفادة النهائية ... وأخيراً يدون رئيس قسم التحقيق رأيه، وربما أضاف أموراً أخرى لم يعترف بها المعتقل، وسواء حصل عليها من اعترافات معتقلين آخرين أو من تقارير مخبرين سريين،

مقترحاً إيقاف المعتقل احترازياً، انتظاراً لما تكشفه الأيام، و يحصل هذا عندما يفشل المحققون في إدانة المعتقل بأية تهمة، أو يقترح إخلاء سبيله، عندما تكون نتيجة التحقيق صفراً، مع عدم وجود داع للشبهة، وإما أن يطلب إحالة السجين إلى المحكمة إذا كانت نتيجة التحقيق تشير إلى تهمة ما.

وإذا زج المتهم في أحد السجون، فإن إخلاء سبيله يصبح من اختصاص السلطات العليا، وتخرج القضية من اختصاص رئيس الفرع، خاصة إذا ثبت بحق المتهم تهمة ما، ولربما أصبح ذلك من صلاحيات الصنم الأكبر، كما هو حال معتقلي سجن تدمر، وعلى أية حالة، فإن الاحتفاظ بالمعتقلين لفترات طويلة هي القاعدة المعمول بـها هذه الأيام، مهما كانت نتيجة التحقيق. فما هو مبرر ذلك؟.

الاعتقال التعسفي:

كثيراً ما يعتقل الأشخاص ويحتفظ بهم لفترات طويلة، وأحياناً دون وجود أية تهمة تستوجب ذلك، وهذا ما يعرف دولياً بالاعتقال التعسفي . أما بالنسبة إلى أجهزة أمن الطغاة، فإن لهذا الإجراء مبرراته، و يسمى عندهم بالتوقيف الاحترازي، أو الاعتقال لأسباب أمنية. فما هي أسباب ذلك؟.

1- عجز المحققين عن نفي الشبهة تماما، لأن الجلادين لا يثقون بنتائج التحقيق واعترافات المتهمين، لذا يترك المعتقل في مثل هذه الحالات رهن الاعتقال في قاع الظلم والظلام، انتظاراً لما قد تكشفه الأيام، ويلجأ الجلادون لسؤال ضحاياهم الجدد حول أولئك المعتقلين، لاكتشاف أمور جديدة، كأن يقولوا للمعتقل الجديد: ماذا تعرف عن فلان؟ لقد اعترف أنه قد نظمك، أو اعترف أنك نظمته؟! وربما اعترف المعتقلون الجدد، بأمور تتعلق بآخرين اعتقلوا سابقاً، فيعاد التحقيق مع ذلك المعتقل، وبشكل أشد قسوة من المرة السابقة، لأن الجلادين باتوا مقتنعين بأن ذلك المعتقل قد نجح بتضليلهم فلابد من استخدام أبشع الوسائل لانتزاع تلكم المعلومات الخطيرة. ويصاب المعتقل

بالانهيار أمام التعذيب، فيبوح بما لديه من معلومات تمكن من إخفائها ساب قاً، لأن التحقيق السابق وفترة الاعتقال تضعفان كثيراً من معنويات المعتقل، فتجعله غير قادر على تحمل التعذيب من جديد، كما أن المحققين يملكون حساسية مفرطة جدا تجاه ورود اسم أي شخص قد اعتقل سابقا، سواء كان رهن الاعتقال أو حراً طليقاً، خاصة إذا ورد اسمه بنفس الفـرع الذي اعتقل به سابقاً وربما أعيد اعتقاله مثل هؤلاء الناس لأتفه الأسباب التي لا تستوجب اعتقال غيرهم ممن لم يتعرضوا للاعتقال سابقا، فيجب تجاهل أسماء الأشخاص الذين اعتقلوا سابقا وخاصة إذا كانوا ما يزالون رهن الاعتقال، ولم يطلق سراحهم بعد، وإذا وقع المعتقل أثناء التحقيق في أية هفوة أو زلة تتعلق بأحد المعتقلين، فعليه رد الأمور إلى نفسه أو إلى أشخاص آخرين يصعب على المخابرات الوصول إليهم، كالمسافرين خارج البلاد، مع إبلاغهم بعد ذلك، إذا أمكن، لاتخاذ الحيطة والحذر.

2- اعتقال ناس معنيين تلافياً لما قد يقومون به من أعمال مناوئة للسلطة، إذا كانوا أحراراً طليقين، وخاصة في الظروف الحرجة، كالذين اعتقلوا سابقا بتهم سياسية، أو المهربين، خشية أن يقوموا بتهريب الأسلحة، لخبرتهم في هذا المجال، وربما لجأت المخابرات إلى تلفيق التهم لبعض المعتقلين لتبرير اعتقالهم، ومثال ذلك، ما لجأت إليه المخابرات في السنوات الأخيرة من اعتقال وتسريح ضباط الجيش السنيين الذين يشك في ولائهم للنظام بعد حبكة درامية فائقة الحقد والمكر لهم.

3- اعتقال رهائن من أقارب وذوي الملاحقين للضغط عليهم، كي يسلموا أنفسهم، أو للكف عن الأعمال المناوئة للسلطة، خوفاً عل ى أقاربهم، وربما استمر اعتقال الرهائن لسنوات مديدة، وقد لجأت المخابرات لاعتقال ذوي الملاحقين الموجودين خارج البلاد حتى لا يساعدوهم مادياً أو معنوياً، بإعلامهم أنهم مطلوبون للاعتقال، وليعودوا إلى البلاد فيقعوا في الفخ **(وإذ**

يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

4- الاحتفاظ بالمعتقلين، رغم قناعة الجلادين التامة ببراءتهم، خوفاً على المعلومات التي عرفوها خلال فترة اعتقالهم من أن تخرج فيعرفها الخصوم، لأن أجهزة الأمن تحرص على أن تبقى تلك الأمور سرية للغاية، ولا يعرفها أحد، لتتمكن من تضليل خصومها، ببث الإشاعات التي تريدها، وإخفاء الحقائق لذلك رأينا كيف كانت المخابرات تحيط المعتقلين بالسرية التامة منذ اللحظة الأولى لاعتقالهم، مع عدم السماح لأقاربهم بزيارتهم، وعدم السماح للمحسوبين على النظام وحتى بعض رموزه من التعرف على التهم الموجهة إليهم مهما كانت تافهة.

وربما كان سبب الاحتفاظ بالمعتقلين الأبرياء هو خوف السلطة مما قد يقومون به من أعمال مضادة لهم، بعد أن اعتقلوا وأصبحوا حاقدين على النظام، نتيجة الاضطهاد والظلم الذي لحق بهم، خاصة إذا كانت الظروف العامة في البلاد تساعد على ذلك، كما يحصل في حالات الانتفاضات الشعبية، كما حصل في سورية وعليه نرى أن دواعي التوقيف التعسفي متعددة، وتختلف باختلاف الظروف المحلية، وطبيعة الأنظمة القائمة، وطبيعة المعارضة التي تواجهها.

وأما التغطية القانونية لتلك التصرفات، فإن حالة الطوارئ واستخدام الأحكام العرفية، يؤديان لتعطيل جميع القوانين، وبالتالي تصبح الأجهزة الأمنية تمتلك صلاحيات واسعة، فهي السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، فهي التي تعتقل وتحقق وتقوم بالتحريات، وتحاكم، وهي التي تسجن وتنفذ حكم الإعدام، وليس من حق أي شخص مهما كان شأنه التدخل أو الاعتراض على تصرفات أجهزة القمع، لأن تلك القضايا أمنية بحتة، تتعلق بأمن البلاد (كما يدعون) وبتعبير أدق بأمن النظام الذي في سبيله تهدر كل القيم، وتهتك الأعراض، وتداس الكرامات، وترتكب الجرائم، وتنتهك الحرمات، فأمن النظام وسلامة رموزه فوق كل الاعتبارات والأعراف.

التعذيب في أقبية المخابرات

مقدمة:

يقول الله تعالى: **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون)**، ويقول أيضاً : **(ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين).**

قبل التحدث عن وسائل التعذيب المتبعة في معتقلات طغاة سورية لابد لنا من تقديم بعض الحقائق في هذا المجال:

1- إن ما أقدمه هنا من معلومات هو نتيجة لتجربتي الشخصية فقط، أي أنني أقتصر على سرد طرق التعذيب التي واجهتها أو شاهدت آثارها على أجساد إخواني المعتقلين الذين قابلتهم وتعرفت عليهم خلال فترة اعتقالي التي دامت عدة سنوات، وهي بالتأكيد ليست إلا جزءاً يسيراً من طرق التعذيب الموجودة عند أولئك المجرمين.

2- ولا أهدف من خلال وصف تلك الطرق الجهنمية المتبعة في سورية تعرية وفضح ذلك النظام الطائفي العفن، فهذا أمر بات معروفا للقاصي والداني، كيف لا ورائحة النظام النتنة تزكم الأنوف؟

3- قد يعتقد البعض أن ما أقدمه هنا من وصف ربما كان غير صحيح، وربما ظن آخرون أن فيه الكثير من المبالغة، وهنا أذكر هؤلاء وأولئك ببعض ما ارتكبه النظام من مجازر فاقت كل تصور، كمجزرة سجن تدمر، ومجازر حماة وحلب وجسر الشغور، والمعرة وسرمدا وطرابلس وغيرها وغيرها ... فإذا تذكرنا ذلك، فإننا نستطيع أن نضع هذا الكلام وأكثر منه في إطار

المعقولية والواقع.

4- وأهم شيء أقصده هنا، هو تذكير الشباب المسلم بما ينتظرهم وبما يعده لهم الطغاة الجلادون، ليكون شباب الصحوة الإسلامية عن بينة من أمرهم، ليعدوا أنفسهم لذلك الامتحان، فطريق الدعوة مفروشة بالأشواك، ومليئة بالآلام والمكاره، ولابد من الامتحان لتمحيص الصفوف **(وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)**.

5- إن طرق التعذيب التي أتحدث عنها هي الموجودة في أقباء المخابرات، أما طرق التعذيب التي واجهها نزلاء سجن تدمر، فأترك الحديث عنها لاحقاً عند التكلم عن ذلك السجن الرهيب القابع في صحراء الشام.

وأهداف التعذيب: هي إهانة وتحقير وإذلال المعتقل، وتحطيم معنوياته وسحق كرامته وشخصيته، وتبدأ الإهانة من اللحظة الأولى للاعتقال، فيندفع أفراد الدورية المكلفون باعتقال الشخص المطلوب إلى داخل المنزل من دون أذن أو مراعاة لحرمة البيوت المتعارف عليها، ويفاجئون المتهم تحت جنح الظلام، وقد يداهمون المنزل بعد خلع الأبواب، وربما اقتحموه من الأعلى بتسلق الأسطحة، دون مراعاة لكرامة الإنسان وقيم المجتمع.

كيف لا والقاعدة المعمول بها عندهم: كل متهم مذنب حتى يثبت العكس.

وليتم ذلك، لابد أن يمر ذلك المتهم بمراحل الاعتقال والتحقيق وما فيهما من إهانة وتعذيب وقهر، وربما استمر الاعتقال سنوات طويلة، يتعرض خلالها ذلك المظلوم لشتى صنوف المرارة والقهر، كما تهدف الإهانة إلى تحطيم معنويات المعتقل وإرهابه، ليبوح بما لديه من معلومات، وبأقل التكاليف (أي بأقصر مدة زمنية ممكنة) ليتفرغ الجلادون لغيره من المعتقلين المضطهدين.

ولعل أهم سبب للتعذيب والإهانة، هو إرغام المعتقل على الاعتراف، كما يريدونه هم، حتى ينسقوا تمثيليتهم ويصلوا بحبكها وعقدتها إلى أعلى درجة من الواقعية.

ويهدف التعذيب والإهانة أيضا إلى الانتقام من المعتقل بسبب الحقد الأسود الذي يحكم تصرفات أولئك الأوغاد، لأن أكثر المحققين، إن لم يكونوا جميعهم من أطراف الطائفة النصيرية المستولية على مقاليد الأمور، والمتسلطة على رقاب الشعب، ولكذلك حال الجلادين والسجانين، إن صدورهم تتدفق بالحقد الدفين، وقد وجدوا هؤلاء الشبان المسلمين أمامهم، فراحوا يشفون بهم أحقادهم التاريخية، وانحرافاتهم النفسية والعقائدية، وصدق الله العظيم : **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألوكم خبالاً ودّوا ما عنتّم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر).**

وسائل التعذيب الجسدية والنفسية:

وتختلف بتعدد الأجهزة الأخطبوطية، ومن طرق التعذيب الجسدية الفاجرة:

1- التعذيب بالضرب: يبدأ الضرب منذ اللحظة الأولى للاعتقال، فينهال الزبانية على المعتقل لطماً ولكماً وركلاً، بهدف إهانته وإذلاله وإرهابه، وعندما يصل ذلك المسكين إلى فرع المخابرات، تبدأ فصول أخرى من التعذيب بالضرب، أهمها: الدولاب. وقد تحدثنا عنه سابقاً أثناء الحديث عن التحقيق.

2- استعمال السلم: يثبت المعتقل على سلم خشبي، وجهه للأسفل وظهره للأعلى بعد أن يعرى من ملابسه، ويجلد على ظهره بالكبلات الكهربائية المجدولة . كما يجلد على سائر أنحاء جسمه كالفخذين والإليتين والرأس وسواها...

3- استعمال بساط الريح: تستعمل هذه الطريقة في فروع المخابرات العامة (أمن الدولة) وهو عبارة عن قطعتين من الخشب تتمفصلان مع بعضهما البع ض، بحيث يمكن طيها لتصبح بشكل زاوية قائمة، يوضع المعتقل عليها، ويثبت وترفع رجلاه للأعلى ليضرب عليهما باستعمال الضرب المختلفة.

4- وفي مدينة حلب استخدمت طرق وحشية أخرى للتعذيب منها ضرب السجناء على مفاصلهم (مفاصل الرجلين خاصة الركبتين) بالمطارق الحديدية، وسوا طير

اللحمة والفؤوس، كما استعملوا تلك الأدوات للضرب على الساقين والقدمين أيضا، إضافة للمفاصل مما يسبب آلاما مبرحة وكسورا بالعظام، وآفات دائمة بالمفاصل، ليصبح المعتقل بعد ذلك مقعداً كسيحاً.

5- التعليق إلى السقف بواسطة سلاسل حديدية من اليدين ويرفع السجين للأعلى، أو يعلق من رجليه ورأسه للأسفل، كما تعلق الذبيحة، ويضرب على جميع أنحاء جسمه بوحشية رهيبة، وتستخدم هذه الطريقة بمعظم فروع المخابرات، أذكر منها فرع المخابرات العسكرية بحلب (فرع السريان) وفرع الخطيب أو ما يسمى بالفرع 251 التابع للمخابرات العامة، مأوى وحوش القرن العشرين.

6- الضرب بوضعية الوقوف أو الركض وتستعمل هذه الطريقة بسجن الشيخ حسن التابع لشعبة الأمن السياسي بدمشق، ويوجد داخل المعتقل بحيرة صغيرة يلقى فيها السجين بعد أن يعرى من ملابسه أثناء الشتاء، ويؤمر بالخروج منها والدوران حولها مسرعاً، والجلادون يحيطون به يلسعونه بسياطهم على ظهره أو أي مكان من جسمه، ويبقى التعذيب على هذه الصورة حتى يعترف المعتقل، وكلما سقط أرضاً اشتدّ عليه الضرب ليصاب بالإغماء، فيرش الماء على وجهه ليقف ويستمر التعذيب على هذه الصورة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار من أمتي لم أرهما: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها وجوه الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة).

أدوات الضرب:

1- الكبلات الكهربائية: وهي الأكثر استعمالاً في جميع الفروع، وتستخدم الخيزرانات أيضاً (عصي الخيزران).

2- السلاسل الحديدية (الجنزير) واستعمل بفرع المخابرات العسكرية بحلب.

3- البلطات والمطارق وسواطير اللحمة، وتستعمل بفروع المخابرات العامة خاصة بمدينة حلب، ولم يتوان أبداً أولئك الهمج الأوباش عن استخدام أي أداة

أو وسيلة يتذكرونها.

طرق أخرى للضرب:

وتستعمل الأكف للطم الوجه مؤدية لثقب غشاء الطبل بالأذنين، وتستعمل قبضات الأيدي للكم، إضافة لاستعمال الأرجل بالرفس والركل على البطن والصدر والخصيتين، وذلك أثناء إلقاء القبض على المعتقل، لأن هذه الطرق فيها من الإذلال والإهانة أكثر من تأثيراتها الجسدية، وخاصة أن الضرب يتم أمام الأقارب والناس الآخرين.

ويضع الزبانية أقدامهم على رأس المعتقل ورقبته، وربما وضعوا نعالهم داخل فمه، إمعاناً بإذلاله وإهانته، وكثيراً ما يتدرب الجلادون الجيدو والكراتيه بالمعتقلين الذين أنهكهم التعذيب والقهر إرضاء لغرورهم وساديتهم.

التعذيب بالماء البارد:

يقوم الجلاوزة في فصل الشتاء بتعرية المعتقل من ملابسه ووضعه في حوض الحمام لمدة طويلة، ثم يخرج ويضرب على جسمه، أو يثبت على السلم ورأسه للأسفل، ويصب الماء البارد عليه من الأعلى أو يغطس في البحيرة الموجودة داخل المعتقل، كما يحدث في سجن الشيخ حسن بدمشق، أو تغمر الزنزانة بالمياه، ويدخل المعتقل إليها، فلا يستطيع النوم أو الجلوس، خاصة أيام الشتاء، ثم يخرج بعد أن أعياه التعب والبرد ليعذب بهمجية ووحشية بالضرب والجلد.

التعذيب بالكهرباء:

وله أشكال عديدة: منها ربط الأقطاب الكهربائية بأصابع اليدين أو القدمين أو بالأذنين، وهذا ما يؤدي لأذيات بالدماغ، فيصاب المعتقل بآفات عقلية قد تصل إلى الجنون. ولعل أبشع هذه الوسيلة، هو وضع الأقطاب على الأعضاء التناسلية، وإدخال

القطب الآخر بالدبر بواسطة الخازوق، وهذا ما يستخدم بفرع المخابرات العسكرية في حمص، وتؤدي هذه الطريقة لنزيف من الشرج، وأحيانا توضع الأقطاب على العينين أو داخل الفم أو الأنف، أما التيارات المستعملة بالتعذيب، فهي المستعملة بالمنازل بعد تمريرها على محول للتحكم بها، وأغلب الأحيان يستخدم مولد كهرباء يدوي.

التعذيب بالنار:

كاستعمال الأدوات الكهربائية، مثل السخان الكهربائي الذي يستخدم بالمنازل، فيرغم المعتقل بالجلوس عليه بعد تسخينه، ويوضع على أماكن حساسة ومختلفة من الجسم، كالظهر والصدر، محدثاً حروقا شديدة وآلام فوق تحمل البشر.

واستعملت هذه الطريقة بفرع كفرسوسة (رقم 185) بدمشق، وتعرض الأخ الشهيد حسني عابو لهذه الطريقة من التعذيب، كما تستخدم المكاوي الكهربائية المستعملة لكي الملابس، فهي تمرر على جسم الضحية بعد تسخينها، وتستخدم كذلك قداحات الغاز لحرق الجسم موضعياً، وحرق اللحية والشوارب وشعر الجسم، وشعر العانة... وتستخدم أيضاً السجائر التي تطفأ بجسم المعتقل خاصة في الأماكن الحساسة كالرقبة والظهر والأعضاء التناسلية والصدر والإبط، وتستعمل أعواد الثقاب لحرق الأذنين، أو تستعمل قطعة قطنية مشربة بالبنزين وتوضع على أماكن معينة من الجسم وهي ملتهبة.

ومن طرق التعذيب التي لا تطاق سكب البنزين على قدمي المعتقل ثم إشعالها بعد ذلك.. وقامت بعض فروع المخابرات بصب البنزين على جسم الضحية، وإحراقه ثم تسليم جثته لأهله، مدعين أنه قد أحرق نفسه.... وهذا ما حصل مع عدة أخوة أذكر منهم الأخ الشهيد التقي النقي حافظ القرآن: عمر سالم من حلب رحمه الله رحمة واسعة.

التعذيب بالأدوات الحادة:

كالسكاكين وأمواس الحلاقة والشفرات، وذلك بتشطيب الجلد وقضبان الحديد المدببة لوخز الجسم.

استعمال الخازوق:

وهو عبارة عن أداة معدنية لها رأس مدبب وقاعدة عريضة يؤمر السجين بالجلوس عليها ليدخل رأسه المدبب بالدبر، وقد يوصل بها تيار كهربائي.
واستخدمت الزجاجات ذات العنق المكسور لهذه الغاية مؤدية لنزيف شديد من الشرج أو تبرز عفوي.

استعمال المواد الكاوية والأملاح:

وهي أن يذاب الملح بالماء ويسكب على جسم المعتقل الذي امتلأ بالجروح نتيجة طرق التعذيب الأخرى، وقد تستعمل المواد الكاوية (الحموض والقلويات) بدل ملح الطعام..

التعذيب بالكماشة:

تقلع أظافر اليدين والقدمين بواسطة الكماشات، وينتف شعر اللحية والشارب وشعر الجسم في مناطق حساسة أخرى إما اليدين أو بالكماشات وتستعمل هذه الطريقة مع المعتقلين الملتحين.

الشنق من القدمين:

ومن طرق التعذيب أيضا تقييد قدمي السجين بقيود خاصة، أو بالسلاسل، وتعليقه من قدميه، رأسه إلى أسفل كما تعلق الذبيحة، وتسمي هذه الطريقة (الشنق من القدمين) وتصاب الأقدام عند الكاحلين والكعبين بجروح عميقة في مكان التعليق، وتستخدم هذه الطريقة في فروع المخابرات العسكرية في اللاذقية وحلب ودمشق.

طرق التعذيب الأخرى:

كأن يؤمر السجين بالوقوف لفترة طويلة مع الحرمان من الطعام والشراب والخروج لبيت الخلاء يوما أو أكثر...

طرق التعذيب النفسي:

ذكرت أن إهانة السجين تبدأ منذ اللحظة الأولى لاعتقاله بشتى الطرق، وعندما يصل المعتقل إلى فرع المخابرات تبدأ فصول أخرى من الإهانات والقهر والبطش والإذلال:

1- يرغم المعتقل على إغماض عينيه، كما يُشتم ويُضرب فور وصوله إلى الفرع.

2- التهديد بالموت بطرق مختلفة، كغطس الرأس بالماء حتى درجة الاختناق.

3- إدخال المعتقل لغرفة التعذيب، ليشاهد التعذيب، وآثار العذاب المختلفة مع بقع الدم، وقد يشاهد معتقلاً آخر قد عذب بشدة، وفي بعض الحالات يشاهد جثة أحد الذين ماتوا تحت التعذيب، كل ذلك من أجل إرهابه.

كما يعمد الجلادون للتحقيق مع ذلك المسكين فور دخوله الفرع في غرفة قريبة من غرف التعذيب، ليسمع أصوات المعذبين المضطهدين من صراخ وأنين، وقد يترك فترة من الزمن أمام غرفة التعذيب، ثم يؤخذ بعد ذلك للتحقيق، بعد أن استولى عليه الهلع، نتيجة سماعه أصوات المعذبين ورؤية صورهم وحالتهم التي يشيب لهولها الولدان..

4- التهديد بالأهل: تقوم المخابرات السورية في كثير من الأحيان باعتقال أقارب السجين من النساء كزوجته وأخته وابنته، والتهديد باغتصابهن أمامه إذا فشلت طرق التعذيب الأخرى في إرغامه على الاعتراف، وقد يكون المعتقل بريئا من الأساس، لكن المحققين مقتنعون أن لديه معلومات لا يريد البوح بها، وقد تعرض الأخ أمين الأصفر من حماة لهذا الأسلوب الجهنمي، فقد اعتقلوا طفله وزوجته (وهي مسلمة من

بلغاريا). أو تقوم المخابرات بتعذيب أحد أقارب المعتقل أمامه بغية إرغامه على الاعتراف وجعله ينهار أمام مشهد التعذيب الوحشي، وقد يهددون المعتقل أيضا بقتل أحد أبنائه.

ومن الطرق المتبعة أيضاً: سجن المعتقل في زنزانة منفردة ضيقة لأجل طويل: يقدم له فيها الطعام مخلوطا بالقاذورات (كالبول والبراز) كما حصل مع الشهيد القائد مروان حديد رحمه الله، مع حرمانه من العناية الطبية، وتعريضه للإصابة بالجرب والقمل المتوفر هناك كثيراً، فجميع مراكز الاعتقال السورية موبوءة بهذين المرضين.

5- التهديد بممارسة اللواطة (الشذوذ الجنسي) مع المعتقل وأحياناً أما م زوجته إذا أصر على عدم الاعتراف.

6- ومن الطرق المتبعة أيضاً: تقييد أيدي المعتقل طوال الوقت، ولا تفك إلا أثناء إخراجه لقضاء الحاجة، أو عند تناول الطعام، وهذه الطريقة موجودة بمديرية المخابرات العامة في دمشق، المعروف باسم سجن (كفر سوسة).

هذه هي أهم طرق التعذيب التي شاهدتها وعايشتها خلال فترة اعتقالي، وهذا لا ينفي وجود طرق أخرى لم أذكرها، إذ سمعت بطرق كثيرة، خاصة بفرع مخابرات القوى الجوية بدمشق، ومعتقلات سرايا الدفاع التابعة للمجرم رفعت أسد ... فقد اشتهرا بوجود الطرق الجهنمية لديهما، ولكنني لم أدون تلك الطرق لع دم مقابلتي لأشخاص تعرضوا لها. وعلى أية حال فإن الذين يعرفون طبيعة ذلك النظام الإجرامية، يصدقون كل ما يسمعون من روايات، لأن تلك الجرائم لها مبرراتها عند الجلادين وجلاوزتهم، وهذا هو شأن كل الطغاة عبر التاريخ حتى يرث الله الأرض ومن عليها وفي كل ديار الظلم، التي تجاوزها النظام الأسدي بمراحل في إجرامه وهمجيته...

الانتقال إلى سجن تدمر

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد).

قبل الحديث عن سجن تدمر لابد من إشارة سريعة إلى بعض أحداث تلك الفترة، التي كانت سببا لإرسال المعتقلين إلى ذلك السجن الجهنمي الرهيب.

أهم أحداث النصف الأول من عام 1980:

الأحداث تتسارع حولنا، والأيام مليئة بالمستجدات، فقد وقعت خلال عام 1980 الكثير من الأحداث الجسيمة والتي تركت سجلاً حافلاً يزخر بها تاريخ سورية المعاصر والتي لا تنمحي أبد الدهر.

فخلال الشهور الأولى من ذلك العام وصلت الأحداث ذروتها في بلدنا المنكوب سورية الجريحة، وواجه النظام النصيري منزلقاً خطيراً كاد يطيح بأركانه، مما دفع برموز السلطة إلى أن يتراجعوا وبصورة خطيرة. لقد ظهر الطاغية الجبان حافظ أسد بمناسبة 8 آذار من ذلك العام على شاشة التلفزيون ليلقي خطاباً يعبر فيه عن مرارة قاسية، وكاد يبكي في ذلك الخطاب، وراح يقول بكل تأثر : إنني مسلم وأصلي منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وأعترف لأول مرة بأن أخطاء قد حصلت، ونماذج أخرى من العبارات التي تعبر عن جبنه وخوفه مما يحدث في طول البلاد وعرضها.

في تلك الأثناء قام ا لنظام بإخلاء سبيل عدد كبير من المعتقلين الذين كانوا يرزحون تحت نير قهر فرعون منذ بداية عام 1979، لقد ظن الصنم الكبير وأزلامه أن هذه المبادرة (الإفراج عن المعتقلين) ستؤدي إلى تهدئة المشاعر وتطبيب الخواطر وبالتالي تنتهي المواجهة بين الشعب والنظام، تلك المواجهات التي أتعبت السلطة وأفقدتها صوابها، لكن النظام لم يصل إلى النتيجة المرجوة، فازداد بطشاً وتنكيلاً، وزج بالجيش والوحدات الخاصة في أتون المواجهة، فأرسلت الفرقة الثالثة بقيادة المجرم شفيق فياض مع عدة أفواج من الوحدات الخاصة بقيادة المجرم علي حيدر إلى مدينة حلب لتمشيطها، ونصب الحواجز الثابتة والطيارة في شوارعها، بعد أن

عجزت المخابرات وسرايا الدفاع والوحدات الخاصة (التي أرسلت سابقاً) عن قمع الانتفاضة الشعبية الإسلامية التي عمت أرجاء المدينة وقراها. كما أرسلت السلطة المزيد من عناصر الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع إلى مدينة حماة وإلى محافظة إدلب بعد أحداث جسر الشغور ومعرة النعمان، عندما تمكن الأهالي من السيطرة على أحد مستودعات الأسلحة فقامت الوحدات الخاصة بمحاصرة المدينة، فتدخل وجهاء البلدة، وأعيدت الأسلحة إلى السلطة، وفي هذه الأثناء ارتكبت مجازر وحشية تقشعر لهولها الولدان في الكثير من المدن والقرى، ففي حلب قتلت السلطة الدكتور أدهم سفاف الأستاذ بكلية الزراعة مع الأستاذ محمد نذير زرنجي (من كلية الزراعة أيضاً) والدكتور مصطفى عبود (طبيب جراح) وكذلك قتلت السلطة الدكتور حسن محمد الحسين الذي كان يعمل أستاذاً بكلية العلوم بجامعة حلب وكلية الهندسة الحربية وكان مختصاً بالفيزياء النووية، ولعله الشخص الوحيد الذي يحمل هذا الاختصاص في ذلك الوقت(9).

وفي حماة قتلت الوحدات الخاصة العديد من وجهاء المدينة منهم الدكتور عمر الشيشكلي رئيس نقابة أطباء العيون، وخضر شيشكلي من زعماء الكتلة ال وطنية والدكتور عبد القادر قنطفجي (طبيب جراح) مع المزارع أحمد قصاب وقد مثل المجرمون بجثث الشهداء شر تمثيل.

وفي اللاذقية قتلوا الدكتور الشيخ ممدوح جولحة، ورموا جثته في عرض الطريق بعد أن مثلوا بها.

وفي محافظة إدلب ارتكبت مجازر أخرى كمجزرة جسر الشغور وسرمدا.

ونتيجة للرعب الذي سيطر على رموز النظام في هذه الأثناء (بداية عام 1980، وبالتحديد شهر آذار من ذلك العام) اتخذ النظام قراراً بسحب جزء من قواته من لبنان، ليتسنى له تصفية الانتفاضة الإسلامية في سائر المدن والقرى السورية . وقد أبلغ قادة المنظمات الفلسطينية والفصائل اللبنانية بهذا القرار.

وخلال هذه الفترة نفذ المجاهدون الكثير من العمليات الناجحة التي أفقدت

النظام الجبان صوابه، وأهم تلك العمليات كانت تهريب 17 سجيناً من سجن المخابرات العامة بدمشق المسمى بسجن (كفر سوسة) في يوم 1980/5/25، ونتيجة لهذه العملية ساءت المعاملة كثيراً في جميع السجون والمعتقلات، كما قرر النظام ترحيل جميع المعتقلين الإسلاميين لسجن تدمر.

وفي بداية شهر حزيران من ذلك العام استشهد الأخ عبد المعين السيد (قائد تنظيم الطليعة بمدينة حمص) مع ثمانية من إخوانه بعد معركة حامية مع المخابرات العسكرية وقد جن المجرم غازي كنعان وراح يقتل المسلمين ويرسلهم لسجن تدمر . كما استشهد بنفس الفترة (بداية شهر حزيران 1980) الأخ النقيب إبراهيم اليوسف قائد عملية مدرسة المدفعية في أحد شوارع مدينة حلب، وقامت المخابرات العسكرية بحمل جثته لمدرسة المدفعية بالراموسة، وطلبوا من جميع طلاب المدرسة أن يمروا من أمام الجثة ويبصقوا عليها، وقد مثلوا بجثته شر تمثيل، كما أقام النصيريون احتفالاً لذلك، شربت فيه الأنخاب، وأطلقت فيه الأعيرة النارية في ذلك اليوم، وأصيب سكان مدينة حلب والقرى المحيطة بها بالهلع، وظنوا أن عمليات ضخمة قد وقعت.

مداهمة مساجد دمشق:

(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

في بداية شهر حزيران من عام 1980 قامت المخابرات العسكرية بالتعاون مع مخابرات القوى الجوية وسرايا الدفاع والوحدات الخاصة بمداهمة مساجد دمشق بعد منتصف الليل، وتم اعتقال جميع الموجودين فيها من مصلين وأئمة ومؤذنين وخدام، إضافة إلى طلبة العلم الشرعي الذين يقيمون في الكثير منها، وبينهم عدد كبير من غير السوريين من بلاد إسلامية مختلفة، ومن مسلمي أوربا، كما اعتقل عدد كبير من الأشخاص العاديين الذين صادفتهم دوريات المخابرات في طرقات وشوارع المدينة عشوائياً دون رحمة أو قانون، وانتهك المجرمون حرمات بيوت الله، عندما خلعوا

الأبواب المقفلة ودخلوا بنعالهم إلى المساجد، وقاموا بتفتيشها، ورموا الكتب والمصاحف الموجودة بمكتباتها على الأرض، ونهبوا الكتب والسجاجيد (10)، وحطموا النوافذ عندما عجزوا عن تحطيم الأبواب الضخمة الأثرية القديمة (11)، وفي اليوم التالي استدعى محمد محمد الخطيب وزير الأوقاف علماء دمشق لمكتبه في الوزارة، وبعد اجتماع قصير بينهم، حضرت سيارات المخابرات، وقادت جميع العل ماء لمقابلة المجرم حافظ أسد يهوذا الذي فشل سابقاً في مقابلتهم، عندما استدعاهم عدة مرات أثناء موجة الأحداث العارية في الشهور الماضية، لأنهم كانوا يرفضون ذلك بشدة، يومها أخذ الطاغية يهدد ويتوعد، وكان مما قاله: إن أمن البلاد فوق أي اعتبار، وما تم تخريبه ستقوم وزارة الدفاع بإصلاحه، وإن المساجد ملك للدولة . وأردف قائلاً: إن الحجاج قد هدم الكعبة في يوم من الأيام، فرد عليه أحد العلماء : بأن الحجاج قد فعل ما فعل فاستحق لعنة التاريخ إلى يوم الدين، فغضب المجرم وهاجم العلماء بألفاظ فظة وقال لهم: إنكم تسكتون عن الجرائم التي يرتكبها الإخوان المسلمون، أما إذا قامت الدولة بأي إجراء أمني ضروري فإنكم تنتقدون تلك التصرفات . وانفضّ الاجتماع بعد أن وعدهم بإخلاء سبيل جميع الأبرياء!!.

وتمادى النظام في تلك الأيام في طغيانه غير آبه للنتائج، وقرر أن يقطع طريق الإجرام حتى النهاية، لقد أحدثت جريمة مداهمة المساجد ردود فعل عنيفة، حتى بين رموز السلطة، فبعضهم عارض العملية قبل حدوثها كالعقيد محمد مسعود (رئيس فرع فلسطين التابع للمخابرات العسكرية بدمشق) والذي عارض العملية الهمجية، ورفض المشاركة بها، واقترح على علي دوبا (رئيس المخابرات العسكرية) أن يتم استدعاء بعض الأئمة ومستخدمي المساجد، وإغرائهم بالمال، ليكونوا مخبرين للسلطة ضمن مناطق عملهم، لأن ذلك أجدى من هذه العملية التي ستؤدي في النهاية إلى تجميع عدد كبير من المواطنين العاديين الذين يمكن جمعهم من الشوارع دون أي عناء (حسب رأيه)(12) لكن علي دوبا ورفعت أسد لم يلتفتا لهذا الرأي، وقررا القيام بتلك الجريمة، غير آبهين للنتائج الوخيمة، فالمهم عندهم : هو إسكات المعارضة، ولو

كلفهم ذلك ذبح الشعب بأكمله والظروف الدولية في تلك الأثناء كانت تشجع النظام على التمادي في طغيانه، فالتعتيم الإعلامي على جميع جرائم ه ضد المسلمين من الشعب، مع الدعم المادي والمعنوي من مختلف الجهات العربية والعالمية، فعلى سبيل المثال قد تم التعتيم إعلامياً على جريمة مداهمة مساجد دمشق فلم تذكرها سوى إذاعة لندن وصوت أمريكا بطريقة عابرة، أما بقية الجرائم التي تقترف في المدن الأخرى والمناطق النائية، فلا يذكرها أحد ما دامت ضد المسلمين.

لكن، في هذه الأثناء، تمكن المجاهدون في مدينة حلب من قتل لجنة من المحققين التابعين للمخابرات العسكرية، ممن تم تدريبهم في روسيا، وكانت تضم أربعة أشخاص، ونفذت هذه العملية في قلب مدينة حلب أمام الفندق السياحي وقد أرسلت هذه اللجنة من دمشق لدراسة ملفات وقضايا المعتقلين الذين تم تجميعهم في ثكنة وفرع السريان ومدرسة المدفعية بالراموسة التي تحولت إلى سجن مؤقت، وكان القسم الأعظم منهم قد تم اعتقالهم بصورة عشوائية أثناء عمليات التمشيط والمداهمة التي قامت بها الوحدات الخاصة والفرقة الثالثة وعجز المحققون في فرع السريان عن القيام بإجراءات التحقيق المطلوبة من هذا العدد الضخم من المعتقلين (الذي يعد بالمئات) فطلبوا من دمشق تزويدهم بعدد من المحققين لهذا الغرض ليتسنى لهم فرز المعتقلين، وإرسال من يريدون لدمشق أو سجن تدمر والاحتفاظ بالباقين في مدينة حلب، وإخلاء سبيل من لا يوجد داع لاعتقالهم.

فقدت السلطة صوابها تلك العملية الكبيرة فقامت المخابرات العسكرية بإرسال جميع من تبقى من المعتقلين الموجودين في ثكنة هنانو إلى سجن تدمر، وعددهم 170 سجيناً، فكانت أكبر دفعة تدخل سجن تدمر في تلك الظروف، علماً أن معظمهم من عامة الشعب، بلا انتماء سياسي.

مجزرة سجن تدمر:

واختتم النظام جرائمه خلال تلك الفترة بمجزرة سجن تدمر الكبرى، التي كانت بداية لمرحلة جديدة حالكة السواد في تاريخ سورية المعاصر، تميزت بالمجازر الجماعية بحق المسلمين، فقد تمادى النظام في جرائمه التي بلغت ذروتها بمجزرة حماة الكبرى خلال شهري شباط وآذار من عام 1982.

من المعروف عن سجن تدمر أنه مخصص للعسكريين الذين يرتكبون جرائم عادية (غير سياسية) أثناء فترة الخدمة العسكرية فيحالون للقضاء العسكري ليصدر بحقهم عقوبات مختلفة ويتم تحويلها بعد ذلك إلى سجن تدمر لقضاء مدة العقوبة.

ولعل أكثر المخالفات شيوعاً بالنسبة للعسكريين، الفرار من الخدمة العسكرية، وأطلق عليه اسم (سرية التأديب) ويتبع لجهاز الشرطة العسكرية (لكونه سجناً عسكرياً) ومع ذلك فقد استخدم كمعتقل للسياسيين في عقود السنوات الماضية، وهذا ما عرفته أثناء فترة اعتقالي، لأن بعض الأخوة التقوا أثناء فترة اعتقالهم ببعض الأشخاص الذين سجنوا فيه سابقاً بتهم سياسية، وكما ورد في كتاب تدمر المجزرة المستمرة (ص19) أن عدداً من قادة الإخوان المسلمين والأحزاب الأخرى قد دخلوا سجن تدمر بنهاية عام 1966 وكان منهم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والدكتور محمود بابللي، وعادل كنعان وأحمد بنقسلي وعبد الرحمن قره حمود والشيخ مروان حديد، وكذلك الأستاذ جودت سعيد، والأستاذ مصطفى الأعسر ورشدي كيخيا، ونصري كساب وقد أفرج عنهم بعد هزيمة حزيران عام 1967.

وفي نهاية عام 1979(13) ومع اشتداد الأحداث عقد المؤتمر القطري السابع لحزب البعث في دمشق بالصالة الرياضية بحي المزرعة وتحدث المجرم رفعت الأسد مهدداً ومتوعدا بقتل عشرين بالمائة من الشعب ليعيش الباقون بأمن وأمان، واستشهد بالمجازر التي ارتكبها ستالين من أجل تثبيت أركان الشيوعية في الاتحاد السوفيتي (14)، كما تحدث عما أسماه بمشروع التطهير الوطني الذي يجب أن يطول كل معتنق للمبادئ الرجعية الهدامة. (حسب قوله) على أن تنشأ معسكرات خاصة

لذلك المشروع في صحراء تدمر لتخضير الصحراء، مع وضع برامج تثقيفية قومية اشتراكية لأولئك الأشخاص، والذين عليهم أن يجتازوا امتحانات خاصة ليعاد إليهم اعتبارهم، وبالتالي يعودون لحياتهم العادية.

لقد تسربت كلمات رفعت الأسد لخارج المؤتمر، وأحدثت ردود أفعال عنيفة داخل البلاد وخارجها، وقام المجاهدون بنشر مقاطع من ذلك الخطاب بمنشوراتهم التي وزعوها في تلك الأيام، وربما كانت كلمات رفعت أسد بمثابة بالون اختبار للشعب تجاه هذا المشروع، أو ربما ارتكب حماقة كبيرة عندما أفصح عما كانوا يخططون له، لأنه (أي رفعت أسد) مشهور برعونته وحماقته، ولأن القضايا الأمنية الحساسة بالنسبة للنظام والطائفة العلوية تتم مناقشتها في اجتماعات سرية مغلقة بين حافظ أسد وأركان نظامه من الضباط النصيريين، ثم بينه وبين ما يسمى بالمجلس الملّي للطائفة النصيرية... ولا تجري مناقشتها في اجتماعات عامة، كمؤتمرات الحزب، واجتماعات الحكومة، وغيرها، ولا يتم إعلام الخدم والإمعات والدمى إلا بقدر وفي اللحظات الأخيرة (عند التنفيذ).. أو إذا تطلب الأمر أية حركات تمثيلية بهدف إضفاء الصفة القانونية على تلك الإجراءات التي يقررها القوم، وما على الإمعات والخدم إلا الموافقة، دون أي تردد أو مناقشة والدليل على صحة ما نقول، أنه بينما كان رفعت أسد يتكلم عن مشروعه المذكور، كانت ورشات البناء تقوم بتدشين سجن جديد في تدمر على مقربة من السجن القديم المعروف.

تصاعدت الأحداث كثيراً في الشهور الأولى من عام 1980 مما أفقد السلطة صوابها ورشدها، وجاءت عملية تهريب الأخوة المعتقلين من سجن كفر سوسة يوم 1980/5/25 لتخرج ذلك المشروع المخطط له إلى حيز التنفيذ، وقبل أن يكتمل بناء سجن تدمر الجديد وكان القديم مكتظاً بالسجناء القضائيين صدر مرسوم جمهوري بالعفو عن سجناء تدمر العسكريين، وفيه تم تفريغ السجن القديم من جميع نزلائه، وأما الذين حكموا بعد صدور المرسوم المذكور، فقد نقلوا للخدمة في السجن القديم، ريثما يتم استكمال السجن الجديد، عندئذ صدرت الأوامر لفروع المخابرات بتحويل

المعتقلين الإسلاميين بعد انتهاء التحقيق إلى سجن تدمر، وقد وصلت ثلاث مجموعات من المعتقلين قبل المجزرة وهم:

* المجموعة الأولى: وتضم المعتقلين الذين جمعوا في سجن القلعة في دمشق وهم من معتقلي المخابرات العامة وشعبة الأمن السياسي، وكانوا قد اعتقلوا عامي 1979- 1980 من جميع المحافظات، وأفرجت السلطة في بداية عام 1980 (شباط- آذار- نيسان) عن عدد كبير ممن اعتقلوا عام 1979 وهم من أعضاء التنظيم السياسي، أو ممن ليس لهم علاقة بالتنظيم أصلاً، وأما الذين لهم علاقة بالتنظيم المسلح والذين لم يمض على اعتقالهم مدة محددة (ستة أشهر) فلم يفرج عنهم، لأن التحقيق لما ينته بعد (راجع فصل الاعتقال التعسفي).

وعدد أفراد هذه المجموعة حسب أكثر الروايات يتراوح بين الـ 500 و600 شخص، كان بينهم الشيخ محمد خير زيتوني ورياض جعمور اللذان نقلا إلى دمشق لأجل التحقيق قبل المجزرة بعدة أيام، ثم أعيدا بعدها، وتشكل هذه المجموعة القسم الأكبر من السجناء الذين كانوا في السجن أثناء المجزرة، أذكر منهم الأسماء الآتية:

1- عبد الله حياتلة: معلم مدرسة وهو فلسطيني مقيم بحمص واعتقل عام 1979.

2- محمد مهتدي كسحة (والد الشهيد باسل كسحة): موظف من مدينة حلب، اعتقل عام 1979.

3- الأستاذ إبراهيم عاصي ويعمل مدرساً وله عدة مؤلفات وهو من جسر الشغور اعتقل 1979.

4- حسان سعيد طبيب من حلب اعتقل عام 1979.

5- محمود العابد طبيب من حماة اعتقل عام 1979.

6- نائل عثمان: عامل من مدينة حلب اعتقل عام 1979.

* أما المجموعة الثانية من المعتقلين، فكان مصدرها فرع المخابرات العسكرية في حمص، فقد باشر المجرم غازي كنعان بإرسال المعتقلين لسجن تدمر

منذ وقت مبكر، وتحديداً منذ شهر أيار عام 1980 لأن سجن البولوني الموجود في ثكنة خالد بن الوليد بحمص لم يعد يتسع للمعتقلين الذين زاد عددهم، كما اشتدت حملة الاعتقالات بعد استشهاد المرحوم عبد المعين السيد وإخوانه في بداية شهر حزيران من ذلك العام، عندها فقد المجرم غازي كنعان صوابه، وراح يعتقل الناس خبط عشواء، ويرسلهم إلى تدمر.

ويمكننا تقدير عدد معتقلي هذه المجموعة بحوالي 200 معتقل، لأن فرع حمص كان يرسل دفعة واحدة أسبوعياً، يتراوح عدد أفرادها بين عشرين وثلاثين شخص. وبذلك يمكننا أن نقدر عدد الذين أرسلوا خلال هذه المدة (حوالي شهر) بمئة معتقل، يضاف إلى ذلك المعتقلون الذين تم جمعهم سابقاً وهم ممن أخلي سبيلهم في بداية عام 1980 وكان غازي كنعان قد أعاد اعتقالهم وعددهم حوالي 80 شخصاً، ولا أعرف بالضبط عدد الذين تمكن غازي كنعان من إعادة اعتقالهم، إذ إن قسماً منهم قد نجح بالفرار من البلاد ويضاف إلى هذه المجموعة أيضاً : الأشخاص الذين تمكن من كشفهم واعتقالهم أول مرة، ويمكن تقدير هذ ه المجموعة بمئة معتقل، وبالتالي يصبح مجموع معتقلي مدينة حمص 200 معتقل، أذكر منهم:

1- الدكتور توفيق دراق السباعي: أخصائي بالأمراض العصبية من كندا.

2- محمد أدهم عضيم مهندس مدني.

* أما المجموعة الثالثة فكانت من معتقلي دير الزور : عندما اندلعت المظاهرات في شهر آذار من عام 1980 وشارك طلاب المدارس في تلك المظاهرات، فأرسلت السلطة قوات البادية (الهجانة) لقمع المظاهرات، واعتقلت عدداً كبيراً من الطلاب الذين شاركوا فيها، وبعد التحقيق معهم أرسلوا إلى تدمر في شهر حزيران من نفس العام، وقد سمعت روايات مختلفة حول عدد هؤلاء المعتقلين، قال لي أحد الأخوة من أبناء مدينة دير الزور بأن عددهم ستون طالبا، ولدى منظمة العفو الدولية أسماء لثمانية وثلاثين شخصاً وقد عرفنا أنه لا يصل إلى علم تلك المنظمة سوى جزء يسير من عدد المعتقلين لا يساوي ربع العدد الحقيقي، وهذا ما عرفته من

دراسة العديد من تقارير المنظمة الصادرة في فترات مختلفة، وتوصلت لتلك القناعة، وسببها أن المصدر الوحيد الذي تعتمد عليه المنظمة لمعرفة أسماء المعتقلين هو أقارب المعتقلين الذين يراسلون المنظمة، وهذا لا يتم إلا إذا كان للمعتقل أقارب يقيمون خارج سورية، ليتمكنوا من ذلك .. يضاف إلى هذا: أن المنظمة المذكورة لا تقبل ولا تتبنى تلك الأسماء، إلا إذا وصلت إليها معلومات متطابقة عنهم من عدة مصادر، أي يجب أن يراسل المنظمة عدد من أقارب المعتقل بنفس الوقت، وهذا أمر لا يتوفر لأغلب المعتقلين. لذلك يمكننا أن نقدر عدد معتقلي هذه الفئة بحوال ي مائة شخص.

وبذلك يمكننا تقدير عدد شهداء مجزرة تدمر من 800 إلى 900 معتقل.

وقبل أن أختم حديثي حول هذا الموضوع لابد أن أذكر رواية سمعتها أثناء فترة وجودي في تدمر، أن أحد الأخوة توصل لمعلومات من بعض أزلام السلطة مفادها أن عدد شهداء المجزرة كان 1181 شخصاً، وأنا لا أستطيع رد أو قبول تلك الرواية، فليس لدي دليل على ذلك، إنما سجلها دون تعليق.

وصف المجزرة:

لم تتناه لعلمنا تفاصيل تلك المجزرة إلا في منتصف عام 1981 من إخوة وصلوا إلى السجن، وقد سمعوا إفادات اثنين من المجرمين الذين شاركوا بتلك الجريمة، وهما الرقيب عيسى إبراهيم فياض، والعريف أكرم بيشاني واللذان وقعا في قبضة السلطات الأردنية، بعد أن أرسلا بهدف اغتيال مضر بدران رئيس وزراء الأردن عام 1981 وظهر المجرمان على شاشة التلفزيون وشرحاً بالتفصيل كيف تمت تلك المجزرة الوحشية، وسجلت تلك المقابلة على أشرطة فيديو، ونشرت خلاصة عنها في كتاب (تدمر المجزرة المستمرة) الذي استقينا منه تفصيلات هذه المجزرة وإليكموها كما نشرت:

في تمام الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم 1980/6/27 دعيت

مجموعتان من سرايا الدفاع (التي يقودها الزنيم رفعت أسد) للاجتماع بلباس الميدان الكامل، فالمجموعة الأولى من اللواء 40 والذي يقوده الرائد معين ناصيف زوج تماضر بنت رفعت أسد، والمجموعة الثانية من اللواء 138 والذي يقوده المقدم علي ديب، وكل مجموعة يزيد عددها عن مئة عنصر. اجتمعت المجموعة الأولى في سينما اللواء نفسه، وألقى المجرم معين ناصيف كلمة متقيئاً (راح تقوموا بهجوم على أكبر وكر للإخوان المسلمين وهو سجن تدمر مين ما بدو يقاتل؟) لم يرفع أحد منهم يده أو صوته تعبيراً عن عدم رضاه بالقتال. في مطار المزّة التقت المجموعتان، كانت في انتظارهم عشر طائرات هليوكوبتر، كل طائرة تتسع لأربعة وعشرين عنصراً. كان قائد العملية المقدم سليمان مصطفى وهو قائد أركان اللواء 138 ومن الضباط المشاركين الملازم أول ياسر باكير، والملازم أول منير درويش، والملازم أول رئيف عبد الله، أقلعت طائرات الهيلوكبتر الساعة الخامسة صباحاً، ووصلت مطار تدمر الساعة السادسة وعقد اجتماع لضباط العملية تم فيه تو زيع المهمات وتقسيم المجموعات، ثم أعطي العناصر استراحة لمدة ثلاثة أرباع الساعة، بعد ذلك دعي عناصر سرايا الدفاع للاجتماع وتم تقسيمهم لثلاث مجموعات:

1- المجموعة الأولى (80 عنصراً) كلفت بدخول السجن، وسميت مجموعة الاقتحام!!.
2- المجموعة الثانية (20عنصراً) لحراسة الطائرات.
3- المجموعة الثالثة بقية العناصر للاحتياط في المطار.

ركبت المجموعة الأولى السيارات، وعند وصولهم للسجن تم تقسيمهم لمجموعات، تتألف كل واحدة من 6 إلى 10 عناصر يقودها أحد الضباط.

كان مدير السجن على علم مسبق بالأمر فسلّم عناصر السرايا مفاتيح السجن وأرسل معهم بعض الجنود (من الشرطة العسكرية العاملين في السجن) مرشدين لهم (لأن عناصر السرايا لا يعرفون مداخل السجن والزنازين..)

يتألف سجن تدمر من 32 زنزانة جماعية موزعة على خمس باحات عدد

المعتقلين وقتها حوالي 800 - 1000 شخص ونفذت المجزرة على مرحلتين:

بالمرحلة الأولى تم إخراج المعتقلين من الزنازين المطلة على الباحة الأولى والثانية والثالثة، جمع معتقلو الباحة الأولى في زاوية من الباحة الشمالية الشرقية، أما نزلاء الباحة الثانية، فجمعوا في آخر الباحة مقابل نهاية المهجع رقم (8) ذي الشرفة الواسعة (راجع فصل وصف سجن تدمر).

أما نزلاء الباحة الثالثة فجمعوا في الزاوية الشرقية الجنوبية من الباحة أمام المهجع رقم (12). تعرض المعتقلون في اليوم السابق لتعذيب شديد فأصيب الجميع بالذهول عندما فوجئوا بالشرطة يقتحمون الأبواب ويخرجونهم على هذه الصورة في ذلك الوقت (الساعة السابعة صباحاً) أعطيت الأوامر بإطلاق النار على جميع المعتقلين، فانهمر الرصاص يحصد أولئك الأبرياء، كما قام المجرمون بإلقاء عدة قنابل يدوية، وخاصة في الباحة الثانية، وتمكّن أثناءها بعض المعتقلين في الباحة الأولى من الهرب والدخول إلى المهجع رقم (4) فتبعهم عدد من المجرمين وأطلقوا عليهم النار وقتلوهم، بعد ذلك قام القتلة بتقليب جثث الضحايا والإجهاز على كل من لاحظوا فيه بقية من حركة أو رمق، وهكذا أجهز المجرمون على المجموعة الأولى من المعتقلين، ثم انتقلوا إلى الباحة الرابعة، ففتحت المهاجع وطلب الشرطة من السجناء الابتعاد عن الأبواب وقام القتلة بإلقاء القنابل اليدوية على المعتقلين، وفتحوا عليهم أسلحتهم النارية، حتى أجهزوا على الجميع، وخرج القتلة بعد ذلك إلى الباحة الثالثة، ودخلوا الباحة السادسة وفعلوا بمعتقليها مثلما فعلوه بمعتقلي الباحة الرابعة، ولكن أحد الإخوة تمكن من الاختباء في دورة المياه القريبة من باب أحد المهاجع، وتمكّن من انتزاع البندقية من أحد القتلة، وأجهز عليه، ويدعى الرقيب إسكندر أحمد، وجرح شخصين آخرين، لكن أحد المجرمين أطلق عليه النار وقتله . ثم قلب القتلة جثث الضحايا، فأجهزوا على كل من وجدوا فيه بقية رمق، وتلطخت أيديهم وثيابهم بدماء الضحايا، وهكذا، وفي خلال دقائق أصبح جميع معتقلي سجن تدمر في عالم الآخرة..عاد المجرمون من حيث أتوا، ووصلوا مطار المزّة بتمام الساعة الثانية

عشرة والنصف، وانصرفت كل مجموعة إلى لوائها ... كان الرائد معين ناصيف بانتظار المجموعة التي خرجت من اللواء 40 ليشكرهم على جهودهم، وقال لهم : (أنتم قمتم بعمل بطولة بعمل رجولة) ثم أمرهم بكتمان العملية وقال (ما لازم تطلع هالعملية خارج منّا !؟ يعني لازم تظل سرية ومكتومة) وفي اليوم التالي وزعت السلطة مبلغ (200 ل.س) على كل عنصر من العناصر الذين شاركوا بالمجزرة ." أ هـ.

تسرّب أخبار المجزرة:

رغم محاولة المجرمين إخفاء تلك الجريمة، فقد تسربت أخبارها منذ الأيام الأولى لوقوعها، وانتشرت الإشاعات في جميع أنحاء البلاد، لأن أجواء الكبت تساعد كثيراً على انتشار الإشاعات وتضخيمها(15)..

سمعنا بالمجزرة بعد شهر واحد من حدوثها، عندما وصلنا إلى السجن، واجتمعنا باخوة التقوا أثناء وجودهم بفرع المخابرات ببعض المعتقلين بعد المجزرة، كما سمعنا مرة ثانية في شهر تشرين الأول من عام 80 عندما التقينا باخوة آخرين، وكان من بين الإشاعات التي سمعناها أن الشرطة العسكرية قد أخرجوا السجناء إلى الصحراء، وقاموا بقتلهم هناك، كما راجت إشاعة أخرى مفادها : أن السجناء حاولوا الفرار من السجن، فتصدى لهم حرس السجن، وقتلوا كثيراً منهم . وإشاعة ثالثة تقول: إن السجناء قد تمردوا داخل السجن، فأدى ذلك لتدخل الجيش، وبالتالي قتل عدد كبير من السجناء.

بالتأكيد... إن سكان مدينة تدمر قد علموا بتلك المجزرة، لأنه باستطاعة الناس الذين يسكنون قرب السجن أن يعلموا بما يجري داخل الأسوار، وهذا ما عرفناه أثناء وجودنا هناك، لأننا كنا نسمع أصوات الناس خارج السجن، كأصوات الأولاد أثناء اللعب، والزغاريد أثناء حفلات الزواج، إضافة لصياح الديكة، وبالتالي فإن المجاورين للسجن لا يصعب عليهم أن يعلموا بوقوع المجزرة في حينها، لسماعهم

طلقات الأسلحة النارية، مع تفجير القنابل التي اختلطت مع صيحات الضحايا، وكذلك الأمر بالنسبة للقطع العسكرية المحيطة بالسجن، خاصة الوحدات الخاصة المكلفة بحماية السجن من الخارج، وهذا ما علمته بعد خروجي من السجن..

ومهما يكن من أمر، فقد حُسم الشك باليقين، وتأكدت تلك الإشاعات بصورة لا تدع مجالاً لأي شك أو التباس، بعدما عرض التلفزيون الأردني اثنين من عناصر سرايا الدفاع عندها أيقن جميع الناس بوقوع المجزرة، مما أحدث ردود فعل عن يفة داخل سورية وخارجها، وقام العديد من وجهاء المدن بمقابلة المجرم حافظ أسد الذي أجابهم كعادته بطريقة ملتوية (كباطنيته) فهو لم يفند تلك الأخبار ولم يؤكدها، واكتفى بالقول:" لقد شكلنا محاكم ميدانية لتبتّ في أمر المعتقلين في تدمر . واحتجّت العديد من المنظمات الإقليمية والدولية على تلك المجزرة، مما أربك النظام، فما كان من المخابرات النصيرية إلا أن دبّرت عملية اختطاف للسفير الأردني بلبنان في تلك الأثناء، ولكن أُرغم النظام النصيري على إطلاق سراحه نتيجة ردود الأفعال والضغوط التي تعرّض لها.

وكان لتسرّب أخبار المجزرة أسوأ الأثر على ذوي المعتقلين الذين سيطر عليهم القلق على مصير أبنائهم، وخاصة الذين اعتقلوا قبل المجزرة (16)، وهذا ما مكّن أزلام النظام من ابتزاز المزيد من الأموال من أولئك المساكين (راجع فصل الزيارات بسجن تدمر) إذ اتبع المجرمون طريقة في غاية الخبث والخسّة، لأ نهم لم يفاتحوا أحداً من ذوي المعتقلين بمصير أبنائهم حتى ساعة كتابة هذه السطور (نهاية عام 1991) وما زال أولئك المساكين يعيشون بقلق دائم مشوب ببعض الأمل، وينتقلون من مدينة لأخرى، ويدفعون الرشاوى لأزلام النظام الذين يمنونهم بالوعود المعسولة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

آثار المجزرة:

بعد المجزرة قام جهاز السجن بإزالة آثارها، فنقلت جثث الضحايا بالسيارات

العسكرية، وتم دفنهم بصحراء تدمر بمقابر جماعية، ويقال بأنهم دفنوا بعض الأشخاص الذين ما زالوا على قيد الحياة، كما قاموا بإزالة آثار الدماء من باحات وزنازين السجن، وباشرت ورشات الدهان والبناء بترميم الجدران وطلائها، وعاد سجن تدمر لاستقبال المعتقلين بعد أقل من ثلاثة أسابيع من المجزرة وعندما دخلنا السجن (بشهر تموز) كانت ورشات الدهان والترميم تواصل عملها، ورغم جميع محاولات طمس آثار المجزرة، فقد بقيت آثارها ظاهرة على بعض الجدران، وهذه أمثلة على ذلك..

ففي المهجع 19 من الباحة الرابعة بقيت بعض بقع الدم على الجدران، إضافة لقطعة من فروة الرأس التي التصقت بالسقف، نتيجة لإلقاء القنابل اليدوية على السجناء، وكذلك الأمر في المهجع 18 في نفس الباحة، فهو يحتوي على بقع دم على جدرانه إضافة لبعض الحفر نتيجة لإطلاق النار، أما في المهجع الرابع في الساحة الأولى فقد تمكّن بعض السجناء من الاختباء داخل المهجع في دورات المياه القريبة من الباب فتبعهم عدد من المجرمين وأجهزوا عليهم، وبعد المجزرة وصلت أولى الدفعات للمهجع المذكور فلاحظوا انسداداً بدورات المياه فحاولوا فتحها دون جدوى فقام أحد المعتقلين بإدخال يده لإزالة الانسداد فحصل على عدد كبير من الخراطيش الفارغة.

سوء معاملة المعتقلين في جميع السجون بعد المجزرة:

لقد كانت تلك الفترة (نهاية شهر حزيران من عام 1980) عصيبة جداً على جميع المعتقلين في كل السجون، ولكن بلغت ذروتها بالنسبة لنزلاء سجن تدمر الذين تعرضوا للإبادة الجماعية (راجع فصل المجزرة).

لقد صدرت الأوامر من الجهات العليا بإساءة معاملة المعتقلين في جميع السجون، وهذا أمثلة على ذلك:

ففي سجن المزّة بدمشق دخل الجلادون إلى الزنازين المخصصة للإسلاميين

وبأيديهم السياط وانهالوا على السجناء ضرباً وإهانة، وبعد انتهاء (الحفلة) قالوا لهم : لقد جاءتنا الأوامر بهذا، ونحن أدينا واجبنا (أي بتنفيذ الأوامر الصادرة من الفراعنة إلى عبيدهم) كما صودرت الكتب والمصاحف وأجهزة الراديو، ومنعت الزيارات (17) وتم نقل جميع الإسلاميين لسجن تدمر بعيد المجزرة ومُنعت الصلاة منذ ذلك الحين وحتى الآن.

وفي سجن (كفر سوسة) تعرّض المعتقلون للإهانة والإيذاء، ومُنعت الصلاة وصودرت المصاحف التي كان مسموحاً بها قبل ذلك.

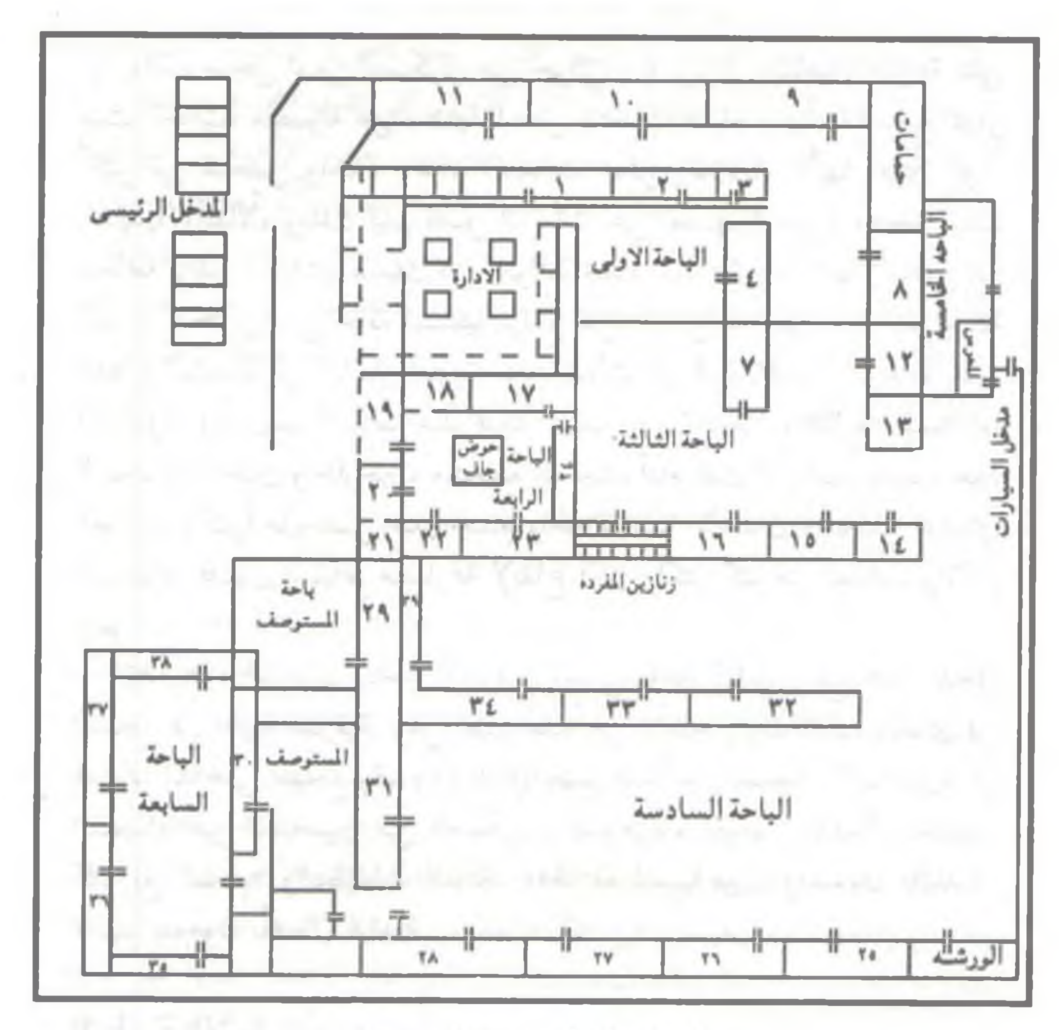
أما في السجن المركزي بحلب، فقد وصلت الوحشية ذروتها عندما دخل ت عناصر الوحدات الخاصة إلى الزنازين يحملون بأيديهم الكبلات الكهربائية، وطلبوا من المعتقلين أن يخلعوا ملابسهم، وانهالوا عليهم ضرباً، وطلبوا منهم الخروج لساحة السجن.. بعد ذلك طلب الجلادون من السجناء أن ينقسموا إلى ثلاث مجموعات، الأولى أمرت بالاستلقاء على الأرض، والمجموعة الثانية أُمروا بالجلوس على بطون المطروحين أرضاً، والمجموعة الثالثة يمسك أفرادها بأقدام الذين استلقوا على الأرض، ويقومون بجرّهم، والسياط تنهال على الجميع، تلسع وتمزّق جلودهم . إن المرء يعجز عن أن يصف المشهد، فالحصى والأشواك تمزّق أجسام الأخوة ا لذين يستلقون على الأرض، أما البقية فالسياط تلهب أجسامهم، وبعد أن امتلأت الساحة ببقع الدم، طلب المجرمون من الجميع أن يزحفوا على الأرض، والسياط تلسعهم، بل تشوّهم، والجلادون يدوسون عليهم بنعالهم، حتى تعب الأوباش من تلك المجزرة الهمجية، عند ذلك طلبوا من المعتقلين الدخول لزنازينهم، وقد امتلأت أجسامهم بالجروح والقروح، وبقيت آثار تلك الحفلة الرهيبة على أجسام البعض عدة سنوات، تشهد على همجية أولئك الأوباش وساديتهم.

وصف سجن تدمر:

لابد لنا قبل الحديث عن إرسالنا لسجن تدمر، وكيف قضينا تلك الأيام، من

لحظة دخولنا وحتى ساعة خروجنا، من تقديم لمحة موجزة عنه، نصف فيها ذلك السجن، ليتمكن القارئ من تصوره، واستيعاب الأحداث، والأماكن التي وقعت فيها تلك الأحداث.

دخلنا سجن تدمر في شهر تموز من عام 1980 وخرجنا منه بعد سنوات عجاف مريرة مرارة الموت والعلقم، وكنا مغمضي الأعين عند دخولنا وخروجنا، لذلك لم نر شيئاً من معالم السجن الخارجية، أما معالمه الداخلية، فإنني أعلمها بكل تفاصيلها، لأننا تنقلنا خلال فترة وجودنا هناك بين مختلف الباحات، كما قمنا بأعمال السخرة، كتوزيع الطعام والماء والتنظيفات، خلال فترة طويلة من وجودنا فيه، مما أتاح لنا معرف معالم السجن الداخلية بكل تفاصيلها.



(مخطط سجن تدمر)

المواصفات:

يتألف سجن تدمر العسكري من حوالي 40 زنزانة جماعية، موزعة على ست باحات، مفصولة عن بعضها البعض بفتحات ضيقة نسبياً، لا تسمح بمرور أكثر من شخص واحد، وهذه الفتحات يمكن إغلاقها، لأنها تحوي أبواباً حديدية وأقفالاً، وذلك ليتم فصل الباحات عن بعضها البعض، وفتحة الباب محاطة بإطار حديدي سميك ذي حواف حادة نسبياً، وأما الجهة السفلى من الباب، فتحتوي على حافة إسمنتية ترتفع عن الأرض 30 إلى 40 سم لعرقلة اندفاع السجناء إلى الباحة المجاورة عند حدوث أي تمرد بالسجن، وعادة يقف الجلادون وبأيديهم السياط عند فتحة الباب من الداخل والخارج، ليستقبلوا السجناء الداخلين والخارجين، ويتجمع السجناء أمام تلك الأبواب، بسبب هذه العوائق، وكثيراً ما يحصل عند الحمام والحلاقة هذا الاختناق والتجمّع البشري للسجناء، فتنهال السياط متسارعة لإيقاع أكبر وأكثر كم من العذاب والآلام بهم.

تبدأ هذه الباحات بباحة الإدارة، وتسمى باحة القلم، وتقع عند مدخل السجن في الجهة الشرقية، وهي تضم عدداً من الأشجار والمكاتب، وتحوي في قسمها الداخلي المهجع رقم(1) الذي يضم عدداً من السجناء القضائيين، أي السجناء غير السياس بين من العسكريين، وهؤلاء يقومون بأعمال الخدمة، كتوزيع الطعام، والتنظيفات العامة، والحلاقة للمساجين، ويسمون بالبلدية، لأنهم يقومون بأعمال البلدية.

الباحة الأولى:

وتأتي بعد باحة القلم، ويطلق عليها السجناء اسم باحة التعذيب، أو باحة الاستقبال، ويفصلها عن باحة الإدارة باب حديدي بمغلاق، وتضم أربعة مهاجع مرقمة بالتسلسل 2، 3، 4 بالإضافة إلى المهجع المزدوج رقم (5، 6) وأرضها مفروشة بالإسفلت المتآكل، لتعاقب المساجين والزمان، إذ تحتوي الكثير من الحفر، وتجري فيها حفلات الاستقبال البشعة للقادمين الجدد، كما أنها استعملت للحلاقة في الأشهر

الأولى بعد المجزرة الدموية، وقد مُلئ المهجعان 4 و 5 – 6 المزدوج من الأيام الأولى التي تلت المجزرة البشعة، وأما المهجعان 2، 3 فقد ملئا في عام 1981 ويعتقد بعض الإخوة أن المهجعين المذكورين كانا يضمان سجناء سياسيين غير إسلاميين، لأن معاملتهم كانت أفضل (نسبياً) من معاملة من معاملة بقية السجناء الإسلاميين، وأما المهجع رقم (4) فيقال: إنه كان في الماضي صالة للسينما أو للمسرح، لأن تصميمه الداخلي يدل على هذا الغرض، أما المهجع المزدوج رقم 5 – 6 فإنه كبير ولكنه مظلم ورطب، وقد انتشر مرض السل بين نزلائه عام 1982.

الباحة الثانية:

وتسمى أيضاً بباحة الحمام، وهي تتصل بالباحة الأولى بباب حديدي، وهي تضم أربعة مهاجع هي: المهجع رقم 8 ويليه الحمام الذي يتألف من غرفتين، كما تحتوي الباحة على صنبور ماء قرب الحمامات، ثم المهجع رقم 9 و 10 و 11 وهذه الباحة على شكل زاوية قائمة، والمهجع الأخير رقم 11 تفصله عن بقية المهاجع باحة صغيرة لها باب مستقل، وقد استعملت هذه الباحة للحلاقة أيضاً والتعذيب في صيف عام 1980 لذلك فإن الأخوة نزلاء الباحتين الأولى والثانية كانوا يعيشون في حالة دائمة من الخوف والذعر بسبب سماعهم صراخ المعذبين، خاصة نزلاء المهجع رقم 4 الذي تطل نوافذه الخلفية على باحة الحمام، واستخدم المهجع رقم 11 في البداية لتجميع الأخوات المعتقلات من حرائر المسلمين، استبدل في منتصف عام 1981 بغرفة المستوصف التي تقع عند مدخل الباحة السابعة، وفي شهر تموز من عام 1981 قام جهاز السجن بفرز المعتقلين، واستخدم المهجع رقم 8 لتجميع المعتقلين الذين حكموا بالبراءة وكان عددهم حوالي مئة شخص.. وكانت المهاجع الأخرى تضم عدداً كبيراً من الأبرياء، ولكنهم اكتفوا بفرز السجناء القدماء والذين دخلوا السجن بعد المجزرة الدموية مباشرة.. وعومل هؤلاء في البداية بصورة أقل فظاظة من بقية السجناء نزلاء الزنازين الأخرى، ولكنها ما برحت أن ساءت المعاملة فيما بعد،

ليستوي الجميع في الآلام. وأما المهجع رقم 9 فاستخدم للمعتقلين الذين حكموا في سجن المزّة أحكاماً تتراوح ما بين العامين والخمسة، واستخدم المهجع رقم 10 لتجميع السجناء ممن حكموا أحكاماً أطول حتى 15 عاماً وما فوق.

أما المهجع رقم 11 فقد استخدم لتجميع من حكم عليهم بالسجن المؤبد، وقام جهاز السجن في بداية عام 1982 في شهر شباط بنقل نزلاء هذه الباحة إلى الباحة السابعة ماعدا نزلاء المهجع 11 الذين أبقوا في مكانهم، وسقف الباحة تم تشبيكه بالأسلاك الشائكة احتياطاً.

الباحة الثالثة:

وهي كبيرة ذات أرض إسفلتية تتصل بالباحة الأولى بباب حديدي صغير، كما تتصل بالجهة المقابلة بالباحة الرابعة بباب آخر، وتتصل بالباحة السادسة بفتحة واسعة تسمح بمرور السيارات منها، وتضم المهجع رقم 12 الذي يعتبر امتداداً للمهجع الثامن من الباحة الثاني، كما تضم أيضاً المهجع رقم 13 على نفس الصف، وأما الجهة الأخرى فتحوي المهاجع ذوات الأرقام 14 – 15 – 16 مع مجموعة الزنازين المنفردة، ويطلق عليها الجلادون اسم (السيلونات)(18).

وتقع بجانب المهجع رقم 16 كما تحتوي هذه الباحة على صنبور ماء يقع قرب المهجع رقم 13 وعند التقاء الباحة الثالثة بالسادسة يوجد مكان خاص لتوزيع الطعام وتجميع النفايات فتدخل السيارات المحملة بالطعام لذلك المكان، وتفرغ حمولتها، لتخرج محملة بالفضلات، واستحدث في هذه الباحة مهجع جديد عام 1982 وحمل الرقم 7 ويقع قرب الباب الذي يصلها مع الأولى.

الباحة الرابعة:

وتتألف من المهاجع ذات الأرقام بالتسلسل من 17 حتى 24 ومساحتها ضيقة نسبياً رغم كثرة عدد مهاجعها، وأرضها إسمنتية مربعة الشكل، تحتوي على حفر

كثيرة، ويقع في منتصفها حوض ترابي يستعمله الجلادون في الشتاء لزراعة البصل والفجل، ويستخدمون السجناء لري الحوض ورعايته، أما مهاجعها فمختلفة المساحة، منها الكبيرة مثل الرقم 18 و 19، ومنها الصغيرة كالمهجع رقم 20 و21 وجدران هذه المهاجع منخفضة لأنها من القسم الذي بني قديماً (19) وجرى بناء جدران إضافية فوق جدرانها (فوق السقف) لتزيد من ارتفاعها، وتم تشبيك المسافات الواصلة بين الجدران بالأسلاك الشائكة، أي أن الباحة من الأعلى مسقوفة بشبكة من الأسلاك الشائكة كالباحة الثانية. هذا ويقال بأن المهجع رقم 17 كان يضم عدداً من المعتقلين السياسيين من غير إسلاميين كالبعثيين جناح العراق وجماعة صلاح جديد، وكانت معاملاتهم أقل سوءاً من معاملة بقية السجناء، وكان عددهم 24 شخصاً عام 1980 ثم زاد عددهم إلى 49 شخصاً بعد اعتقال دفعة جديدة تضم 25 شخصاً من مدينة حمص عام 1981.

أما المهجع رقم 24 فيقع في مواجهة المهجع 17 عند مدخل الباحة، وضم عدداً قليلاً من السجناء (13 شخصاً) ولم يزد عددهم لأن جهاز السجن لم يضف إليهم أحداً من الوافدين الجدد، لأمر مهم يخافه الجلادون، ويظن بعض الأخوة أن هؤلاء المعتقلين هم البقية الباقين من السجناء الذين كانوا أثناء المجزرة الوحشية الآثمة، أي أنهم الناجون منها (والله أعلم) وباختلاطهم بالسجناء الآخرين تشيع وتنتشر أخبار المذبحة الهمجية، وأسماء وأحداث تلك الجريمة القذرة. إن المهجع رقم 23 مظلم، رطب لذلك انتشر فيه مرض السل بعام 1982.

الباحة الخامسة:

عند التقاء الباحة الثالثة بالساحة السادسة يوجد باب يؤدي إلى الداخل بدهليز ينتهي بباب حديدي محصن كتب عليه (الباحة الخامسة) وتقع إلى جانبها غرفة المحرس(20) إذ يتجمع الجلادون هناك دائماً ولم نستطع أن نعرف شيئاً عن هذه الباحة طوال فترة وجودنا بالسجن وبقيت سراً غامضاً ولغزاً مبهماً ويقول بعض

الإخوة: إنها تضم عدداً من الزنزانات المنفردة، والتي كانت تستعمل للسجناء المتهمين بالتجسس، أو تستخدم للسجناء العسكريين الذين يرتكبون الكثير من المخالفات أو جرائم خطيرة أخرى أثناء فترة اعتقالهم، والله أعلم.

الباحة السادسة:

وهي أكبر ساحات السجن على الإطلاق، كما أنها اكتسبت أهمية خاصة(كالأولى) حيث كانت تجري فيها عمليات الإعدام، راجع فصل عمليات الإعدام.. وهي تحتوي على مهاجع قديمة وغرفة الورشة، وهي المهجع رقم 25 و 26 و 27 و 28 والمهجع 31 أما القسم الآخر، فقد بني حديثاً، ويضم المهاجع المرقمة بالتسلسل 32 و 33 و 34، وبني مهجع جديد أيضاً قرب المهجع 34 في عام 1982 فلم تعد السجون تتسع، لقد استعمل المهجعان 31 و 32 لتجميع الأحداث (القاصرين دون سن 18) عندما قام جهاز السجن بفرزهم عن بقية المعتقلين في نهاية عام 1980 وكان عددهم كبيراً (حوالي 400 حدث وقاصر) وهكذا جمعت الطغمة حتى الأطفال داخل السجون لتخرج حبل الخنوع والركوع الأسدي للصهاينة، ولكن... هيهات.

باحة المستوصف:

وهي منفصلة عن الباحتين: السادسة والسابعة، وتقع بينهما، وتضمم إلى جهتها اليسرى غرفة المستوصف، والذي استخدم لتجميع الأخوات المسلمات المعتقلات منذ عام 1981 بعد أن تم نقلهن من المهجع رقم 11 وكان عددهن بضع عشرة ا مرأة، وكان بينهن طبيبة من دمشق اسمها فادية دهان، وهي متخرجة عام 1979 اعتقلت مع جميع أفراد أسرتها (والدها واثنين من اخوتها أحدهم عمره 13 سنة وزوجة أبيها) بعد أن قتلت المخابرات اثنين من اخوتها هما الشهيدان فواز وبشار، وأخلي سبيلها مع والدها وخالتها وأحد اخوتها في نهاية عام 1981 أما شقيقها الآخر فقد استشهد في

منتصف عام 1981 على أعواد المشانق في دياجير الظلم والقهر والحقد الطائفي اللئيم.

أما الجهة اليسرى لهذه الباحة فتضم باحة صغيرة تحتوي على المهجعين رقم 29 و30.

الباحة السابعة:

تم استحداثها عام 1981 وهي تضم 4 مهاجع كبيرة هي المرقومة بالتسلسل 35 – 36 – 37 – 38 واستخدم المهجع 35 في بداية عام 1982 لتجميع المعتقلين نزلاء المهجع رقم 8 في الباحة الثانية والذين جرى فرزهم في شهر تموز من عام 1981 وهم ممن حكمت عليه المحاكم الميدانية بالبراءة.

وأما المهجعان رقم 36 و 37 فاستعملا للمعتقلين الأحداث نزلاء المهجعين رقم 31 و 32 وأما المهجع رقم 38 فاستخدم لتجميع المعتقلين نزلاء المهجعين رقم 9 – 10وهم ممن حكموا في سجن المزة لفترات تتراوح ما بين عامين و 15 عاماً.. وكان عددهم حوالي مائتي معتقل، بينهم عدد كبير من ضباط الجيش، كان من بينهم الرائد الطيار عثمان الأصفر (مواليد اللاذقية عام 1949) أسر في حرب رمضان عام 1973 واشتهر باسم الصاروخ الخامس عندما سئل أثناء المقابلة الإذاعية في الأسر عن عدد الصواريخ التي تحملها طائرته (ميغ 21) فأجابه : إنها تحمل خمسة صواريخ، فتعجب المحقق اليهودي من إجابته ولم يفهم مغزاها، فقال له: نحن نعلم أنها تحمل 4 صواريخ فقط، فأجابهم: بأنها أربعة صواريخ فعلاً ولكنه هو ذاته الصاروخ الخامس في الطائرة، فاضطر المحقق إلى قطع المقابل الإذاعية التي كانت تبث على الهواء مباشرة، وهكذا انتقم العملاء من كل المستويات إرضاء لأسيادهم في تل أبيب وواشنطن.

لقد اعتقل هذا الأخ عام 75 أي بعد عام واحد فقط من عودته من الأسر، ومكث عامين ونصف العام في سجن المزّة بتهمة انتمائه للبعث العراقي، وأُعيد

اعتقاله بنفس التهمة عام 1980 وأدخل سجن المزة وحكم عليه بالسجن 15 عاماً، نقل بعدها إلى سجن تدمر في نهاية عام 1980.

وتم تسريحه من الجيش بعد أن اعتقل في المرة الأولى، ولم يسمح له بمغادرة البلاد، إذ عمل في مجال التجارة ليعول أسرته . وهكذا يكون مصير الشرفاء من أبناء سورية على أيدي الأوباش النصيريين الباطنيين.

وصف مهاجع سجن تدمر:

إن أكثر المهاجع تم بناؤه ا قديماً، فهي ذات جدران سميكة من الحجارة، وأسقفها منخفض، وأبوابها حديدية رهيبة، يتم إغلاقها من الخارج بدقر حديدي غليظ، يوضع في نهايته قفل كبير، وتحتوي هذه المهاجع على نوافذ ضيقة، وفي جهة واحدة فقط من الزنزانة، يضاف إلى ذلك الشرفات العريضة في واجهة المهاجع، حيث توجد النوافذ، مما يمنع وجود تيارات هواء نقية، لذلك فهي مظلمة، ورطبة لوجود صنابير المياه بداخلها.

إن كل مهجع يحتوي على دورة مياه واحد مزدوجة مع صنبور للماء تنفصل عن بقية أجزاء الزنزانة بجدار في منتصفه فتحة تشبه الباب، ولكن لا وجود له به :
وقد لا تنفصل دورة المياه عن المهجع بأي حاجز، إنما تكون في إحدى الزوايا، محاطة بجدران يصل ارتفاعها إلى متر ونصف المتر فقط، فتكون شبه مكشوفة الداخل، لأن الجدران لا تصل للسقف فتستر من في بالداخل، ولها باب وضعت عليه بطانية بالية لتستر من خلفها، ولذلك فإن رائحة البول والغائط تخرج للمهجع مباشرة، وتبقى فيه، بسبب سوء التهوية، وعند انقطاع الماء تكون الأوضاع لا تطاق، وهذا ينطبق على أكثر المهاجع القديمة، ويضاف إلى ذلك الرطوبة المنبعثة من صنبور الماء نتيجة عمليات الجلي والغسيل المستمرة . وأدت هذه الأوضاع إلى إصابة أكثر المعتقلين بأمراض شتى، لتزيد إلى عنائهم وشقائهم وآلامهم عاهات إضافية من السل والربو وأمراض الروماتيزم وغيرها.

الإنارة والتهوية:

يحتوي كل مهجع على مصباحين كهربائيين أو أكثر تتمم إنارتها من قبل جهاز السجن، فلا وجود للمفاتيح داخل المهجع، وتبقى المصابيح مضاءة طول الوقت . ولأن الدفء منعدم أساساً في الزنازين، لذلك فالبرودة شديدة خلال فصل الشتاء، كما أن أكثر الزنازين تكف (ترشح) الماء من أسقفها عند هطول الأمطار في فصل الشتاء، لأنها قديمة متهالكة، ولم تجر عليها أية عمليات ترميم، ولزيادة العذاب طبعاً . أما المهاجع الحديثة، فتمتاز بارتفاع جدرانها، وبنوافذها الواسعة الموجودة في القسم العلوي، والنوافذ لا تحتوي على شبابيك، إنما تم تشبيكها بالأسلاك الحديدية فقط، فهي مفتوحة دائماً (وكذلك الحال في المهاجع القديمة) كما تحتوي المهاجع الحديثة على فتحات واسعة بسقفها (بمساحة متر مربع) ولم يتم تغطيتها بشيء، إنما تم تشبيكها بقضبان حديدية (تسمى الشراقات) لذلك فالتهوية جيدة والحالة مقبولة نسبياً في فصل الصيف، خاصة أثناء النهار، أما في الشتاء فالوضع سيء للغاية، فالبرد شديد، والمطر يسقط من الفتحات العلوية على المعتقلين مباشرة، وبما أن تدمر منطقة صحراوية، فالجو حار جداً في الصيف أثناء النهار، مع انخفاض ملحوظ في درجة الحرارة ليلاً، وأما في الشتاء، فالحرارة منخفضة هناك، ولانعدام التدفئة، إضافة إلى النوافذ المفتوحة مع الفتحات العلوية، في السقف، علاوة على الهواء الذي يتسرب من جوانب الأبواب الحديدية بسبب انكم اشها الناتج عن برودة الجو، كل هذه العوامل تجعل درجة الحرارة داخل الزنازين لا تختلف عما هي خارجها.

الملابس والأغطية التي يملكها المعتقلون:

أكثر المعتقلين لا يملكون سوى الملابس التي اعتقلوا بها، فحوالي 95% منهم لم يسمح لأقاربهم بزيارتهم . ونتيجة لعمليات التعذيب المستمرة (من ضرب وزحف وجر على الأرض...) فإن الملابس قد تحولت لأسمال بالية بعد فترة قصيرة من

دخول السجن، وقد قام المعتقلون بترقيع ملابسهم قدر استطاعتهم لترد عنهم غائلة البرد، والبقية أي 5% من السجناء فقد سمح لبعض أقاربهم بزيارتهم، وكانوا يوزعون ما يحصلون عليه من الملابس والنقود والطعام على إخوانهم، وفي نهاية عام 1980 سمح جهاز السجن لأول مرة بشراء بعض الحوائج، فقد وزع الجلادون ورقة وقلماً على كل زنزانة، وطلبوا من السجناء تسجيل حاجاتهم من المواد الضرورية، لكنهم لم يحضروا جميع المواد التي سجلها السجناء، إنما اشتروا بعض الملابس والجوارب والصابون. وهنا كانت فرصة ثانية للحصول على بعض الملابس، ورغم ذلك، فقد ظلت كمية الملابس قليلة جداً لا تقي من البرد (لا يزيد عددها عن 5 قطع للسجين الواحد) ويقوم الشخص بارتدائها جميعاً أيام الشتاء وأثناء النوم وفي النهار.

أما البطانيات فقد قام جهاز السجن بتوزيع 3 بطانيات مع عازل خلال أيام الأولى لمجيئنا للسجن، والعوازل عبارة عن قطعة من شادر سيارة بطول مترين وعرض متر واحد، خيط على أحد وجوهه قطعة من بطانية بالية، وهي بدل الفراش، لذلك فهي قاسية ورقيقة لاتقي من برودة الأرض ولا ترد زمهرير الشتاء عن السجناء، لكن بعد ذلك، زاد عدد المعتقلين دون أن تزاد البطانيات والعوازل، فأصبحت حصة السجين الواحد بعد ذلك لا تزيد عن بطانيتين، يكون مقبولاً نسبياً خلال فصل الصيف، خاصة في المهاجع الحديثة، ورغم لك، فقد كنا نشعر بالبرد أثناء الليل (لأن الأغطية قليلة) أما في فصل الشتاء فالبرد شديد أثناء الليل والنهار، وكنا لا نستطيع النوم من شدة البرد ليلاً.

أما في المهاجع القديمة فالوضع أسوأ من ذلك بكثير، فهو غير مقبول صيفاً ولا شتاءً، وينطبق عليه المثل القائل (في الصيف حريق وفي الشتاء غريق)

ويسعى المعتقلون جاهدين لتلطيف الجو داخل الزنازين في فصل الصيف بتحريك الهواء، فيمسك اثنان بالبطانية، ويقومون بتحريكها باتجاه النوافذ، بغية طرد الهواء الفاسد إلى الخارج وتلطيف الجو، كما تفعل المراوح، ويتبادل المعتقلون الأدوار على هذا العمل ليلاً ونهاراً، حتى يصبح الوضع محتملاً خلال أيام الصيف.

وتمكن المعتقلون من ترقيع ملابسهم الممزقة، وذلك بانتزاع الخيطان من الملابس للترقيع، وكذلك استخدمت الخيطان المأخوذة من الأكياس البلاستيكية المستعملة للخبز (وهي أكياس الدقيق) أما إبر الخياطة فكانت في البداية قطعة قش قاسية كشوكة، أو من المكانس، وبما أن الملابس بالية، فيمكن خرقها بها، واستخدمت بعض الأسلاك المعدنية التي حصلنا عليها بطريق الصدفة، لصنع إبر الخياطة، التي لم يسمح لها بدخول السجن مع الخيطان إلا في عام 1983 عندما سمح للمعتقلين بشرائها.

سجن تدمر يعاود نشاطه بعد المجزرة:

بعد محاولة اغتيال المجرم حافظ أسد، وما سبقها من عمليات، وما لحق بها من أحداث، أفقدت تلك العمليات الجريئة السلطة صوابها، مما دفع بأجهزة القمع أن تتمادى في أساليب قمعها، فكان أن اشتدت عمليات الاعتقال، فلا يكاد يمر يوم واحد إلا وتستقبل فيه تلك المراكز أعداداً كبيرة من المعتقلين الجدد، مما جعل فروع المخابرات وبقية مراكز الاعتقال المؤقتة في مختلف المحافظات، تضيق بسجنائها، عندها صدر قانون العار رقم (49) والذي يقضي بإعدام كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين، وقد شكلت محاكم صورية لتتولى تنفيذ ذلك القانون الهمجي، والتي أطلق عليها اسم المحاكم الميدانية (راجع فصل محاكم التفتيش). وبدأت فروع المخابرات في جميع المحافظات بإرسال المعتقلين إلى سجن تدمر الجهنمي، بعد إزالة آثار المجزرة.

إن العادة المتبعة في هذا المجال، أن تقوم المخابرات العسكرية بإرسال معتقليها إلى تدمر مباشرة، ماعدا بعض الاستثناءات، حيث يرسلون المعتقلين إلى دمشق، ومن ثم إلى تدمر، أما المخابرات العامة (أمن الدولة) فجميع فروعها في مختلف المحافظات ترسل المعتقلين إلى سجن (كفر سوسة) بدمشق ليتم إعادة ضبط الاعترافات، ومن هناك يرسل السجناء إلى تدمر، وأما الشعبة السياسية، فإنها تحول

معتقليها إلى دمشق، ومن هناك يتم تحويلهم إلى سجن تدمر أو المزة الرهيبين، وقد كان عدد معتقلي هذه الشعبة قليلا مقارنة بشعب المخابرات الأخرى، وما أنشئ من أجهزة أخطبوطية همجية أخرى. لقد كنت واحد من الذين قدر عليهم أن يدخلوا ذلك السجن المخيف بعد فترة قصيرة فقط من المجزرة الرهيبة، فكيف كان ذلك؟.

الخروج من فرع المخابرات:

هنالك حلَّ رمضان شهر الرحمة والبركة، فاستبشر المعتقلون بقدومه خيراً، وتفاءلنا باقتراب الفرج، كنا نظن أن السلطة قد تقوم بإخلاء سبيل المعتقلين الأبرياء الذين لم يثبت التحقيق أية تهمة تستحق الذكر عليهم وهؤلاء يمثلون السواد الأعظم من المعتقلين أو الإفراج عن بعضهم، وكان أكثرنا يحسن الظن في أولئك الوحوش الخسيسة والجرذان المذعورة، لكن سرعان ما خابت الظنون، وتبددت الأحلام، وحدث ما لم يكن بالحسبان، وعرفنا بُعد الشقة ما بين الآدمية والوحشية.

حضر مدير السجن مع بعض الجلادين ذات ليلة، حاملاً معه قائمة، فيها بعض الأسماء، فظن أكثرنا في بداية الأمر، أنه إخلاء سبيل، إلا أن الوقت كان متأخراً (حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً)، كنا نصلي صلاة التراويح، وكان اسمي موجوداً في تلك القائمة المشؤومة وطلب منا الجلاوزة أن نجمع أغراضنا، وأن نهيئ أنفسنا، ثم أخرجنا من الزنازين، وتم تجميعنا في إحدى الصالات، وجاء الجلادون بالقيود الحديدية والسلاسل والغمامات، هنالك أصبنا بالانقباض، وسيطر علينا الخوف، وتبددت الآمال، وعرفنا أنهم يريدون نقلنا إلى سجن آخر، أو ربما إلى إحدى محاكم التفتيش، كما كانوا يرددون بتلك الأثناء، لأن اللغط حولها قد زاد في تلك الأيام المشؤومة من تاريخ بلدنا المنكوب. وقام الجلادون بوضع الغمامات على أعيننا، ووضعت القيود الحديدية في الأيدي، وربطت بالسلاسل، حتى صار الجميع كتلة واحدة، فكل واحد منا مقيد الأيدي، ومربوط بالسلاسل إلى الذي يليه وهكذا.

أجلسنا على الأرض، وبدأ الجلادون ينهالون علينا بالسياط، فرحنا نصرخ

ونستغيث ولا من مغيث إلا الله الذي يعلم السر وأخفى . كم تساءلت في تلكم الظروف الرهيبة: هل يعلم أحد بأحوالنا وما نقاسيه ونتحمله؟ الله أعلم . لقد مارس الجلادون إطفاء السجاير في وجوهنا ورقابنا ورؤوسنا وراح آخرون يبصقون علينا حتى امتلأت وجوهنا بالبصاق وآخرون راحوا يرفسوننا بأرجلهم على صدورنا وظهورنا، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فوضعوا نعالهم فوق رؤوسنا ناهيك عن الشتائم والألفاظ المنحطة والحقيرة التي يعف اللسان عن ذكرها.

قضينا وقتاً عصيباً على هذه الحالة، قاسينا خلالها من الإيذاء والقهر والإهانة ما لا يعلمه إلا الله، وما يعجز الإنسان عن وصفه، لأنني أجد نفسي عاجزا عن وصف مشاعرنا في تلك الأثناء، فهذا أمر لا يعلمه ولا يدركه إلا من عايش تلك الحالات بين أيدي الظالمين، وبعدها، طلب منا ا لزبانية الوقوف، لكن أنى لنا القدرة على ذلك بعد أن أخذ الإعياء منا والإنهاك كل ما أخذ؟ ! لقد تيبست مفاصلنا من الجلوس الطويل على الأرض، وأصيبت أطرافنا السفلية بالخدر والنمل، وسيطر علينا الخوف والهلع، فلم نعد نفكر بالآلام والهموم، وكنا في حالة انهيار شامل.

راح الزبانية يخرجوننا من القبو الأرضي، وطلبوا منا تسلق الدرج، وكثير منّا وقع على الأرض بسبب عصب العيون والإنهاك والإرباك الناشئ عن الرعب وساعدنا الجلادون على صعود الدرج، لينتهوا من المهمة بأسرع وقت.

أدخلنا بعدها سيارة باص أعدت لهذه المهمة، فسترت جميع النوافذ بالورق، لئلا يرانا أحد من الخارج أثناء ترحيلنا، جلسنا في مقاعد محددة، وأحاط الجلادون بنا من الأمام والخلف، وطلبوا منا حني رؤوسنا للأسفل، وكل من حاول رفع رأسه كانت السياط تنهال عليه وتلسعه كالجمر الحارق . انطلقت بنا قافلة العذاب، ورافقتنا أعداد أخرى من السيارات التي اكتظت بعناصر المخابرات المدججين بالسلاح خوفاً على صيدهم الثمين... فكرت... ودارت في مخيلتي الكثير من الأفكار والصور والتساؤلات: إلى أين نحن ذاهبون؟ ! طبعا إلى سجن آخر، أو إلى محاكم التفتيش العصرية التي تتناسب مع الحقد الطائفي الدفين، وإذا كان الأمر كذلك، فما هو الجرم

الذي اقترفته حتى أجد هذه الوحشية، ولأدخل السجن، أو حتى لإرسالي إلى إحدى محاكمهم؟!

امتد الوقت وتطاول، والسيارة تنهب الطريق مسرعة، عندها علمت أن الرحلة طويلة، فسيطر علي الخوف أكثر فأكثر، ورافقتني أشباح للموت والكرب كثيرة ... كنا نسمع أنهم يريدون تجميع الإخوان المسلمين في سجن تدمر، ولطالما صرح رفعت أسد النصيري بأنه سيخضر بادية الشام بأيديهم، فذلك أنفع من وجودهم في المجتمع، لأن عزلهم ضروري. فأخذت أتساءل: ما علاقتي بالإخوان المسلمين لأذهب إلى سجن تدمر؟ هل كتب المحققون في إفادتي أشياء أخرى لم أعترف بها؟ هل لفقوا لي تهمة ما؟ وهل.. هل.... وهل..؟.

كنت أمنّي نفسي أثناء وجودي بفرع المخابرات، بأن الكثير من أقاربي يعرفون بعض رموز النظام والمحسوبين عليه، ولعل أحدهم يتدخل لي عندهم، فيتمكن من إخلاء سبيلي بطريقة أو بأخرى، ولكن ذلك لم يحصل، هاأنذا في طريقي إلى السجن أو إلى المحكمة.. ورحت أتساءل ثانية وبمرارة: لماذا يحدث ذلك؟ هل تخلى عني أصحابي وأقاربي؟ هل يعلم أحد بحالي؟ هل صرت منسيا في هذه الدنيا فلا أحد يذكرني؟ أم تراهم (أي أقاربي) لا يتجرءون أن يفعلوا ذلك؟ هل تدخل بعضهم وحاول مساعدتي ففشل في إقناع الجلادين ببراءتي، بل أقنعهم المجرمون بأني شخص خطير وفعلت كيت وكيت؟؟.

كيف تحلو لأقاربي الحياة هناك خارج أسوار السجون، وأنا هنا أعاني ما أعاني بعيداً عنهم؟؟ هل كذا؟ كيف كذا؟ لماذا كذا؟ !! وأخيراً قلت في نفسي : لقد انقطعت بنا كل أسباب الأرض، ولم يبق لنا إلا حبل السماء نعتصم به، وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله حسيباً **(وتوكل على الحي الذي لا يموت، وسبح بحمده، وكفى به بذنوب عباده خبيراً)** حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وبالطبع إن ضعف الإنسان يظهر عند الشدائد والنوائب، حيث تسيطر عليه

وساوس الشيطان واليأس والقنوط، وربما ظن الإنسان بربه الظنون، كما ورد في القرآن الكريم: **(وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)**. ومهما يكن من أمر فإن تلك المحنة كانت فوق طاقة التحمل البشري. **(ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به)**. لقد سيطر علي الخوف، وغمرني شعور بالرعب، لكني أسلمت أمري لله، ورحت أقرأ ما أحفظه من آيات القرآن الكريم، والأذكار، والأدعية سائلاً المولى سبحانه وتعالى السلامة والمغفرة، مستمدا منه العون والتأييد. وكم كنت أدعو الله بهذا الدعاء (اللهم يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف، اللهم إني لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه، اللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير) نعم لقد سيطر علينا الخوف لأن كل ما حولنا كان مجهولاً ومخيفاً، وكننا نتعامل مع طلاسم ومعميات ومجاهيل، كباطنية ذلك النظام العفن المتفسخ، وهذه حالتنا طوال فترة سجننا..

وبعد ساعات مريرة من الإرهاق في السفر، تعرضنا خلالها لشتى صنوف الإهانة والقهر والإيذاء، وصلنا إلى سجن تدمر، دون أن نرى شيئاً من الطريق أو من معالم ذلك السجن المخيف من الخارج.

الوصول إلى سجن الموت:

(وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدن ك سلطاناً نصيراً).

عندما وصلت قافلتنا إلى مدخل السجن، علت الأصوات، وراح الزبانية يسحبوننا إلى خارج السيارة، بعد أن فكوا القيود والسلاسل والغمامات عنا، وما إن ينزل أحدنا من السيارة، حتى يستقبله زبانية السجن بالضرب واللكم والرفس والدفع للداخل، وهناك اختلطت الأصوات بين عواء الزبانية، مع صراخ المعذبين، ولسعات السياط، حتى تم إدخالنا إلى السجن . أوقفنا، ووجوهنا متجهة إلى أحد الجدران، والسياط تنهال علينا من كل جانب، وبعد وجبة رهيبة من الضرب المبرح، راح الزبانية يدخلونا واحداً بعد الآخر إلى غرفة القلم (السجل) هناك يجلس (مساعد أول)

مع دورية المخابرات التي أحضرتنا، أما الكيفية التي يدخلوننا بها لغرفة القلم، فقد ذكرتني بطريقة سحب الخراف إلى عتبة الذبح إلى المسلخ، وربما تكون عملية ذبح الخراف أقل قسوة؛ إذ يمسك أحد الجلادين من الشرطة العسكرية برقبة المعتقل، ويدفعه أمامه بعنف، وربما وقع المعتقل على الأرض مع الشتائم والنهر والضرب، حتى يقف أمام الطاولة التي يجلس المساعد عليها الذي يقوم بتوجيه الأسئلة لنا.

- ما اسمك؟ وما اسم والدك ووالدتك؟... تاريخ ومكان الولادة، المهنة، العنوان، الحالة العائلية... وهكذا.

والويل كل الويل لمن كان متعلماً، كأن يكون طبيباً أو مدرساً أو مهندساً .... الخ إذا سيحفظ الجلادون شكله، ويصير معروفاً عندهم، ويخص بعذاب وإهانة شديدين. ففي هذه اللحظات لا يسمع الإنسان إلا أصوات السياط تلسع أجساد المعتقلين، والتي كانت تختلط مع نباح الشرطة والسباب والشتائم وصوت (افتح يديك واغمض عينيك ولك حقير..) والتي تعودنا سماعها فيما بعد في كل مناسبة نقابل بها أولئك الوحوش الآثمة من عبيد فرعون وجنود الحاخام حافظ أسد، من النصيريين.

ومن الحوادث التي حصلت معنا في تلك الأثناء أن أحد الجلادين أمسك بأحد إخوتنا وانهال عليه ضرباً، بينم ا وقف الجلاد الآخر واضعاً يديه حول عنقه، واستمر بالضغط عليها حتى أصيب ذلك الأخ بالإغماء وسقط أرضا، عندها تدخل المساعد، وطلب منهم أن يتركوه (أية أحقاد بل أية أنفس أشربت باللؤم والفجور!!!؟)..

قضينا في هذه الحالة فترة من الوقت، حتى انتهى (المساعد) من تسجيل جميع الأسماء، وقام بضبطها، مقارنة مع القائمة التي استلمها من دورية المخابرات التي أحضرتنا، واتصل بفرع المخابرات التي أرسلنا إلى السجن: وهكذا انتهت عملية إدخالنا إلى سجن تدمر جميعاً، وبعد ذلك طلبوا منا الاصطفاف بطابور منفرد والرؤوس مطأطئة نحو الأسفل، والعيون مغمضة، وكل منا يمسك بملابس الذي أمامه، وأدخلنا إلى إحدى باحات السجن، وهي الباحة الأولى التي سميت بباحة التعذيب أو باحة الاستقبال، ويتم تنظيم حفلات الاستقبال فيها للقادمين الجدد من الذين

قدر عليهم أن يدخلوا ذلك المكان اللعين.

حفلة الاستقبال:

من الأشياء التي ما أزال أذكرها منذ اللحظات الأولى لدخولنا ذلك السجن، بعض الكتابات الموجودة في القسم العلوي للجدران، وأكثرها من الشعارات المكتوبة على جدران مؤسسات الدولة في بلدنا المنكوب مثل (وحدة حرية اشتراكية، أمة عربية واحدة...)، والذي لفت نظري، وبقي محفورا بذاكرتي، ه و الآية الكريمة **(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون)** فتعجبت من تلك المفارقة العجيبة، وتلك السماجة، بل وتلكم الوقاحة، فقلت في نفسي : هل يؤمن هؤلاء الأوباش بكتاب الله ليكتبوا آياته الكريمة على جدران هذا السجن اللعين؟ ومهما يكن من أمر، فنحن في نظرهم مجرمون، وما يقومون به من تعذيب وإيذاء وإهانة هي عدالتهم بعينها، لم ينقطع الضرب لحظة واحدة منذ نزولنا من السيارة، ولم تتوقف أصوات الجلادين وشتائمهم، فهم يستعملون أحط الألفاظ التي يعف اللسان عن ذكرها، وهذا هو شأن جميع الزبانية في ذلك النظام العفن والمهترئ، سواء أكانوا من الجرذان الصغار أو من الخنازير الكبار، وهذا ما شاهدناه وعرفناه قبل ذلك أثناء التحقيق وفي كل مكان وطئنا بأقدامنا في أقبيتهم ودهاليزهم..

وعندما أدخلنا إلى باحة التعذيب أحضر الدولاب المطاطي، وشاهدت أحد عناصر (البلدية) يحمله ويرميه على الأرض بعنف، ليزيد من هلعنا، كما سمعت صوت أحد ضباط الصف يقول للعناصر (تصرف كيفيا)، عندها طلبوا منا أن نخلع ثيابنا، وباشروا بتفتيشنا، ولم يكن عندنا من المتاع ما يستحق الذكر، اللهم إلا الملابس التي اعتقلنا بها، وكنت اشتريت منشفة صغيرة (وشحاطة) نايلون أثناء وجودي في فرع المخابرات، وهذا هو حال جميع السجناء معنا، فهم عزل من كل شيء، وهذه فرصة ثمينة لأولئك الوحوش أن نتعرى من ملابسنا، لتلسعنا سياطهم، ويمارسوا ساديتهم وانحرافهم الحاقد اللئيم ضدنا.

ثم جرجرونا بوضع قدمي المعتقل بعصا الفلقة، وهي عبارة عن عصا غليظة ربط طرفاها بوصلة من سلك كهربائي يلفونه عدة مرات حول القسم السفلي من الساقين، فتنحصر القدمان بشدة، دون أي إمكانية لسحبهما أو تحريكهما، ثم يقوم الجلاوزة برفع العصا، فترتفع الرجلان بدورهما، لينهال عليهما أربعة من الجلاوزة بالسياط، حتى تسيل منهما الدماء، وتتورم الأقدام، فيأمرهم المساعد بأنه يكفي، فيخرج المعتقل، ويوقف جانباً أمام أحد الجدران، فيدفعه أحد الشرطة، بعد أن يمسكه من النقرة (القسم الخلفي من الرقبة) ثم يأتون بغيره، ويضعونه في الدولاب .... وهكذا، وأما الذين مازالوا ينتظرون دورهم، فالضرب ينهال عليهم باستمرار ودون انقطا ع، يجلدون ظهورهم وأيديهم، وكذلك حال الذين أخرجوا من الدولاب، يتلقون ضربا إضافياً أيضاً على ظهورهم وأيديهم ورؤوسهم، وإذا أصيب أحد المعتقلين بالإغماء، رشوا على وجهه الماء حتى يصحو، كما يرشون الماء فوق أقدام الأشخاص الذين أخرجوا من الدولاب. وقتها كنا في شهر رمضان الموافق لشهر تموز من عام 1980 حيث أصبت بالعطش الشديد، فطلبت من الشخص الذي يحمل دلو الماء أن يسقيني، فلم يلتفت لطلبي، إنما باشر برش الماء على قدمي وأقدام الأخوة الذين يقفون بجانبي.

استمر التعذيب على هذه الشاكلة حتى انتهى الزبانية منا جميعاً، ونال كل من ا حظه من التعذيب، وكانت ساعات مريرة، ربما فاقت شدتها ساعات التحقيق الأولى عند بعض الإخوة (لأن بعض الذين كانوا معنا لم يتعرضوا أثناء التحقيق للتعذيب الذي شاهدوه هنا) هناك رحت أتساءل وما أكثر التساؤلات المحيرة في تلك الأثناء:

لماذا الضرب؟ ما الهدف منه؟ لماذا نتعرض للتعذيب هنا؟ ألا يكفينا ما شاهدناه وما تعرضنا له في فرع المخابرات أثناء التحقيق؟ ألم ننته من التحقيق؟ ماذا يريدون منا؟

وغير ذلك من التساؤلات المحيرة التي لا أجد لها جواباً سوى أن هؤلاء الوحوش يعذبوننا بدافع حقدهم، قال الله تعالى **(وما تخفي صدورهم أكبر)**، لقد كادت آثار التعذيب التي تعرضت لها أثناء التحقيق أن تتماثل للشفاء، ولكنني أجد نفسي الآن

أعاني من آثار أخرى، إضافة للآثار السابقة التي أصيبت بالتقرح والنزف، مما جعلني أعاني من الجروح والقروح مدة عام كامل، بعد دخولي سجن تدمر، بسبب حفلات التعذيب اليومية، وسوء العناية الصحية، مما ترك آثاراً دائمة في أماكن مختلفة من جسدي بعد اندمالها، وأنا الآن أحمد الله تعالى الذي منّ عليّ بالنجاة من تلك المحنة، حيث أشعر بعزّة الإيمان، عندما أنظر إلى تلك الآثار الموجودة في الأماكن التي أستطيع رؤيتها، وحينما أطلع عليها أي أخ أقابله ويسألني عن تلك المحنة فأبادر لإطلاعه على تلك الآثار قبل أن أتكلم شيئاً، فلا حاجة لي إلى الشرح، فجراحي هذه تحكي محنة المعذبين في أقباء السجون النصيرية الرهيبة ... ومع ذلك فإنني أسأله تعالى أن يجعل ذلك كفارة لذنوبنا ورفعا لدرجاتنا في الدنيا والآخرة، وصدق الشاعر في تصويره:

وقروح جسمك وهي تحت سياطهم　　　قسمات صبحٍ يتقيه الجاني

وأثناء حفلة الاستقبال مرت على مخيلتي أيام حياتي السابقة وكأنها فيلم سينمائي يختصر تلك السنوات الطوال بدقائق معدودة، وأخذت أتساءل : هل صحيح ما أتذكره الآن؟ هل صحيح أنه حصل معي كيت وكيت؟ لقد تذكرت في تلك الأثناء الذكريات الحلوة والذكريات المريرة وأكاد أكذب نفسي بأن شيئاً من ذلك لم يحصل، حينما أتساءل بمرارة أين كان ما أتذكره مما أنا فيه الآن؟ وأعود للتساؤل مرة أخرى وأكاد أكذب نفسي قائلاً: إنني لم أشاهد شيئاً في حياتي وإن حياتي كلها هي هذه الساعات الرهيبة التي أعيشها الآن وهذا التعذيب الذي أتعرض له ويصعد إلى مخيلتي قوله تعالى: **(ويوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها).**

وحينما أتذكر فصول التعذيب التي تعرضنا لها في تلك الأيام، واستعرض بعض الآيات الكريمة التي تصف حالة الكافرين يوم القيامة، يزداد إيماني أكثر فأكثر بكتاب الله عز وجل، إذ لا يمكن لأي إنسان، أن يصف تلك الأمور إلا الذي عانى تلك المحنة (التعذيب) **(واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون)..**

وأثناء حفلة الاستقبال، سمعت صوت أحد الجلادين (وقد عرفنا اسمه فيما بعد ويدعى نعيم حنا (21) يقول لنا: (غير لعبدكن العجل يا حقراء ..) وكان الضرب بقوة ولؤم، وقضينا عدة ساعات قاسينا خلالها من التعذيب والقهر والإهانة ما لا يعلمه أحد إلا الله، فالإنسان يجد نفسه عاجزاً عن وصف تلك المشاعر والأحاسيس التي لا يعرفها إلا من تعرّض لها، ولله الأمر من قبل ومن بعد وإليه المشتكى.

وبعد انتهاء حفلة الاستقبال قاموا بوضعنا في صف منفرد، مطأطئي الرؤوس، مغمضي الأعين يمسك كل منا بتلابيب الذي أمامه، حانياً رأسه على ظهره، وسرنا بطابور منفرد على هذه الحالة داخل السجن، حتى أوصلونا، إلى إحدى الزنزا نات الفارغة، فأدخلونا فيها، وأغلقوا الباب وانصرفوا... إن حالتنا كانت تدعو للأسى والحزن، ولو قدر لأحد من أهلينا أن يرانا لأجهش بالبكاء، فالأرجل متورمة ومليئة بالجروح، والأجساد مغطاة بالكدمات والقروح، والإنسان لا يسمع إلا أصوات الأنين والتأوّه والتوجع من شدة الألم، فأحدنا لا يقوى على الوقوف من شدة الألم، والإعياء أخذ منا كل مأخذ، وإذا غالب أحدنا نفسه، واستطاع الوقوف، فإنه سرعان ما يصاب بالدوار الشديد، فيسقط على الأرض... كيف لا وقد قضينا مدة تزيد عن عشر ساعات في التعذيب والإهانة، منذ أن خرجنا من الزنزانة في فر ع المخابرات حتى دخلنا زنزانة سجن تدمر.

عند ذلك توجه الجميع إلى الله بالدعاء، طالبين منه أن يفرج عنا ما نحن فيه، بعد أن خانتنا جميع أسباب الأرض.

لازمة سجن تدمر:

كانت الساعة تقارب التاسعة صباحاً عندما جاء الجلادون يقودهم المساعد أول أحمد كسيبي (والذي لقبه السجناء فيما بعد بأبي جهل) فتح باب الزنزانة فاندفع أولئك الوحوش يلهبوننا بالسياط، فأصيب الجميع بالذهول.. ألم ننته من الضرب والتعذيب؟ بعدها قال المساعد للشرطة: (يكفي).. وأخذ يتكلم ليعطينا (لازمة السجن) أو بتعبير

آخر (نظام السجن) فكان مما قاله لنا: أنتم الآن في سجن عسكري، كل شيء ممنوع هنا: الكلام ممنوع، فتح العينين ممنوع، النظر للشرطة ممنوع، السؤال ممنوع وهكذا... وأردف يقول: أنتم خونة للوطن، ليس لكم أية حقوق هنا، وقد جئتم لتموتوا في هذا المكان بما اقترفته أيديكم، نحن، لم نأت بكم من الشارع، إنما جرائمكم هي التي أتت بكم إلى هذا المكان، ولا بد للعدالة أن تأخذ مجراها.... إلى غير ذلك من الكلام الذي يدعو للسخرية ويثير الاشمئزاز والتقزز، ولم نكن نعلم: هل يقول ذلك الأحمق قناعته أو يتزلف لأسياده؟. بعد ذلك قام المساعد بتعيين أحد الإخوة رئيساً للمهجع، وعلمه (لازمة السجن) ليرددها، وهي بالشكل التالي: كلما جاءت الشرطة للزنزانة (سواء أفتحوا الباب أم لم يفتحوه) على رئيس المهجع أن يقدم الصف قائلاً : (انتـــ.... به- استـــ.... عد- است....رح- است.. عد.. المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب) وعلى الجميع أن يقفوا بحالة الاستعداد العسكري، منفذي إيعازا ت رئيس المهجع، ومغمضي الأعين . وبعد ذلك طلبوا من جميع السجناء أن يديروا وجوههم نحو الجدران، وعندما ينصرف الجلادون، يكرر رئيس المهجع نفس اللازمة، ولكن يقول: المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب.

ثم قام المساعد بإحصائنا، وقدموا لكل فرد منا 3 بطانيات مع عازل، والعازل يستخدم بدل الفراش والبطانيات تستعمل كغطاء، وأما الوسادة فكنا نستعمل أحذيتنا، وهكذا بدأنا نعيش مرحلة جديدة مليئة بكل أشكال التعذيب والإهانة والذل، جعلتنا نترحم على الأيام التي قضيناها في فرع المخابرات رغم ما فيها من بلاء وعذاب .... لقد كنت متيقناً بأن ما نعانيه في تلك الأيام السود سيسجل في صفحات التاريخ وستكتب به المؤلفات وتدبج به القصائد وسينقل للأجيال القادمة وهذا ما ذكرته لإخواني أكثر من مرة.

أول رمضان في سجن تدمر:

دخلنا سجن تدمر خلال شهر رمضان من عام 1400هـــــ المصادف لشهر

تموز من عام 1980، وقدر الله علينا أن نكون من الدفعات الأولى التي وصلت إلى السجن بعد المجزرة الكبرى، وكان عدد المعتقلين في ذلك الوقت قليلاً (وربما لا يتجاوز الـــ 300 شخص) لكن الدفعات تتالت فيما بعد، حتى ارتفع العدد إلي 4000 معتقل في غضون ستة أشهر فقط..

أما كيف قضينا تلك الأيام فربما وجد الإنسان نفسه عاجزاً عن وصفها بكل تفاصيلها، إنما سأذكر هنا ما أحفظه في ذاكرتي، رغم أن ذاكرة الإنسان قد تخونه في كثير من الأحيان، عندما يكون في ظروف طبيعية، فكيف بذاكرة الذين يعيشون تلك الظروف القاسية من التعذيب والإهانة والقهر، والتي يقصد منها تحطيم الإ نسان نفسياً وفكرياً وجسمياً، وقتل كل شيء فيه؟ لقد نظم أحد إخواننا قصيدة بتلك الظروف الحالكة، وكان مطلع القصيدة البيت التالي:

يا صفوة الأحبابِ والخلانِ   عفواً إذا استعصى عليّ بياني

لم أتمكن من حفظ تلك القصيدة، وإنما حفظت منها هذا البيت فقط...

وبرامج الإيذاء والتعذيب في تلك الأيام كانت على أشدها، حيث يداهمنا الجلادون بعد منتصف الليل لتوزيع طعام السحور، فنستيقظ من نومنا عندما يدخل الزبانية إلى باحتنا، ويباشرون فتح أبواب الزنازين .. وكانت زنزانتنا هي الخامسة في الباحة، فيفتح المجرمون الباب فيقدم رئيس المهجع الصف (لازمة السجن) فيدفع الجلادون إلى الداخل وينهالون علينا بالضرب واللكم واللطم والرفس، عند ذلك لا يسمع الإنسان إلا أصواتاً لصراخ المعذبين التي اختلطت مع هبدات السياط وأصوات الشتم والسباب والصراخ من الجلادين الذين يكررون عبارات (افتح يديك –أغمض عيرك.. ولك حقير.. وو...).

وأخيراً يصرخ رئيس الدورية، وهو غالباً من ضباط الصف برتبة عريف أو رقيب: شرطة لبره.. لبره شرطة: (أي اخرجوا من المهجع). فيخرج الجلادون من الزنزانة، ويغلق الباب، فيقدم رئيس المهجع الصف، لينتقل الزبانية بعد ذلك إلى الزنزانة المجاورة، حتى ينتهوا منها، فالتي بعدها ثم الأخرى، فالأخرى، وهكذا

يفعلون بسائر الباحات. وبعد ذلك يبدأ المعتقلون بتناول الطعام، وأنى لنا أن نأكل بعد أن استولى علينا التعب والألم والخوف الذي أعجزنا عن تناول الطعام في الأيام الأولى، رغم ذلك، فإننا كنا نجبر أنفسنا على تناول لقيمات نتقوى بهما على تحمل ما نحن فيه من كرب، حتى يأذن لنا الله بالفرج .. وبعد أن ننتهي من تناول الطعام، كنا ننتظر أذان الفجر الذي كنا نسمعه، فيهيج في أنفسنا الذكريات والحنين لبيوت الله، فنقوم للصلاة، وكنا نصلي جماعة في الأيام الأولى فلم نكن نعرف نظام السجن القاضي بعقاب كل من يقدم على الصلاة.

الصلاة في سجن تدمر:

كنا في الأيام الأولى نصلي جماعة، وذات يوم جلس أحد الحراس يتجسس علينا، فسمع أننا نصلي الصبح جماعة، لأن زنزانتنا كانت مقسومة إلى قسمين : يضم قسمها الأول، المهجع الذي ننام فيه، وأما القسم الثاني، فيضم م كان الخلاء وصنبور الماء، مع قطعة أرض صغيرة تستخدم لوضع القمامة وبقية الأغراض، ويوجد في سقف تلك القطعة فتحة (شرّاقة) والقسمان متصلان بفتحة تشبه الباب ولكن لا وجود له بها وبالتالي فإن الشخص الذي يجلس فوق الشراقة يمكنه سماع ما يدور بالمهجع من أحاديث، بل ويمكنه أن يشاهد قسماً لا بأس به من الزنزانة ذاتها..

جلس ذلك المجرم يوماً (وكان نصيرياً) فوق الشراقة يتجسس علينا ونحن لا نراه، لأننا لم ننتبه للأمر، وبعد أن أنهينا الصلاة، جلسنا نقرأ الأوراد والأذكار، ثم بدأ الإمام يدعو وكنا نؤمّن على دعائه، عند ذلك نبهنا أحد الإخوة وكان يجلس قرب (الشراقة) بأنه يشم رائحة تدخين، وهذا يعني أن أحد الزبانية يقف فوق الشرّاقة . سكت الجميع، فنادى ذلك المجرم رئيس المهجع بصوت كفحيح الأفاعي قائلاً : (ولك يا.... عاملين جامع هون) ثم طلب منه أن يحضر الأخ الذي صلّى إماماً، فسأله (إنت اللي كنت تصرلي إمام؟) فأجابه بالإيجاب، فشتمه بأقذع الألفاظ ، وتابع قائلاً : بكره منتحاسب غير لأسحقكن يا كلاب يا حقراء يا.....) فأخذنا ندعو الله و نسأله السلامة.

وفي اليوم التالي حوالي الساعة التاسعة، حضر الزبانية لباحتنا ومعهم الدولاب، وبأيديهم السياط، وجاءوا مباشرة لز نزانتنا بعد أن تجاوزوا الزنازين الأربع التي تقع عند مدخل الباحة، فتح الجلادون الباب، فقدم رئيس المهجع الصف كالعادة، فصرخ أحدهم: (لبره يا كلاب يا حقراء...) وخرج الجميع للباحة لتبدأ حفلة التعذيب... فانهالوا علينا ضرباً بالسياط، ثم أحضروا رئيس المهجع، وطلبوا منه أن يدلهم على الأخ الذي كان إماماً، فوضعوه في الدولاب، واستمروا بضربه حتى أصيب بالإغماء، فصبّوا عليه الماء، وأخرجوه من الدولاب، واستمروا بضربه على يديه وظهره حتى تعبوا منه، وكذلك فعلوا برئيس المهجع، أما البقية، فقد نالوا حظهم من التعذيب والإهانة بدرجات متفاوتة ومتقاربة، رغم أن آثار حفلة الاستقبال ما تزال موجودة على أجسادنا.

وانصرف الجلادون بعد إشباعنا إهانة وإيذاء وشتائم، وهكذا كان جزاء كل من يصلي بذلك السجن اللعين، أو يتجه إلى الله سبحانه كافراً بالطاغوت.. بعد ذلك قرر الإخوة أن نصلي خلسة حتى لا يشعر بنا أحد، أما الأخ الذي صلّى بنا إماماً فقد أصبح معروفاً لدى الجلادين الذين صاروا يخصونه بالإهانة والتعذيب في كل مناسبة، فراح يدعو الله أن يفرج عنه، فتقبّل الله دعاءه وتخلّص من التعذيب، فجاء الأوباش فسألوا عنه، فأخبرهم رئيس المهجع أنه خرج حيث لا ندري، فطالبوه أن يخرج لهم خليفته، حيث سأله المساعد أبو جهل بالحرف الواحد قائلاً: (من هو خليفته) فأجابهم رئيس المهجع: لا يوجد له خليفة، فانهال عليه الجلادون ضرباً، حتى اضطر لإخراج أحد المعتقلين بشكل عشوائي ليتخلص من التعذيب. فانهال الجلادون على ذلك الأخ ضرباً، فصار يصرخ ويستغيث وينفي التهمة الموجهة إليه!!!؟ بأنه لا يعرف الصلاة، وأنه لا يصلي، وبعد ذلك أوقفوه عند باب المهجع، وطلبوا من جميع السجناء أن يبصقوا على وجهه احتراماً له لأنه كان إماماً.

وللصلاة في سجن تدمر قصة مؤلمة وطويلة، لقد كان الجلادون يسألون رؤساء المهاجع بكل مناسبة عن الأشخاص الذين يصلون، فيجيبهم رؤساء المهاجع

بالنفي، فينهالون عليهم ضرباً ليعترفوا على الأخوة الذين يصلّون، وربما اضطر بعضهم تحت التعذيب إلى إخراج أحد السجناء، أو عدد منهم بصورة عشوائية، ليتخلص من التعذيب. ومن القصص التي انتشرت في سجن تدمر في نهاية عام 1980 أن اثنين من الإخوة من محافظة إدلب، أحدهما مهندس مدني قد استشهدا تحت التعذيب، لأنهما ضبطا متلبسين بجريمة الصلاة!!!.

ومن الحوادث التي حصلت في زنزانتنا، أن أحد الإخوة ضبط متلبساً بجريمة الصلاة، إذ كان يصلي جالساً، فصرخ به رئيس الدورية وهو برتبة عريف اسمه عبود، فأنكر ذلك الأخ، لأنه كان يصلي مومئاً برأسه فقط، فهدده وشتمه وانصرف . وفي اليوم التالي، حضر ذلك المجرم ومعه عدد من الجلادين، فطلب من ذلك الأخ خلع ملابسه، والخروج للباحة، واستمر الجلادون في ضربه حتى تسلّخ جلده، وكذلك فعلوا برئيس المهجع، وسألوه عن أسماء الذين يصلون عندنا، ولكنه تحمل التعذيب دون أن يعترف بشيء، مع العلم أن ذلك المصلي كان في العقد السابع من عمره، ويمتاز بالخوف والهلع، وطالما أصيب بالانهيار عند مجيء الشرطة، لذلك أصيب الإخوة بالغم عندما شوهد ذلك الأخ من قبل الجلادين وهو يصلي، وتوقع الجميع أنه سيعترف بأن جميع السجناء يصلون عند أول سوط، ولكن الله سلّم، وقد شاهد الحرس نزلاء المهجع المجاور لنا يؤدون الصلاة ذات ليلة من شهر رمضان عام 1402هـ، فحضر الجلادون منذ الصباح الباكر، وأخرجوا جميع المعتقلين، واستمروا بتعذيبهم فترة طويلة من الوقت، ونال رئيس المهجع قسطاً كبيراً من التعذيب والهوان، وعلمت من الإخوة الذين قدموا إلينا من السجون الأخرى من مختلف المحافظات، كسجن المزّة وكفر سوسة والشيخ حسن (بدمشق) والسجن المركزي بحلب وغيرها، أن الصلاة ممنوعة في جميع تلك السجون دون استثناء، والويل كل الويل لمن يقبض عليه متلبساً بجريمة الصلاة؟!.

وعندما تحسنت المعاملة نسبياً بسجن تدمر في نهاية عام 1982 قام النصيري المجرم الرائد فيصل غانم مدير السجن بجولات تفقدية داخل السجن، وتحدّث إلى

السجناء بنفس اللغة التي يتكلم بها سيده الصنم الكبير، فادعى أنه مسلم، وأنه يصوم ويصلي ويقرأ القرآن، فتجرأ أحد المعتقلين وسأله: طالما أنك مسلم وتصلي وتصوم، فلماذا لا تسمحون لنا بالصلاة؟ فأجابه : إن أرض الزنزانة وسخة لا تصلح للصلاة، فكيف تصلون على الأرض التي تأكلون عليها وتدوسون عليها؟ !! وكأنهم حريصون أن تكون صلاة المعتقلين مستوفية لكل شروطها وأركانها لتكون مقبولة. وصدق الله العظيم حيث يقول واصفاً حال هؤلاء المنافقين: **(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين).**

نعم الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون، وتلك هي سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً: **(قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً، حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك، ثواباً وخيرٌ مرداً).**

الحلاقة الأولى بسجن تدمر:

بعد مضي عدة أيام من قدومنا إلى السجن، جاء المساعد ومعه عدد من السجانين، وفتحوا باب الزنزانة بعدما ضربوا الباب والجدران بسياطهم، وهذه عادتهم في كل مرة يفتحون بها أبواب الزنازين، ليرهبوا السجناء قبل أن يبدءوا بتعذيبهم، فالسياط كانت تسبب اهتزاز جميع أجزاء الزنزانة، إضافة للصوت الشديد الذي يشبه صوت الانفجار الشديد، والذي يمكن سماعه من مسافة بعيدة، طلب منا المساعد الخروج للباحة حفاة الأقدام- كالعادة- ونلنا حظنا من الجلد عند باب الزنزانة . ثم وقفنا بالرتل الأحادي مغمضي العيون، مطأطئي الرؤوس، يمسك كل منا بثياب الذي أمامه. سرنا داخل السجن والسياط تنهال علينا من كل جانب، وتجاوزنا عدة أبواب

تفصل بين الباحات. وعند الأبواب استقبلنا الجلادون عند دخولنا وخروجنا، إضافة لاصطدامنا بحواف الأبواب، لأننا كنا مغمضي العيون، وهذا ما يؤدي إلى أذى بالأقدام، وربما وقع بعضنا على الأرض، فكان ذلك فرصة للجلادين ليعملوا سياطهم بأولئك المساكين الذين لا يدرون كيف وأين يسيرون، وغالبا ما يسقط عدد من الأخوة فوق الأخ الذي وقع على الأرض نتيجة لتعثرهم به، ولا يستطيع الجميع القيام ومتابعة المسير إلا بعد أن ينالوا حظاً وافراً من السياط.

وفي النهاية وصلنا إلى الباحة الثانية، أو باحة الحمام، فأوقفنا أمام أحد الجدران، وهو جدار المهجع رقم 8 والسياط تنهال علينا من كل جانب.. قام الحلاقون بصفنا، ووجوهنا للأمام، وظهورنا للحائط، وأيدينا خلف ظهورنا، والعيون مغمضة، والرؤوس منحنية.... بعد ذلك بدأ الحلاقون عملهم، مقسمين العمل فيما بينهم .... بعضهم يقوم بوضع معجون الحلاقة، وآخر يقوم بتدليكه بفرشاة الحلاقة المبللة بالماء، وآخرون يقومون بحلاقة شعر الرأس، حيث يجلس السجين جاثياً على ركبتيه، حانيا رأسه للأمام، واضعاً يديه خلف ظهره، وآخرون يقومون بحلاقة اللحى بواسطة أمواس الحلاقة.

عملية الحلاقة هذه تتم بسرعة، لذلك كانت الرؤوس مليئة بخصل الشعر غير المحلوق، والحلاقون لا يستعملون شيئاً لمنع سقوطه على الملابس أو داخلها، فتسقط الأشعار على الرقبة، ومنها للأسفل (على ظهر المعتقل) فتمتلئ الملابس الداخلية بالشعر، كل ذلك يذكرني بالحلاقة التي يجريها الفلاحون للمواشي، وليت الأمر يقتصر على هذا الحد من الإهانة والذل، ولو كان كذلك لهان علينا كثيراً، لكن الجلادين كانوا يتجولون بين المعتقلين الذين ينتظرون دورهم، لينهالوا عليهم ضرباً، وبشتى الطرق والوسائل، بالأيدي والأرجل، وبالسياط، ويطلبون من المعتقل أن يفتح يديه لينهالوا عليهما ضربا، وقد يلطمون الوجه أو يرفسون البطن، أو يستعملون قبضات اليدين للكم السجين على بطنه أو صدره، وهكذا...

أما الوجوه فقد امتلأت بالجروح والقروح، إما بسبب السرعة أو عدم الخبرة

وإما بسبب وجود عدد كبير من النصيريين الحاقدين، وبعض الحثالة بين الحلاقين الذين كانوا يعتمدون أن يسببوا لنا الجروح، وقام بعضهم بجدع الأنف والأذن من تلقاء أنفسهم، أو بتحريض من الجلادين، إذا أغاظهم مظهر أحد المعتقلين، كأن يدل مظهره على الحشمة والوقار، أو يكون شيخا مسنا، أو صغير السن، أو طويل القامة، أو وسيم الهيئة، وهكذا حيث يقول الجلادون للحلاق: (اذبحه لهذا الـــ ... أو اسلخه لهل ....) وإذا بكى المعتقل أو استغاث، فإن الجلادين يقولون له: (ما شفت شي يا حقير، هلق لما تخلص حلاقة بنورجيك يا...) فيسكت ذلك المسكين منتظراً ما هو أشد وأدهى.

وكلما انتهى أحد المعتقلين من الحلاقة، استقبله الجلادون بالسخرية قائلين له : (نعيما شرف لهون) فيطلبون منه أن ينبطح أرضاً، رافعا قدميه للأعلى، فينهالون عليه بالسياط، بينما يقوم آخرون برفسه بأقدامهم، ويدوس بعضهم فوق ظهره، بل أكثر من ذلك، فقد قفز بعضهم فوق ظهور بعض المعتقلين، مما سبب له كسورا بالأضلاع والعمود الفقري، وربما قام بعضهم بوضع نعاله فوق رأس المعتقل أو رقبته، وإذا ما صرخ ذلك المسكين أو استغاث فإنه م يلقمونه حذاءهم العسكري إمعاناً بإذلاله وإهانته..

بعد ذلك يطلبون من المعتقل الوقوف، وربما كان لا يقوى على ذلك، فيجلس جاثياً على ركبتيه، وقد فتح يديه، لينهال عليهما الجلادون ضرباً. وهكذا حتى يأتي غيره... لقد قضينا حوالي ساعتين، وربما أكثر على هذه الحالة، ح تى انتهينا من الحلاقة، ثم وقفنا بالرتل الأحادي، وعدنا إلى الزنزانة بنفس الطريقة التي خرجنا منها. لقد أصابنا الذهول عندما أغلق باب الزنزانة، وفتحنا عيوننا، لأن ملامحنا تغيرت، وربما لم نعرف بعضنا البعض للوهلة الأولى.

ورحنا نغسل وجوهنا لنزيل آثار الجروح والصابون عنها، وأخذنا نزيل الشعر الذي علق بملابسنا وأجسادنا، وراح بعضنا يزيل الأوساخ عن ملابسه، لأن باحة الحمام تحتوي على مجار مكشوفة بشكل ترعة صغيرة لجر مياه الحمامات، وأحد

صنابير المياه الموجودة هناك والذي يستعمله الشرطة والحلاقون. لقد وقع أكثرنا بتلك المجاري عندما كانوا مغمضي العيون، كما قام الجلادون بوضع بعضنا داخل تلك المجاري عندما كانوا يريدون ضربه على قدميه إمعانا بإيذائه وإهانته . وهكذا كانت الحلاقة في ذلك السجن الرهيب نوعا آخر من الإرهاب والقهر.

التعذيب في سجن تدمر:

لسجن تدمر برنامج أعد خصيصاً لتعذيب المعتقلين وإهانتهم بكل مناسبة يلتقي فيها السجانون بأولئك المعتقلين، إضافة لتخصيص مناسبات أخرى يأتي فيها الجلادون للغاية نفسها، ليفتنوا بأساليب التعذيب. أما المناسبات اليومية التي يأتي بها السجانون للزنازين فهي:

1- في الصباح الباكر يقوم السجانون بتوزيع طعام الإفطار.

2- التنفس.

3- توزيع الخبز مع الفاكهة أو الحلوى إن وجدت.

4- التفقد.

5- توزيع طعام الغداء.

6- توزيع طعام العشاء.

7- مناسبتا الحمام والحلاقة أسبوعياً.

وخلال هذه المناسبات يقوم السفلة بضرب المعتقلين وإهانتهم، لكن أهم المناسبات المستعملة خصيصا للتعذيب، هي التفقد والتنفس، والحلاقة والحمام.

التفقد:

في الأسابيع الأولى من مجيئنا لسجن تدمر، كان الجلادون يحضرون حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، فيفتحون الباب، ويقوم رئيس المهجع بتقديم الصف، فيدخل ضابط الصف المناوب (عريف أو رقيب) للمهجع مع عدد من الجلادين، حاملا بيده

ورقة يقوم بإحصاء السجناء، ثم يسأل رئيس المهجع بعبارات مختلفة مثل (قديش عندك ولك) وبعضهم يسأل (كم كلب عندك ولك حقير) وآخر يقول (قديش عندك ولك حقير)، فيجيبه رئيس المهجع، ويضرب الجلادون السجناء، منذ اللحظة الأولى لدخولهم المهجع وحتى ينتهي الضابط المناوب من عدّ السجناء وإحصائهم وتسجيل العدد الموجود بعد ذلك يخرج ضابط الصف طالباً من الشرطة الخروج قائلا: (شرطة لبره) لينتقلوا بعد ذلك المهجع لمهجع آخر، حتى ينتهي التفقد والعذاب . وعندما زاد عدد السجناء، أمرنا الجلادون بالوقوف برتل ثنائي داخل المهجع، ثم زاد عدد المعتقلين أكثر، فطلبوا منا أن نقف برتل ثلاثي ثم رباعي ثم خماسي، وفي هذه الحالة، كان الأخوة الذين يقفون بالصف الخارجي هم الذين يتحملون القسم الأكبر من الإهانة والضرب، لذلك كان الأخوة الشباب يؤثرون إخوانهم المسنين والمرضى بالوقوف في الصفوف الداخلية، حتى لا ينالهم الإيذاء والضرب والجلد، وكان المعتقلون يستعدون للتفقد قبل مجيء المجرمين بوقت طويل، وقد يطول الانتظار فنقف الساعات الطوال دون أن يأتي الجلادون لانشغالهم بأمور أخرى، ويقضي السجناء تلك الساعات في اضطراب وقلق دائمين، ولطالما تمنينا قدومهم لنتخلص من أحد فصول التعذيب اليومي.

وكان بين السجانين أحد الرقباء المغرورين، ويدعى علي، ويتصف بالحقد واللؤم، وكلما انتهى من التفقد بصق على السجناء ثم ينصرف.

وفي شهر نيسان من عام 1981 انتشر مرض الكوليرا في السجن، فصار الجلادون يخافون من دخول المهاجع، فأمرونا للخروج من الباحة لنصطف بالرتل الخماسي، وعندما ينتهي الرقيب من إحصاء المعتقلين وتسجيلهم، يؤمرون بالدخول للمهجع قائلين لهم: (لجوا ولك) أو (للمهجع ولك حقراء) عندها يجتهد الجلادون بضرب المعتقلين الذين تزاحموا أمام الأبواب الضيقة التي لا تسمح بمرور أكثر من شخص واحد، ونتيجة للخوف والفوضى يندفع الجميع لدخول الزنزانة تفاديا للأذى، مما يؤدي ذلك لسد باب المهجع وعرقلة دخول البقية. وهنا يبادر الأخوة الذين صاروا

داخل الزنزانة لسحب إخوانهم نحو الداخل، والجلادون يعملون سياطهم عشوائياً حتى يدخل الجميع، عندها ينصرف المجرمون، ويستعد السجناء لحفلة تعذيب جديدة ومأساة أخرى، وأصبحت هذه الطريقة من التفقد هي المتبعة بعد ذلك، وأصيب الكثير من السجناء فيها إصابات مختلفة نتيجة للسياط التي قد تصيب الرأس فتؤذي العيون، أو نتيجة لاصطدامهم بحواف الأبواب الجانبية، أو الحافة السفلية التي تحتوي على زاوية حديدية يمتد ضلعها القائم من بداية الباب حتى طرفه الآخر، أو نتيجة للضغط الناشئ عن اندفاع المعتقلين بصورة فوضوية، مما يؤدي لحصر البعض بين الجدران أو أحرف الباب، وبين المعتقلين الآخرين الذين يضغطون بهدف الدخول . وهكذا كانت مناسبة التفقد في سجن تدمر رعبا وبطشا وكثير اً ما تساءل الأخوة لماذا يتعبون أنفسهم ويتعبوننا معهم بالتفقد؟ يمكنهم حصر عدد المعتقلين بطرق أسهل من ذلك بكثير، ولكنها على أية حال كانت مناسبة لإيذاء المعتقلين وإهدار كرامتهم، وشفاء أحقادهم الطائفية التاريخية ليس إلا.

التنفس في سجن تدمر:

ويعد من أشد فصول التعذيب إيلاما ومرارة، فكنا نصاب بالغم عندما نسمع كلمة تنفس!!! حتى سماه بعض السجناء (تفطّس). يدخل الجلادون للباحة، فيفتحون باب الزنزانة الأولى قائلين: (اطلعوا ولك حقراء للتنفس) أو (تنفس ولك- الكل برا) بعد أن يصرخوا وينبحوا ويضربوا الأبواب والجدران والأعمدة بسياطهم، مما يؤدي لارتجاج الزنزانة من شدة الضرب، فيخرج السجناء حفاة الأقدام مغمضي العيون مطأطئي الرؤوس، وتبدأ عندها السياط عملها لسعاً، وبعد أن يكتمل خروج الجميع للباحة، يبدأ فصل التعذيب الذي يأخذ صوراً بشعة متنوعة، جلداً وبطشاً من شتى صور الهمجية الجاهلية. وقد يطلب الجلادون من السجناء أن يسيروا هرولة حول الباحة، ليباشر أحد الجلادين بإعطاء الإيعازات المختلفة... رملاً... منبطحاً... فينبطح

الجميع على الأرض، التي امتلأت بالحفر والقاذورات وبالماء في أيام الشتاء، ثم يعطي إيعازاً آخر قائلاً: تابع رملا. فينهض الجميع راكضين، لتأتيهم إيعازات أخرى، ثم مستلقياً، فيستلقي الجميع على ظهورهم، أو يقول: جاثياً، فيجلس الجميع جثياً على ركبهم، ويحيط بالباحة عدد كبير من الجلادين وبأيديهم السياط، وربما زاد عددهم عن عدد المعتقلين وخاصة في الأشهر الأولى من دخولنا السجن، عندها كان عدد المعتقلين قليلاً نسبياً، وكلما مر أحد السجناء أمام أحد الجلادين ضربه بالسوط كيفما اتفق، وربما استوقفه وطلب منه أن يفتح يديه لينهال عليهما ضربا، أو يأمره بالانبطاح على الأرض رافعاً قدميه للأعلى ليجلده عليهما ... وهكذا... حتى انتهاء مدة التنفس. والويل كل الويل لمن يتلكأ بتنفيذ أمر من الأوامر الصادرة للجميع أو له شخصياً.

نوع آخر من التنفس:

يخرج السجناء للباحة فيطلب منهم أن يسيروا رمَلاً حول الباحة، ثم يطلب منهم الانبطاح على الأرض رافعين أقدامهم للأعلى من الخلف، فتصبح السيقان مع الأقدام عمودية على الأرض، فينهال الجلادون بسياطهم على الأقدام، وآخرون يدوسون فوق ظهور المعتقلين. وفي هذه الحالة، لا يسمع الإنسان إلا لسع السياط وصريرها المختلط مع صراخ وأنين المعذبين، والجلادون ماضون في حقدهم الغادر اللئيم.

لقد اتبع الجلادون هذه الطريقة من التنفس خلال الشهور الأولى من وصولنا إلى السجن، (آب، أيلول، تشرين الأول وتشرين الثاني من عام 1980) فقد كان التعذيب على أشده خلالها، حتى أسماه المعتقلون بأيام التعذيب، تمييزاً لها عن غيرها من الفترات.

وخرجنا ذات يوم للباحة، فوجدنا أن أرضها قد امتلأت ببقع الدم، وكان الجو حاراً، ففاحت رائحة الدم التي اختلطت مع رائحة المطاط المنبعثة من السياط

وإطارات السيارات الملقاة على الأرض، وكان بعض الجلادين يرمون تلك الإطارات الثقيلة على المعتقلين مع القهقهة الشديدة، وآخرون يقومون برفس المعتقلين، ويدوسون بأقدامهم على أجسامهم، وقام بعضهم بالقفز فوق ظ هور المعتقلين مما سبب كسوراً ورضوضاً في عظام الصدر والعمود الفقري والأطراف... لقد كان الكرب شديداً في تلك الأيام، كان عددنا قليلاً بالنسبة إلى عدد الجلادين، ولاحظت خلال تلك الفترة عدداً من الجلادين بثياب مدنية، وهم غالبا عناصر البلدية الذين يقومون بأعمال الخدمة في السجن، ولفت أنظارنا وقتها دخول دوريات المخابرات المتكررة، وكانوا يجلبون دفعات جديدة للسجن، ويقومون بتعذيب المعتقلين مع عناصر الشرطة العسكرية تنفيساً عن أحقادهم.

أما الحالة النفسية للسجناء، فلا يمكن وصفها، فالخوف والرعب قد أخذا منهم كل مأخذ، وهما أشد على النفس البشرية من لسعات السياط، والسجناء الآخرون ينتظرون دورهم، وقد تسمر كل في مكانه من الهلع. وهذه هي أشد لحظات التعذيب إذ تتسارع ضربات القلب مع قرقرات شديدة بالأمعاء. وقد أصيب أكثر السجناء بالإسهال، وتزاحموا أمام دورة المياه، فالكل مصاب بالغم والكر ب، بعضنا تسلح بالوضوء، وراحت الألسنة تجأر إلى الله بالدعاء، وآخرون يقرؤون ما حفظوه من كتاب الله العزيز، حتى يأتي دورنا، هكذا كنا نقضي أوقاتنا على هذه الوتيرة من التوتر والقلق والعذاب كلما سمعنا أصوات التعذيب في الباحات الأخرى، وكلما انتهى فصل من فصوله كنا ننتظر الفصل الذي يليه، وكلما سمعنا صرير الأقفال وفتح الأبواب بالباحات الأخرى، سيطر علينا الغم والكرب والخوف. ولعل الألم النفسي الذي كنا نواجهه يفوق بشدته جميع أنواع التعذيب الجسدي الذي نتعرض له رغم وحشيته وفظاعته، وهكذا حتى يأتي الليل ليسدل علينا ستره وبعض الراحة النفسية . وكم كنا نتمنى ألا يطلع علينا الفجر، بل إننا كنا نصاب بالغم عندما نسمع المؤذن يرفع آذان الفجر هل يصدق المسلمون هذا الكلام؟.. أجل.. كنا نصاب بالهم والذعر عندما يتناهى إلى مسامعنا صوت المؤذن لصلاة الفجر، فيتساءل كل منا: ماذا ينتظرنا

في هذا اليوم الجديد؟! وكم دعوت الله تعالى إذا حل الظلام أن نقبض فلا نصبح إلا جثثاً هامدة، نعم لكم تمنينا الموت في تلك الأيام الحالكة السواد. لقد قالها لي بعض الأخوة: قد يكون الموت فرجاً بالنسبة لنا. وكم تذكرت قوله تعالى عندما يصف حالة الكافرين الذين أدخلوا جهنم عندما يشتد عليهم العذاب فيتمنون الموت حيث يقول تعالى: **(ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون)**.

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

نعم لقد وصل الكرب ذروته، فأصبح الموت أمنية غالية يتمناها أكثرنا إن لم يكن جميعنا، لأنه باب الخلاص الوحيد من بطش الجبناء الرعاديد فئران.

وتنفس ثالث للأوباش:

وهي أن ننزع ثيابنا ونخرج إلى الباحة، فيبدأ الجلادون بضربنا، ويطلبون منا أن ننبطح أرضاً كذلك، ومرة طلبوا منا أن نخرج، وكان الجو بارداً وامتلأت الحفر الموجودة في أرض الباحة بالماء، بسبب هطول الأ مطار خلال الليلة السابقة.. كان الوقت صباحاً عندما طلبوا منا الانبطاح على الأرض التي امتلأت بالماء والحصى والقاذورات، ولم يقتصر الأمر على هذا فقط بل راحوا يسلقوننا بسياطهم على أجسادنا العارية حتى انتهى التنفس.

ونمط رابع للتنفس:

يخرج المعتقلون مع جميع أغراضهم من أسمال بالية وبطانيات وعوازل، ويضع كل معتقل أغراضه أمامه ويجلس، فيطلب الجلادون منا أن نخلع ثيابنا، ويتجولون وبأيديهم السياط يلهبون بها أجسادنا كما يحلو لهم، وقد يطلبون منا أن نقوم بإجراء التمارين الرياضية المرهقة مع الجلد والبطش، ويستعمل الجلادون هذه الطريقة من التنفس أيام الصيف الحارة، حيث الشمس المحرقة في صحراء تدمر .
ونتيجة لإخراج الأغراض وتعريضها للشمس، فإنها تمتص معها كمية من الحرارة،

وعندما ندخلها إلى الزنزانة تزيد الحرارة داخلها أكثر وأكثر، ليضاف ذلك إلى معاناتنا من ارتفاع درجة الحرارة بسبب الصيف وسوء التهوية والازدحام الشديد، فيكون ذلك كربا فوق كرب، ظلمات بعضها فوق بعض، ورغم ذلك كنا نفرح بانتهائنا من حفلة التنفس لذلك اليوم.

مدة التنفس عادة نصف ساعة أو أقل قليلاً أو أكثر، يقضيها السجناء بالتعذيب والإهانة والشتائم والهم والكرب، وكنا نحسبها يوماً كاملاً لما لها من وطء رهيب على النفس، والتنفس عادة يومي، ولكن قد تمر بعض الأيام دون أن نتعرض له، ولكن التعذيب لا يفارقنا لحظة واحدة من ساعات النهار الذي نقضيه بالترقب والحذر.

الحمام في سجن تدمر:

وهو أيضا مناسبة أخرى لتعذيب المعتقلين، وأول مرة خرجنا إلى الحم ام كانت في تشرين الثاني عام 980 بعد مضي أكثر من ثلاثة شهور من دخولنا السجن، ثم أصبح الحمام فيما بعد أسبوعياً . يأتي الجلادون فيفتحون باب الزنزانات قائلين : (الكل بالشورت للحمام) فيخرج السجناء كالعادة مطأطئي الرؤوس مغمضي العيون يمسك كل منهم بيد أحد إخوانه ثم يصطف الجميع في الباحة رتلا ثنائيا ثم يسيرون مسرعين نحو الحمام، ويقف الجلادون على طول الطريق وبأيديهم السياط يلسعون بها أجساد المعتقلين وخاصة عند المهجع والأبواب التي تفصل الساحات عن بعضها البعض . وأمام باب الحمام المكون من غرفتين منفصلتين، جرى تقسيمهما لعدة أقسام، يفصل بينهما جدران إسمنتية ترتفع حوالي متر ونصف المتر، وكل قسم يتسع لشخصين فقط، وهو مخصص عادة لشخص واحد ولكن يزدحم فيه عدد أكبر من المعتقلين حوالي 5-6 أشخاص على الأغلب وخاصة عندما زاد عدد المعتقلين بداية عام 1981.

الماء المستعمل في أكثر الأحيان هو ا لماء البارد، ونادراً ما يكون الماء مقبولاً، وأحياناً يكون الماء حار جداً، مما يسبب الحروق الجلدية، ولا مجال

للاعتراض على تعذيب من نوع جديد، فالماء يسكب من صنابير موجودة في الأعلى، ويتحكم بها السجانة، وبعد عشر دقائق من دخولنا الحمام نؤمر بالخروج فنقف قليلاً بباحته لتلقّي كم هائل من لسعات السياط، ثم نعود بنفس الحفاوة التي استقبلنا بها عند دخولنا الحمام.

وللإنسان أن يتصور أي حمام ذلك، فكل شيء مخصص للتعذيب والإهانة، من خروج المعتقل عاريا ماعدا السروال الداخلي، والسير بهذه الصورة مسافة طويلة مع السياط والماء البلود وما بعد الحمام. ولو أن الأمر اقتصر عند هذا الحد لهان علينا كثيراً، ولكن سجناء تدمر تعرضوا لحمامات أكثر فظاظة وفظاعة مما وصفت، وتستحق أن تسمى حمامات الدم.

حمامات الدم في سجن تدمر:

هذه العبارة معروفة في القسم السياسي، وهي تعني المجازر الدموية التي يرتكبها الطغاة. وسجن تدمر يعتبر حمام دم بهذا المعنى وهذا ما سنراه عند الحديث عن المحاكم الميدانية، لكن حمامات الدم التي نتحدث عنها هنا هي شيء آخر، ولعلها أشد إيلاما، لأن التعذيب أشد على النفس من الموت.

خلال شهر شباط عام 1982 وبالتحديد أثناء مجزرة حماة الكبرى اشتدت حدة التعذيب في سجن تدمر، وتحولت مناسبة الخروج للحمام إلى مجزرة حقيقية فراح الجلادون يضربون المعتقلين بحقد وفظاعة لم يسبق لهما مثيل.

يتم تقسيم المعتقلين إلى دفعتين عند بلوغهم ساحة الحمام، فتدخل الأولى وأما الثانية فينتظر أفرادها في الباحة لينهال عليهم الجلادون بالسياط وبقسوة وعنف، فيتراكض المعتقلون، ويطاردهم الأبالسة الجلادون، عند ذلك لا يسمع الإنسان إلا لسع السياط التي اختلطت مع أنين واستغاثات المعذبين وأصوات وقع الأقدام على الأرض من شدة التدافع والركض، وبعد عذاب رهيب يطلب الجلادون ممن دخل الحمام الخروج ليدخل مكانهم الذين كانوا بالباحة، ليبدأ التعذيب من جديد لمن كانوا داخل

الحمام، وبنفس الصورة السابقة على الأجساد العارية المبللة بالماء البارد.

وبعد ذلك يخرج الذين دخلوا الحمام، ليسير الجميع نحو المهجع والسياط تلهب أجسادهم. ويمكن للإنسان أن يتصور فظاعة ذلك الفصل من التعذيب، فالأجساد عارية ومبللة بالماء في شهر شباط (فبراير) وفي درجة حرارة متدنية في صحراء تدمر. لقد امتلأت أرض الباحات وخاصة باحة الحمام ببرك الدم.

واستشهد عدد من الأخوة تحت التعذيب، وأصيب آخرون بأذيات شديدة كالكسور والجروح والخلوع وفقد البصر نتيجة لفقء العيون، والتي أدت لعاهة دائمة، لأن الدواء والعلاج ممنوعان عند القرامطة.

وأما البرد فلم نكن نشعر به، رغم أننا نخرج عراة ونسير مسافة طويلة نحو الحمام، وقد تزيد المسافة عن مئتي متر أو أكثر ما بين المهجع والحمام، ورغم ذلك، فلم نكن نفكر بالبرد، خاصة بعد عودتنا مبللي الأجسام، لأن الخوف قد استولى علينا، وتفكيرنا يتجه نحو السياط فقط. وهكذا كانت حال الحمام في سجن تدمر.

طرق أخرى للتعذيب والتنكيل:

فالجلادون لا يتركون مناسبة تمر دون التنكيل بأسراهم، ويتفننون في ذلك . ولو أراد المرء أن يحصي طرق التعذيب والبطش لاحتاج إلى عدة مجلدات، ولكن تبقى هنالك بعض طرق القهر التي يعف اللسان والقلم عن ذكرها، فلا أدونها هنا . ولعل ذهن القارئ في أبشع تصور يتقرب من أسهلها، وأكتفي هنا بإيراد عدة أمثلة من طرق أخرى للتعذيب والإهانة التي اتبعها أولئك الوحوش والتي لها مغزاها:

1- كان الجلادون يستعملون العصا الغليظة للضرب، وأحدهم ويدعى سمير كوشري وهو نصيري حاقد، أسمر اللون، ذو شاربين رفيعين، وصوت غليظ، ويكثر من استعمال كلمة (حيو) فلقبه المعتقلون بهذا اللقب (حيو) والعصا التي يستعملها كانت بطول متر ونصف تقريباً، وأحياناً يستعمل عصا الفلق

(الموصوفة سابقاً)، ويضرب بها المعتقلين على الظهر والفخذين والساقين والرأس، مما أدى إلى إصابة بعض المعتقلين بعاهة دائمة، كما استشهد آخرون. وكان الرقيب فيصل وهو نصيري حاقد مشهور باستعمال العصا الغليظة بالضرب، لأن السوط لم يكن ليشفي غله وحقده، وتسبب ذلك المجرم باستشهاد العديد من الاخوة، ففي إحدى حفلات الاستقبال، استشهد شخصان : أحدهما يدعى حسن شغيل والآخر من عائلة صافي من مدينة حمص.

ومن طرق التعذيب اللطم على الوجه، حيث يؤمر المعتقل برفع رأسه مع الوقوف بوضعية الاستعداد مغمض العينين، ليلطمه المجرم على وجهه، مما يؤدي لثقب غشاء طبلة الأذن . وكذلك اللكم بقبضة اليد على البطن . وكان بعض الجلادين من ذوي القامات الطويلة، والبنية الغليظة، يتدربون الجيدو والكراتيه بالمعتقلين الذين أتلفت أجسادهم سوء المعاملة وسوء التغذية، فيالها من شجاعة ورجولة وشهامة نصيرية!!! ولقد كان اللكم أشد إيذاء من السياط، حيث يضربون السجناء على البطن والمناطق الحساسة من الجسم . وقد يصاب البعض بالصدمة العصبية، فيسقط على الأرض مغميا عليه، وكذلك الأمر بالنسبة للرفس على المناطق الحساسة من الجسم.

ومن طرق الإهانة: حدثني أحد الإخوة أنهم عندما وصلوا إلى السجن، كا ن أحدهم يخفي مصفحاً بين أغراضه، فقام الجلادون بانتزاعه منه وتمزيقه ورميه بأرض الباحة.

2- وفي إحدى مناسبات التنفس، جاء أحد ضباط الصف، ويدعى شعبان حسين (برتبة عريف)، كان طويل القامة، غليظ البنية، ذا صوت أجش، معروفا لدى جميع المعتقلين بفظاظاته وغلظة قلبه، وقف يومها يسألنا: من منكم ذهب إلى الحج (مين منكم حجي) فلم يجبه أحد، فتجول بين المعتقلين، وأمسك بأحد الاخوة المسنين، فسأله (أنت ولك حقير) (أنت مالك حجي) فأجابه بالنفي، فطلب منه الخروج جانباً وبعيداً عن بقية المعتقلين، حيث يجلس على كرسي مع بقية الجلادين في إحدى زوايا الباحة، فطلب من ذلك الأخ أن يقبل له

حذاءه العسكري، فتردد ذلك المسكين في تنفيذ هذا الأمر، فقام من مقعده وانهال عليه ضرباً فما كان من ذلك المسكين إلا أن امتثل للأمر، فطلب منه أن يطوف حوله، وهو يقول له : هذه هي الكعبة (مشيراً لحذائه والعياذ بالله) ثم تابع قائلاً: أنت الآن ذهبت للحج، وفي المرة القادمة عندما نسأل: من ذهب إلى الحج؟ فإنك تجيب: أنا!! لأنك صرت الآن (حجي)؟!!!.

وكثيرا ما كان الجلادون يطلبون من بعض المعتقلين أن يمسحوا لهم أحذيتهم، إرضاء لغرورهم وساديتهم، وإمعاناً في إذلالهم وإهانتهم . وكان الجلادون يزرعون البصل في أحد الأحواض الموجودة في باحتنا ومرة اقتلعوا كمية من البصل الأخضر، وطلبوا من عدد من الإخوة أن يأكل كل منهم بصلة كاملة مع جذورها التي تحتوي على كمية من الطين، والرمل، وبقايا البصلة التي تم غرسها وقد تعفنت قشرتها ولحمتها، فأصبح طعمها مقززاً، علما بأن البصل المزروع هو من البصل الكبير الذي يأخذونه من المطبخ، فهم بحاجة للمقبلات كي يأكلوا جيداً، فتقوى بذلك أجسامهم، ليستطيعوا أداء واجبهم (الوطني) بتعذيب المعتقلين وإهانتهم !!! ويمهدوا الأرض للصهيونية. وكانوا إذا وجدوا أية قطعة من لحم أو حلوى أو غيره ا في أرض الباحة، أجبروا المعتقلين على التقاطها وأكلها، لأن الطعام يوزع في أطباق مكشوفة، وكثيراً ما تتساقط قطع منه على الأرض بسبب الهرج والمرج أثناء توزيعه، وبسبب الضرب الذي يتعرض له السجناء الذين يقومون بالتوزيع، وأذكر أنهم طلبوا من أحدنا أكل قطعة من الحلوى فقال: لقد شعرت بطعم كريه مقرف، لأنها كانت فاسدة ومملوءة بالرمل بسبب وطء حوافر وأظلاف الجلادين وأقدام السجناء عليها، وهكذا كان الزبانية يتفننون بتعذيب المعتقلين وإهانتهم كلما سنحت لهم الفرصة.

التعذيب المخصص لأناس معينين:

يزداد سخط السجانة ويصبون جام غضبه م على نوعيات معينة من السجناء وهذه النوعيات هي:

1- المعتقلون ذوو الكفاءات العلمية كالأطباء والمهندسين والمدرسين وطلبة الجامعة وضباط الجيش، ويتعرض هؤلاء المقهورون لقسط أكبر من التعذيب والإهانة، لذلك يتجنب السجناء ذكر ألقابهم وأعمالهم.

ومن الأمثلة: أن أحد الأخوة الأطباء من نزلاء المهجع المزدوج (5-6) بالباحة الأولى، ويدعى محمد زاهد داخل (من مدينة حلب) دخل سجن تدمر في شهر رمضان من عام 1980 وحفظ السجانة اسمه وشكله ومهنته، فأصبح معروفا لديهم أنه طبيب، فكانوا يخصونه بالتعذيب أكثر من غيره، حتى استشهد تحت التعذيب عام 1982 على يد المجرم (فواز) الذي استمر بضربه. حتى قضى عليه. وكذلك الأمر بالنسبة للعميد أحمد غنوم الذي اعتقل عام 1980 بتهمة ملفقة، فعرفه الجلادون، فصاروا يخصونه بالتعذيب أكثر من غيره، حتى توفي في سجن تدمر في عام 1986، لذلك كان الجلادون يسألوننا في كل مناسبة: من منكم أستاذ؟ من منكم دكتور؟ أيكم طالب جامعة؟ وهكذا ... وذات مرة راح أحد الحاقدين يسأل : من منكم أستاذ مدرسة؟ أيكم مدرس تربية دينية؟ فلم يجبه أحد، فاختار أحد الإخوة وسأله عن عمله، فأجاب أن لا يعمل مدرساً، فقال له وما عملك؟ قال له : بائع صابون، فانهال عليه ضرباً بالسوط، وكلما لسعه سوطاً له : (خذ لوح هالصابون)، حتى شفى حقده من ذلك المسكين، وكذلك الأمر بالنسبة لكبار السن، وأغلبهم من الرهائن الذين ليس لهم أي قضية تستوجب اعتقالهم، وكان الجلادون يستعملون معهم ألفاظاً تنم عن درك سافل من المستوى الوضيع الذي وصل إليه أولئك الأوباش، كعبارة (شيبة الكلب) و(شيبة الخنزير) ويضربونهم بقسوة، مما أدى لاستشهاد عدد منهم نتيجة التعذيب، أذكر منهم : الحاج هاشم الحبال من حمص، وقد اعتقله المجرم غازي كنعان مع أحد أبنائه كرهائن، وهو في العقد الثامن من عمره، وأرسل لتدمر بعد المجزرة مباشرة (في شهر تموز من عام 1981) وضمه المهجع رقم 19 في الباحة الرابعة، وكان مصابا بأمراض مختلفة، نتيجة الشيخوخة، ومع ذلك، تعرض للتعذيب الشديد على أيدي المجرمين الذين كانوا يخصونه دون غيره في كل مناسبة بالجلد، فيصرخ ويستغيث،

حتى صار صوته معروفاً لدى جميع المعتقلين نزلاء الباحة الرابعة.

ولسوء المعاملة والأوضاع المتردية في السجن، توفي في مطلع عام 1981 فسأل المجرم غازي كنعان بعض المعتقلين ممن أُعيدوا للفرع للتحقق أو لأمور أخرى عن سبب وفاة الشيخ هاشم حبال قائلاً لهم: هل كانت وفاته طبيعية أم لسبب آخر؟ وكأنه لا يعلم ما يعنيه ذهاب المعتقل لسجن تدمر. ولطالما ردد لكثير ممن معتقليه قوله (روح لتدمر لتموت هناك كالكلب) ولكن أنى للمعتقلين قول الحقيقة؟ فأجابوه بأن الوفاة طبيعية، فهم يعرفون أن ذلك المجرم النصيري (غازي كنعان) يريد استدراجهم من خلال السؤال، فيفتحون على أنفسهم كرم أخلاق ذلك الوغد!!!

وكذلك الأمر بالنسبة لصغار السن (الأحداث) والذين لقبهم الجلادون بالوظاوظ أو الوظاويظ(22)، وخصهم الجلادون بالتعذيب أكثر من غيرهم ليكسروا فيهم الرجولة والشهامة، فتأمن إسرائيل. وقد وصلت دفعة من الأحداث من فرع المخابرات العسكرية بإدلب، وبلغ عددهم 27 شخصاً كلهم من طلاب المدارس، وتعرضوا لحفلة استقبال بشعة، وبعدها صار الجلادون يخصونهم بالتعذيب، فهم يحضرون إلى الباحة الرابعة مساءً على غير عادتهم، ليفتحوا باب المهجع رقم 18 ويخرجوا أولئك الفتية، فيستمر المجرمون في تعذيبهم لمدة طويلة ثم ينصرفون، وعلمت أن 18 أخاً منهم قد استشهدوا نتيجة لمحاكم التفتيش التي حكمت بإعدامهم، لتقرّ عيون القرامطة الجدد من بني صهيون.

وفي نهاية عام 1980 قام جهاز السجن بفرز الأحداث، وجمعوهم في زنزانتين هما: رقم 31 و32 في الباحة السادسة ونقلوا فيما بعد في بداية عام 1982 إلى المهجعين رقم 36 و 37 في الباحة السابعة، وكان عددهم كبيراً، إذ ضمت كل زنزانة ما يقرب من مئتي شخص واستشهد عدد منهم نتيجة التعذيب، وأذكر أحد الإخوة الذي استشهد في رمضان عام 1982 وقبل عيد الفطر بيومين عندما أخرج المعتقلون للحمام مساء، وتعرضوا للتعذيب الشديد، وحينما عادوا إلى مهاجعهم، كانت إصابة أحدهم بليغة، فطرق رئيس المهجع السجن باب الزنزانة، إذ كانت العادة أن يطرق

السجناء الباب في مثل هذه الحالات والظروف، فيحضر الحرس الواقف على سطح الزنازين، ويسأل عن السبب، وفي أغلب الأحيان يجيب المعتقلين بالشتائم ثم ينصرف، وما أكثر ما قال: (خلي يموت لأجري)(23) أو أجاب بعضهم (عندما يموت تطرقوا الباب) أو يروح مهدداً وشاتماً متوعداً في حالات أخرى، ونادراً ما يحضر الرقيب المناوب محضراً معه المساعد أبو رشيد (ممرض السجن) وأما الطبيب فمجيئه أندر من وجود الرحمة المفقودة في قلوب أولئك الوحو ش، وهكذا لم يكترث الحارس للأمر قائلاً لهم (خليه يموت) وفي صباح اليوم التالي استيقظ الأخوة ليجدوا أخاهم قد انتقل لرحمة الله وفارق حياة الظلم والذل وبهذه الحالة النفسية استقبل الأخوة عيد الفطر في ذلك العام.

برنامج التعذيب الليلي:

يقضي معتقلو سجن تدمر نهارهم في حالة انتظار وترقّب دائمين، وكلما انتهى فصل من فصول التعذيب ينتظرون الذي يليه ثم التالي فالتالي، منتظرين بفارغ الصبر حلول الظلام مسدلاً ستره لينالوا قسطاً من الراحة بعد ذلك العناء من التعذيب والإرهاب الطويلين.

لكن المجرمون أبو أن يتركونا نهدأ لحظة واحدة ، وتفننوا باختراع أساليب جديدة لإيذائنا وتعذيبنا، ففي شهر تشرين الأول (أكتوبر) من عام 1980 راحوا يعذبوننا بطريقة جديدة، عندما طلبوا منا الوقوف على قدم واحدة طوال الليل، رافعي الأيدي، لأن ذلك أشد إيلاماً.

ولما كانت أغلب الزنازين تحوي فتحات كبيرة في السقف تم كن الحارس من مراقبة السجناء وفرض اللازم من العذاب والإيلام، فقد صار من المستحيل مع ذلك الموقف أن يخالف أحد أمر الوقوف طوال الليل، أما المهاجع الأخرى، فيمكن كشفها بواسطة النوافذ التي تساعد الحرس الموجود فوق سقف الزنزانة المقابلة أن يرى أكثر أجزائها الداخلية وما يعمله المعتقلون بالإضافة إلى الدوريات المتحركة بين الباحات

لمراقبة جميع المهاجع، وهكذا كنا مجبرين أن نستمر بالوقوف حتى الصباح، عندما يبدأ الجلادون بتوزيع طعام الإفطار، فيجلس الجميع في حالة ترقّب من جديد، انتظاراً لفصول التعذيب النهاري. وبذلك نحرم من الراحة طوال الوقت، وليت الأمر اقتصر على هذا الحد، فقد اتبع الجلادون فيما بعد طرقاً أكثر لؤماً مما سبق من أصناف العذاب، إذ طلبوا من المعتقلين في الزنزانات التي تحتوي شراقات علوية، أن يجمعوا البطانيات والملابس مع جميع الأغراض تحت الشراقة مباشرة، ثم يقوم الجلا دون بصب الماء عليها، وذلك أيام فصل الشتاء، ولأن جميع المهاجع لا تحتوي على أية وسائل للتدفئة، إضافة لوجود النوافذ الكبيرة والفتحات بالسقف مما يجعل الحرارة داخل عنابر السجن لا تختلف عما هي عليه خارجها يضاف إلى ذلك عدم وجود الملابس الكافية لدى المعتقلين، فكان هذا العمل الإجرامي يزيد من الكرب والشدة التي يعاني منها السجناء أيام الشتاء الزمهريرية البرودة، والأنكى من ذلك كله أن حرس العنابر كانوا بكل لؤم وحقد يصبون الماء بغزارة ومباشرة من الشراقة على المعتقلين الذين ينامون تحتها، فكانوا يغرقون النائمين في منتصف الليل بالماء البارد. وهكذا لم يترك المجرمون أية وسيلة من وسائل التعذيب التي تفتقت عنها أفكارهم الشيطانية العفنة إلا وأتبعوها.

أدوات التعذيب في سجن تدمر(24):

وأهم التعذيب المستعملة هي:

1- السوط وهو عبارة عن قطعة من المطاط السميك الأسود والقاسي، طولها 80 سم وعرضها 5 سم وسمكها 3 سم وعلى الأغلب أنها سير دبابة (قشاط دبابة كما يقال بالعامية) فهي تجمع بين القساوة والمرونة والثقل مما يجعل لسعاتها مؤلمة جداً وحارقة مكهربة إذ تمزّق جلد الضحية، وكان المجرمون يضربون بلؤم وخسة الجبان التي تعبر عن حقد دفين، مما يؤدي لحدوث الكدمات والجروح والخدوش بالجلد وكما كنت ذكرت بأنهم كانوا يضربون الجدران والأعمدة والأبواب قبل فتحها، فتؤدي تلك

الضربات لحدوث اهتزاز وصدى شديد داخل الزنزانة، فإذا كان تأثيرها على الجمادات بهذا الشكل، فكيف يكون تأثيرها على أجساد المعتقلين، وبالخصوص إذا كانت عارية كما يحدث عند الحمام والتنفس.

2- ومن الوسائل الجهنمية أيضاً السلك الكهربائي المضفور، والذي كان مختصاً به المجرم (فواز) دون سواه من الجلادين خنازير السلطة النجسة.

3- العصا الغليظة خاصة عصا الفلق، وهي عصا غليظة تكفي ضربة واحدة منها لتهشيم العظم، واستعملت للضرب على الظهر والفخذين، وأحياناً على الرأس، مما سبب عاهات دائمة لكثير من الإخوة كالشلل، وكسور عظام الأطراف والصدر وخلع المفاصل، والتي تلاها تشوهات دائمة نتيجة إهمال المعالجة، وأسفرت تلك الإصابات أيضاً عن استشهاد العديد من الإخوة واشتهر المجرم (فيصل) بهذه الطريقة من التعذيب، وقتل بيديه العديد من المعتقلين.

4- التعذيب بأدوات الحلاقة، فكان الجلادون يحرضّون الحلاقين على جدع الأنف وتشطيب وتجريح الوجه بموس الحلاقة.

اختلاف حدة التعذيب:

إن الحياة في سجن تدمر مآس وآلام ومصائب، ومع ذلك اختلفت شدة التعذيب بين فترة وأخرى، ففي الأشهر الأولى التي أعقبت المجزرة الدموية كانت همجية التعذيب على أشدها، لذلك أطلق المعتقلون الذين دخلوا السجن بعد المجزرة مباشرة على تلك الفترة اسم (أيام التعذيب) وهي شهور: (تموز - آب- أيلول- تشرين الأول- تشرين الثاني من عام 1980) لتمييزها عن سائر الأيام.

وقد يشتد التعذيب ويصاب الجلادون بالهستيريا لمناظر الدم وعمليات القتل . وفي فترات معينة أخرى عند وقوع بعض الأحداث الكبيرة والمؤثرة على النظام داخل البلاد، وهذا ينطبق على جميع السجون السياسية، حيث يستولي اللؤم والحقد على أزلام النظام، فلا يجدون أمامهم إلا الأسرى الذين لا حول لهم ولا طول،

فيصبون عليهم جام لؤمهم، مع إفراغ سمومهم وأحقادهم الدفينة، وهذه أمثلة على ذلك.

فانتقاماً لهذه الأحداث، وانتصاراً لأسد يهوذا الإسخريوطي:

1- لجأ عبيد النظام للتنفيس عن حقدهم بإعدام الدفعة الأولى من الإخوان وكان عددهم 15 شهيداً في يوم 1979/6/29 بعد حادثة مدرسة المدفعية التي وقعت يوم 1979/6/16.

2- بعد تهريب الإخوان الـــــ 17 معتقلاً من سجن كفرسوسة ساءت المعاملة في جميع السجون، وصودرت المصاحف والأوراق المسموح بها في بعض السجون، كما منعت الزيارات عن المعتقلين، وتم نقلهم إلى سجن تدمر ليبدأ زخم رهيب من شدة التعذيب

3- إثر محاولة اغتيال الطاغية المجرم حافظ أسد يوم 1980/6/26 ارتكبت مجزرة تدمر الخسيسة مباشرة، واشتد العذاب والهوان على السجناء في كل كهف مظلم من دهاليز القرامطة الجدد، بالإضافة إلى إصدار القانون 49 وشكلت المحاكم الميدانية التي راحت تعدم بالجملة من المسلمين الشرفاء (راجع فصل محاكم التفتيش) كما يقضي ذلك الفرمان النصيري القاضي بذبح أبناء الإسلام، تجديداً لفرمان العهد البائد أيام الفرعون الهالك، وفي سجن تدمر حيث العزلة التامة عن العالم الخارجي، كنا نعرف أن حدثاً ما قد وقع داخل البلاد عندما يشتد العذاب، وتخيم غيوم الحقد علينا، وتشتد وتائر التعذيب، ويقوم الجزارون بتنفيذ عمليات الإعدام في ساحات السجن . وهذا ما كنا نعرفه فيما بعد من القادمين الجدد من العالم الخارجي.

ففي أيام عيد الفطر المبارك عام (1400هـــ- 1980م) أصيب المجرمون بالهستيريا، وجاءوا لتعذيبنا عند الصباح الباكر قبل توزيع طعام الإفطار على غير عادتهم، وعرفنا فيما بعد، أن سبب ذلك هو مجزرة حي المشارقة بحلب، ورغم ذلك، فقد مرت بعض الفترات التي هدأ فيها التعذيب نسبيا، وصدرت الأوامر من دوائر المخابرات بتخفيف التعذيب خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1980

فخرجنا يوم 13 تشرين الثاني للتنفس، فلم يتعرض أحد منا للضرب، على غير عادة أو عرف، ويومها دخل المساعد أبو جهل للمهجع، وتكلم معنا بطريقة تختلف عما سبق، إذ أظهر حرصه علينا، وطالبنا بالمحافظة على النظافة والنظام، حتى لا نسبب لأنفسنا التعذيب والإهانة. وقال: إنه قد رفع العقوبة عنا!! وأضاف: (وأنتم تعلمون ماذا يعني أن تحيجوا أنفسكم للأذى)! نعم لقد كان ذلك التعذيب الذي تعرضنا له عقوبة لنا لعدم محافظتنا على نظام السجن !!! ياللسخرية، إذا لم تستح فاصنع ما شئت والكفر ما بعده ذنب!!

وفي تلك الأثناء التزمت إدارة السجن بتنفيذ هذا الأمر (وقف التعذيب) وعرفناه من الإخوة الجدد، لأن حفلة الاستقبال لم تكن بتلك الصورة البشعة التي عرفناها قبلهم، ورميت السياط على الأرض، فصرنا ندوس عليها، وبدأ الجلادون يحضرون للباحات بدونها، وضباط السجن (المدير ومساعده وكان برتبة نقيب) يتجولون فوق الأسطحة، وإذا شاهدوا أحد كلابهم يحمل سوطاً سلقوه بألسنة حِداد ومهدد ينه ومتوعدينه، فالأمر عندهم يجب أن يطاع وينفذ بحذافيره، وكما ورد في أسس النظام العسكري التي يتعلمها كل من يدخل الجيش وتوابعه .... وبدأت إدارة السجن بمعالجة داء الجرب الذي استفحل واستشرى بين السجناء، وصرنا نذهب للحلاقة دون التعرض للضرب وتم فرز الأحداث وتجميعهم في مهاجع مستقلة عن مهجع الكبار.

واختلف الإخوة في تفسير تلك الظاهرة العابرة التي لم تدم سوى عدة أسابيع فقط، فبعضهم عزا ذلك لوجود احتجاج شديدة داخل البلاد وخا رجها، لتسرب أخبار التعذيب في سجن تدمر إلى الخارج، وهذا أمر وارد، فالمحيطون بالسجن من سكان المدينة يمكنهم سماع صراخ المعذبين، ولسع السياط طوال النهار، كما كنا نسمع أصوات الناس خارج أسوار السجن، وكذلك الآذان.

وآخرون أعادوا السبب لبدء انفراج (حلحلة المشكلة) حسب تعبير بعض الإخوة، نتيجة لوجود مفاوضات بين قيادة الإخوان والسلطة.

وآخرون أرجعوه لتوسط بعض أزلام السلطة ومطالبهم بذلك، حفاظاً على

سمعة البلاد، مع النظر البعيد في المستقبل لمصير الطائفة النصيرية، وهم يعيشون في بحر من الناقمين على ظلمهم وفجورهم، كنا نعيش في عزلة تامة عن العالم الخارجي، فليس لدينا أية معلومات تساعدنا على تحليل ما يجري حولنا، إضافة إلى الجو الرهيب الذي نحن فيه، والذي يجعل الإنسان عاجزاً عن التفكير بصورة صحيحة، فالخوف يسلب من الإنسان لبه.

وكذلك الطوباوية (المثالية والخيالية المفرطة) عند أكثرنا، فقلما نتعامل مع الأحداث والوقائع بتعقل ومنطقية، فالعفوية والارتجال هما السمة الغالبة على أكثرنا، وعلى أية حال فقد تكون تلك الأمور أسباباً وراء وقف التعذيب، أو حصل منها شيء أدى لذلك، ولكن الذين يعرفون طبيعة النظام الطائفي البغيض، يدركون أن ما ذكرناه من أسباب لن تؤثر بشكل من الأشكال ولا بحال من الأحوال على طبيعته وتصرفاته القمعية، فالطغاة جميعا، والنصيريون منهم بوجه خاص، فقدوا الحياء تماما، فهم يفعلون ما يشاءون، دون التفات لأي اعتبار، والاعتبارات الوحيدة التي تعيرها الطغمة الفاسدة اهتمامها، هي الأسباب الأمنية أي أن التعذيب قد أوقف لاعتبارات أمنية فقط، فما هي تلك الاعتبارات؟

إن المخابرات كانت وراء وقف التعذيب، وعرفنا ذلك من الإخوة الذين أعيدوا للتحقيق في تلك الفترة، فكان ضباط المخابرات يسألونهم عن المعاملة في سجن تدمر، ويؤكدون بأنهم طلبوا وقف التعذيب من الجلادين الصغار، وسبب ذلك (والله أعلم) هو استشهاد عدد من الأخوة نتيجة التعذيب، فقد استطعنا أن نحصي سبعة منهم، والعدد الحقيقي أكبر من ذلك، وربما يكون بعض الأخوة الذين استشهدوا في تلك الأثناء قد احتاجت إليهم المخابرات لتحقيق جديد، لاكتشاف أشياء جديدة أثناء التحقيق مع أشخاص اعتقلوا بعدهم، فأدلوا بمعلومات حول الأخ، وأنه قد قام بتنظيمه حزبيا، أو كانت بينهما علاقة تنظيمية، أو حول أمور أخرى تمس الشهداء مباشرة، وإلا فالمخابرات على علم بكل ظروف التعذيب الموجودة في سجن تدمر، إذ توجد مفرزة تابعة للمخابرات العسكرية هناك بصورة دائمة، وعلمت المخابرات بالأخوة الذين

استشهدوا، لأن إدارة السجن تعيد أولئك الأشخاص إلى الفروع التي اعتقلتهم، فالمخابرات مسؤولة أولا وأخيرا عن السجناء الموجودين في سجن تدمر الذي يعتبر مستودعاً لتجميع السجناء المضطهدين فحسب، ومع ذلك، فإن المخابرات لم تطلب وقف التعذيب إلا عندما شعروا بخطأ هذا التصرف وضرره من الناحية الأمنية، فاستشهاد أولئك الإخوة أدى لضياع بعض المعلومات التي يمكن أن تفيد النظام... لابد إذن أنهم يريدون تصفية المعتقلين في سجن تدمر..

وقد أطلقوا عليه اسم مركز التطهير الوطني لتصفية الإخوان المسلمين، سواء تمت هذه التصفية بالتعذيب أو بواسطة محاكم التفتيش الوحشية، فكلاهما سيان، لكن المهم أن يموت المعتقل بعد أن يفرغ كل ما في جعبته من معلومات يجب أن يعرفوها، لكن أن يموت قبل ذلك وعلى أيديهم، فهذا ما لا ينبغي أن يتم أبداً؟! وغالباً ما تكون الشهور الستة الأولى من الاعتقال كافية لكشف كل ما لدى المعتقل، وفي حالة عجز المخابرات عن اكتشاف جديد في تلك الفترة، فلن يكشفوا شيئاً بعدها على الأغلب، لانقطاع خيوط الارتباط بين الأشخاص والأحداث، لذلك كان الطغاة يتصرفون على ضوء القاعدة التالية: يتم اعتقال الشخص ويحقق معه ثم يودع السجن لأمد من زمان احترازياً، ويعرض بعد ذلك على المحكمة الميدانية ليؤخذ للمقصلة بعد أن اطمأنوا أنه قد أفضى بكل ما عنده، أو أصبح من المستحيل كشفها **(ألا ساء ما يحكمون)**.

أما إذا كان المعتقل لا يعرف شيئاً، أو لم يستطع التحقيق والمحققون إدانته، فيجري الاحتفاظ به معتقلا لفترة طويلة لأسباب أمنية، لعلهم خلالها يكتشفون جديدا يدفع بالتحقيقات إلى الأمام، ويساعد على تثبيت أركان الظلم والكفر ... نعم... هكذا كان تصرفهم وعقليتهم، أما حياة المعتقلين وإنسانيتهم فهي لا تساوي عندهم شيئاً، ومع ذلك، فقد عاد التعذيب ثانية بعد أن توقف ليبلغ ذروته في نهاية ذلك العام وبداية عام 1982 وبالتحديد أثناء مجزرة حماة الوحشية.

استمر التعذيب بهذه الحالة حتى شهر آب من نفس العام، عندما أخلي سبيل

67 معتقلاً من معتقلي المخابرات العامة، وخففت حدة التعذيب، وفي شهر تشرين الثاني من العام المذكور، أطلق سراح مجوعة أخرى من معتقلي المخابرات العسكرية والعامة، وخف حجم التعذيب حينها، وتحسنت المعاملة قليلاً، وسمح لبعض أقارب المعتقلين بزيارة أبنائهم، وقام المجرم فيصل غانم (مدير السجن) بالتجول داخل زنزانات السجن، وتكلم داخل بعضها وقال: إن الدولة ستفرج عن كل الأبرياء، وأما الذين ارتكبوا جرائم وخانوا الوطن (حسب تعبيره) فسوف ينالون جزاؤهم العادل (يقصد بذلك الأخوة الذين تثبت عليهم تهمة التنظيم) وقتها أصبح التعذيب مقتصراً على حفلة الاستقبال، أو عند وجود شكاية، لكن الأوضاع العامة في السجن لم تتغير، فالزيارات ممنوعة إلا لعدد قليل ممن لهم وساطات والتماسات لدى أزلام السلطة، وممن دفع ذووهم رشاوي خيالية (راجع فصل الزيارات في سجن تدمر). والسجناء ما يزالون معزولين عن العالم الخارجي تماما، فالراديو والصحف والمجلات ممنوعة، والكتب والقرطاسية وحتى المصاحف (عدوهم الأول) ممنوعة، والصلاة (هدفهم الخطير) ممنوعة، أما الدروس والمحاضرات، فقد عرّضت بعض الأخوة للعقوبة والتعذيب لقيامهم بذلك، والطعام لم تتبدل كميته ونوعيته (وهذا ما نراه لاحقاً)، بالإضافة إلى مرض الجرب الذي مازال مستشريا بين السجناء وكذلك القمل، ولا أمل بمكافحته والقضاء عليه، فالازدحام شديد داخل الزنزانات، والسجناء ينامون متداخلي الأجساد، فالمساحة المخصصة للسجين الواحد لا تزيد عن نصف متر مربع تستعمل للنوم والطعام والجلوس، والعناية الصحية ما تزال دون الحد الأدنى المطلوب إذ كانت جميع الحالات تعالج داخل السجن ومن قبل طبيب السجن الجلاد.

عدد المعتقلين في سجن تدمر:

بدأت الطغمة الغاشمة ترسل المعتقلين إلى سجن تدمر في نهاية النصف الأول من عام 1980 أي قبل وقوع المجزرة الرهيبة بأسابيع قليلة، فالمجزرة وقعت يوم الجمعة 1980/6/27 وعندها تم تصفية جميع المعتقلين الموجودين في السجن في تلك

الأثناء (راجع فصل مجزرة سجن تدمر) ثم قامت إدارة السجن بإزالة جميع آثار المجزرة، وتم دفن الشهداء في صحراء تدمر في أخدود جماعي، كما أزيلت بقع الدم عن الجدران بإعادة طلائها من جديد، وعندما وصلنا إلى السجن في شهر تموز من عام 1980 كانت ورشات العمل ما تزال تعمل لإزالة معالم الجريمة البشعة.

وبدأت فروع المخابرات تحويل المعتقلين إلى ذلك السجن اللعين مع بداية شهر رمضان عام 11400هـ- 1980م وبعد أسبوعين فقط من المجزرة تحديداً في النصف الأول من شهرت تموز من عام 1980وإلى نهاية رمضان من ذلك العام وصلت الدفعات الآتية إلى السجن.

1- أربع دفعات من المخابرات العسكرية بدمشق، تضم حوالي مئتي معتقل، تم تحويلهم إلى سجن تدمر من سجن المزة وقسم التحقيق العسكري، وأكثرهم ممن اعتقلوا فيما بين عامي (1975- 1980).

2- دفعة من المخابرات العسكرية في حلب تضم 170 معتقلاً اعتقلوا عام 1980 وكانوا محتجزين في ثكنة هنانو العسكرية لامتلاء الثكنات بعد السجون والمعتقلات.

3- دفعتان من المخابرات العسكرية في حمص اعتقلوا عام 1980 بعد المجزرة التاريخية، والدفعات التي اعتقلت قبل المجزرة، كان المجرم غازي كنعان قد أرسلهم إلى تدمر، واستشهدوا حينها.

4- دفعة من المخابرات العسكرية في إدلب تضم 72 معتقلاً معظمهم من الأحداث، وقد تحدثنا عنهم وعن الأهوال التي لاقوها، واستشهاد بعضهم تحت التعذيب.

5- دفعة من المخابرات العامة في حلب تضم 67 معتقلاً جرى تحويلهم مباشرة من السجن المركزي في حلب إلى سجن تدمر، وقد اعتقلوا في عام 1979 و1980.

6- دفعة من مركز كفر سوسة في دمشق يبلغ عددهم حوالي 50 معتقلاً اعتقلوا ما بين عامي 1979 و1980 وكان بينهم الشيخ محمد خير زيتوني من حلب والأخ المهندس رياض جعمور من حماة رحمهم الله.

وكان هؤلاء المعتقلون يتوزعون في مختلف باحات السجن ماعدا الباحة

السادسة التي كانت مهاجعها فارغة في تلك الفترة الرهيبة الحالكة الظلمات والظلم.

وهكذا استمرت عمليات إرسال المعتقلين إلى تدمر حتى ارتفع عددهم في نهاية عام 1980 إلى ثلاثة آلاف معتقل، رغم عمليات الإعدام المستمرة والدورية، وقد وصل عدد المعتقلين ذروته في نهاية عام 1982 ليصبح حوالي 5 آلاف معتقل، ولتخف بعد ذلك حدة الاعتقالات ولتبقي الطغمة الظالمة على الغالبية العظمى من ضحاياها في قاع السجن إلا ما ندر من عمليات إفراج فردية نادرة لا تذكر (راجع فصل الإفراج).

مساحة الزنزانات:

وهنا لابد من الحديث عن مساحة الزنازين التي كانت تضم هذا العدد الضخم من المؤمنين، فمساحة الزنزانات مختلفة من واحدة لأخرى، فهناك بعض المهاجع التي لا تزيد مساحتها عن 20 متراً مربعاً كالمهجع 21 في الباحة الرابعة، ومهاجع أخرى تصل مساحتها إلى 100 متر مربع أو أكثر كمهاجع الباحتين السادسة والسابعة، ورغم عمليات الإعدام المستمرة والتي شملت عدداً كبيراً من المعتقلين، فإن العدد الإجمالي للسجناء كان في ازدياد مستمر، نتيجة للاعتقالات الكثيرة ما بين عام 1980 و1982 التي بلغت ذروتها في عامي 1980 و1981 ولم يطلق سوى سراح القليل من المعتقلين بنفس الفترة. وكما علم القارئ الكريم، فإن المساحة المخصصة للسجين الواحد لا تزيد عن نصف متر مربع، تستخدم للنوم والجلوس والطعام وكل شيء من الحاجات الإنسانية والشخصية والطارئة.

الطعام في سجن تدمر:

يستغل الجلادون مناسبة توزيع الطعام لتعذيب وإهانة المعتقلين، ويوزع الطعام مرتين إلى أربع يوميا حسب ظروف السجن، ففي شهر رمضان يوزع مرتين بأغلب

الأحيان، وفي بقية أيام السنة يوزع أربع مرات وقد تختصر لمرتين عند انشغال الجلادين بالمحاكمات وعمليات الإعدام (كما سنرى لاحقاً).

وكانت أمنية صعبة للسجناء ألا يحضر الطعام تجنباً لأذى الزبانية، والزيارات في سجن تدمر ممنوعة وإدخال الطعام ممنوع أيضاً، ولم يسمح للسجناء بشراء بعض المواد الغذائية (سكر- ملح- زعتر- زيت- طحينة) إلا في عام 1982 وما بعده، وبالتالي فإن السجناء مرغمون على تناول الطعام الذي يقدم إليهم على عجره وبجره وما فيه من أسواء...

أما الأصناف المقدمة للسجناء فهي:

1- طعام الإفطار: ويشتمل على الشاي مع أحد الأصناف الآتية (لبنة، جبنة، زيتون، حلاوة، مربى المشمش، البيض المسلوق).

2-طعام الغداء: ويتضمن الرز أو البرغل المطبوخ مع الحمص أو العدس أو الشعيرية ويقدم معهما المرق، والمرق عبارة عن أحد أنواع الخضار المطبوخة بر ب البندورة أو الفول الأخضر المطبوخ بالماء، وكذلك السبانخ، ويقدم أيضا اللبن المحلول بالماء أو المخلوط بأوراق الخس أو الخيار المفروم.

3- طعام العشاء: ويتضمن فاصولياء مطبوخة برب البندورة أو بطاطا مسلوقة أو باذنجان أو كوسا مسلوق، أو سلق مطبوخ أو شوربة عدس، وأحياناً مفركة كوسا أو حمص مسلوق.

كمية ونوعية الطعام:

قد يخيل للمرء لأول وهلة أن سجناء تدمر يعيشون بنعمة كبيرة عند استعراض أصناف الطعام المقدم لهم .. والسؤال المطروح هو: ما كمية ونوعية تلك الأطعمة؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال، يجب ألا ننسى أن سجن تدمر مخصص لت عذيب وتصفية نزلائه بكل شيء، وهذا ينطبق على الطعام أيضا.

فكمية الشاي المقدمة مع طعام الإفطار لا تزيد عن 50 سم مكعب للشخص

الواحد، وتقدم باردة، وتحتوي على شوائب من مخلفات الأطعمة الأخرى كالبرغل والرز ورب البندورة، لأن الزبانية يستعملون الأواني ذاتها لتحضير جم يع الوجبات دون أن تجلى من بقايا الطعام السابق، ويكتفون بغسلها بالماء البارد فقط، والأنكى من ذلك، أنهم يحضرون الشاي عند المساء ويتركونه حتى صباح اليوم التالي في أوان مكشوفة عند التقاء الباحتين الثالثة مع السادسة فيتساقط فيها الغبار والشعر والحشرات (ذباب- صراصير) لتوزع في اليوم التالي بعد أن امتلأت بتلك الأوساخ.

وأما الأصناف المقدمة لوجبة الإفطار فهي فاسدة، فالزيتون فاسد والمربى كذلك لأنها من المعلبات التي انتهت مدة صلاحيتها فأصبح طعمها كريها نتيجة لصدأ العلب المعدنية التي حفظت بها.

وأما البيض، فهو فاسد في أغلب الأحيان، إضافة لاختلاط قشر البيض مع البيضة، نتيجة تهشم البيضات قبل وأثناء سلقها.

وبصرف النظر عن نوعية الطعام، فإن كميته قليلة جداً لا تسد غائلة الجوع، مثلاً خمس حبات زيتون أو ملعقة من المربى أو الحلاوة، . وبالنسبة للجبنة فإن حصة السجين أقل من قطعة مثلثة من الجبنة الصفراء.

وأما طعام الغداء فهو عبارة عن الرز أو البرغل المطبوخ مع الشعيرية، أو العدس أو الحمص، ويطبخ بغليه بالماء دون أية مواد دسمة، ويحتوي على جميع أنواع الشوائب، كالزيوان والحصى والقش، وهو غير ناضج في أغلب الأحيان، والمرقة عبارة عن الخضار المفرومة بقشورها، والمطبوخة برب البندورة، ماعدا الفول الأخضر الذي يطبخ بالماء فقط، والسبانخ تفرم بجذورها، والخيطان المستعملة برزمها هو من سعف النخيل.

وأما اللحم فكميته لا تستحق الذكر، ومع ذلك فإن الجلادين لا يبقون للسجناء غير العظم والدهن والجلد، وكنا نقدمه للمرضى والمسنين لاستحالة تقسيمه على جميع نزلاء الزنزانة، وكمية الفواكه والخضار الطازجة زهيدة جدا، مثلا بطيخة واحدة لمئة سجين، أو عشر حبات برتقال أو تفاح لمائة سجين لذلك كنا نخصصها للمرضى

والمسنين.

وأما الخبز، فهو المخصص للجيش، وحصة السجين أقل من رغيفين من الخبز المعروف باسم العامية باسم (الصمون)، وطعام العشاء هو أسوأ الأصناف المقدمة رغم رداءة الأنواع الأخرى، فالحمص والعدس المسلوقان غير ناضجين، إضافة لخلوهما من المواد الدسمة والملح، مع وجود الشوائب والأوساخ كالحصى والقش، وأما متبل الكوسا والباذنجان فهما عبارة عن حبات الكوسا والباذنجان المسلوقة والمفرومة لتقدم كطعام دون إضافات!؟ فكان السجناء يسخرون دائماً من السجانين فيقولون طعام صاغ خال من أي غش؟! والأنكى من كل ذلك، توزيع الطعام بأوعية مكشوفة أمام باب المهجع، ويترك لساعات طويلة، معرضاً للغبار والحشرات، ولا يدخل للزنزانات إلا بعد أن امتلأ بالشعر والغبار والحشرات وإلا بعد أن تأكل منه الجرذان التي تخرج من فتحات المجاري، وهذا يؤدي بدوره لإصابة السجناء بأمراض مختلفة كالإسهالات والكوليرا لتزيد من عذابهم ومحنتهم.

وأذكر ذات مرة عندما كنّا نوزع طعام الغداء، وكان الجو حاراً ، والرياح شديدة تثير الغبار، وعملية الحلاقة تجري بباحتنا، تم توزيع أواني الطعام أمام أبواب الزنازين، فلاحظ أحد الحلاقين أن الطعام قد امتلأ بالشعر المتطاير مع الغبار، فقال لأحد الجلادين: إن الطعام قد امتلأ شعراً، فأجابه ذلك المجرم (لجهنم).. وأما أوقات توزيع الطعام فهي مختلفة، فأحياناً يوزع في وقته المحدد، وأحياناً يوزع بعد مضي عدة ساعات عن الوقت المحدد، وخاصة طعام الإفطار الذي يتأخر الجلادون في توزيعهم بسبب انشغالهم بعمليات الإعدام التي كانت تتم صباحاً، لإنشغال المجرمين بواجبهم الوطني الأكثر أهمية؟؟!!

وطعام الغداء يتأخر توزيعه عن الموعد المحدد عندما ينشغل المجرمون بالمحاكم.. وأما الأواني المستعملة لتوزيع وتناول الطعام فلم نكن نملك منها شيئاً في الشهور الأولى، فكنا نأكل مباشرة من الأواني التي يستعملها الجلادون واستطعنا الحصول على قطعة نايلون فصرنا نستعين بها بتناول الطعام حيث نخلط البرغل أو

الرز مع المرق على تلك القطعة لنتناوله بأيدينا، وبعد ذلك احتفظنا بصحن بلاستيكي من التي يستعملها الجلادون لتوزيع الطعام، فصرنا نستعين بها عند تناول الطعام ولبيت الخلاء أيضاً!!

وفي بداية عام 1981 سمح لنا بشراء بعض الصحون البلاستيكية والملاعق الخشبية والأكواب البلاستيكية فصرنا نستعين بها.

لقد كانت كمية الطعام قليلة جداً لا ترد غائلة الجوع، لذلك كنا نأكل كل البقايا والفضلات كقشور الفواكه (قشر البرتقال –الموز) وأكل بعضنا قشر البيض والبطيخ مما أدى لإصابة الكثيرين منا بآفات بالفم نتيجة لذلك، وكذلك عندما نخرج لتوزيع الطعام، كنا نلتقط بقايا الطعام الملقاة على الأرض، فنأكلها كما تفعل المخلوقات الأخرى، وأذكر أن أحد الأخوة التقط ذات مرة قطعة من اللحم، وقد امتلأت بالأوساخ، حتى إنها سويت بالأرض من كثرة الأقدام التي داستها، ومع ذلك فقد أكلها!! وكنا نلتقط بقايا الطعام الذي يوزع للجلادين رغم احتوائه على نفايات وأكدار مختلفة، وكنا نأكل الطعام رغم أننا نرى الأوساخ والحشرات التي تساقطت فيه، خاصة المرق الذي يمتلئ بالذباب والصراصير في أكثر الأحيان، بل إننا كنا نبحث بين أكوام القمامة كلما سنحت لنا الفرصة لنلتقط بقايا الطعام الذي يأتي للسجناء القضائيين (عناصر السخرة والبلدية) من ذويهم أثناء زيارتهم، إلى هذا الحد وصل بنا الحال في باستيل سورية، بل إنني أكاد أكذّب نفسي حينما أتذكر تلك الأيام السوداء، لأن ما حصل لا يمكن تصوره، ويفوق كل وصف وخيال، لقد عرفت حينها معنى قوله تعالى: **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** وعرفت قيمة النعم التي منَّ الله علينا بها ولكننا لا نعرف قدرها، فيا ربّ، عرّفنا على نعمك بدوامها لا بزوالها يا كريم.

سجن تدمر أثناء المناسبات القومية والأعياد:

في هذه المناسبات وخاصة مناسبة ما يسمى بالحركة التصحيحية وذكرى 8 آذار تزداد كمية الطعام وخاصة اللحم لكنها تكون فاسدة وقد فاحت رائحتها الكريهة

ولا ندري ما هو سبب ذلك وعلى الأرجح (والله أعلم) أن السبب عدم حفظها صحياً، فلا ثلاجات لذلك، فهم يحفظون اللحم المخصص للقطعات العسكرية بالثلاجات، وأما حصة السجناء فتهمل خارج الثلاجات فتفسد، وتأكدنا من صحة ذلك عندما أكلنا فضلات الطعام المخصص للجلادين، لنجد أن اللحم ناضج صحيح، كيف لا وهم يرون أن المعتقلين يجب أن تستنفد في حقهم جميع فرص ووسائل التعذيب لتمكين أركان النظام من التنفيس عن أحقادهم التاريخية، لذلك كانوا يرون وجوب تأديب المعتقلين بكل وسيلة، بل إنهم كانوا يعتبرونهم دون مستوى الآدميين، ولطالما استعملوا كلمات تدل على ذلك مثل : حشرات، أوباش، علف(25).. وكثيراً ما أصيب المعتقلون بالإسهال جراء تناول اللحم الفاسد، لذلك كان معظمهم يعف عن تناوله تجنباً لمخاطره، أما الآخرون، فكانوا يأكلونه، لأن الجوع والحرمان كانا شديدين، بل إن الأخوة الذين يأكلون تلك اللحوم، يفرحون بتلك المناسبات، لأنها كانت فرصتهم الوحيدة لتناول شيء من اللحم، وإن كان فاسداً!!

لصوص محترفون:

يصاب الإنسان بالدهشة والغثيان عندما يعرف كمية ونوعية الطعام المقدم للسجناء، فهل صحيح أنهم يبخلون إلى هذا الحد بإطعامهم؟ ! والحقيقة أن طعام 4 – 5 آلاف سجين لن يقدم أو يؤخر إذا ما قورن بالعدد الكلي للجيش البالغ ما يقرب من أربع مائة ألف عسكري (26)، والذين قضوا الخدمة الإلزامية أو عملوا داخل الجيش وتوابعه يعرفون مدى الإسراف في الطعام، إذ ترمى كل يوم كميات كبيرة منه والتي قد تزيد عن نصف الكمية الكلية، خاصة عندما يكون أكثر المجندين في إجازات، علماً أن القيادة العامة للجيش تخصص لإطعام السجناء ميزانية تناسب عددهم، لكن المجرم فيصل غانم مدير السجن وعصابته، يسرقون القسم الأعظم م ن الميزانية المخصصة، ولا يتركون للسجناء إلا جزءاً يسيراً منها، ولم لا؟ أليست الدولة دولتهم ورثوها صاغراً عن صاغر؟؟

وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل إن المجرم اعتاد على ابتزاز وسرقة السجناء بشتى الطرق:

1-الحمام وكان أسبوعياً وأجرته في البداية 25 قرشاً ثم صارت نصف ليرة وتذهب لمدير السجن.

2- الحلاقة وكانت أجرتها 35 قرشاً ثم صارت 75 قرشاً تذهب لمدير السجن أيضاً.

3- المشتريات: وسمحت إدارة السجن للمعتقلين بشراء بعض الضروريات في بداية عام 1981 عندما قام السجانون بتوزيع أوراق وأقلام على الزنازين، وطلبوا من السجناء تسجيل الأغراض المطلوبة، ولم نكن نعلم بالأغراض المسموحة فدونّا حاجاتنا، حتى أن القائمة شملت مذياعاً وصحفا ومصاحف إضافة للألبسة والأدوية والأغذية والصابون والمنظفات والأحذية، لكنهم أحضروا لنا فقط بعض الألبسة والمناشف، شحاحيط بلاستيكية، صابون، أطباق البلاستيك مع الأكواب والملاعق الخشبية. وسمحوا فيما بعد بشراء الملح والسكر والحليب المجفف والخيطان وإبر الخياطة، إضافة للزيت والطحينة. وكانت الأسعار خيالية . ووصل سعر بعض الأغراض إلى خمسة أضعاف السعر الحقيقي لها خارج السجن، وبالطبع فإن الفروق تذهب لمدير السجن وعصابته.

4- ويدفع السجناء أيضاً ثمن الأطباق البلاستيكية المستعملة لتوزيع الطعام، والتي توزع مجاناً على السجناء والسجون كباقي الأغراض المستهلكة. وأما المساعد أبو جهل وزبانيته من الجرذان الصغار، فكان مجال اختصاصهم سرقة أموال السجناء وأغراضهم النفيسة، كالساعات والخواتم أثناء عمليات التفتيش، وعند استقبال الدفعات الجديدة، وخلال مناسبات التنفس، عندها لا يفكر السجين بشيء سوى التخلص من العذاب، ويتمنى كل إنسان حينها لو يملك مال الدنيا فيعطيهم إياه في سبيل أن يكفوا أذاهم عنه، كما ورد في القرآن الكريم بوصف حال الكافرين يوم القيامة، عندما يرون العذاب، يقول تعالى: **(للذين استجابوا لربهم الحسنى، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض ومثله معه لافتدوا به، أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم**

وبئس المهاد) (الرعد 18) **(ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)** (الزمر 47).

وأما الرقيب فيصل فقد ابتدع طريقة أكثر خبثاً لابتزاز أموال المعتقلين، وهو يرى رئيسه ينهب بلا حساب، فكان يستغل غياب المساعد ومدير السجن فيتجول ليلاً على الزنازين، ويطلب من رئيس المهجع جمع 25 ليرة عن كل سجين باسم (أجرة السخرة الشهرية) إنهم يريدون أجراً على ما يوقعونه بالسجناء من تعذيب وإهانة، وحضر أول مرة في بداية عام 1981 عندما طلب رئيس المهجع، وسأله عن عدد السجناء، وطلب منه جمع 25 ليرة عن كل شخص، وتكلم معه بلطافة غير معهودة . وعندما تسلم الغنيمة سأله: هل تعانون أية مشاكل؟!! هل الطعام الذي تحصلون عليه يكفيكم؟ فأجابه رئيس المهجع بالنفي، فطلب من أحد عمال البلدية إحضار سطل من المرق وقال لرئيس المهجع: (هنا عسكرية وعليك أن تدبر رأسك) ففسر بعض الأخوة ذلك بأنه بداية (حلحلة الأمور). لأننا كنا في حالة يرثى لها، لذلك رحنا نفسر كل شيء لصالحنا، وربما منينا أنفسنا بالأماني المعسولة، ونسينا أو تناسينا طبيعة النظام الطائفي الخائن.

وبعدها عرفنا السبب، عندما أصبحت عادة الرقيب فيصل أن يحضر كل شهر، أو كل ثلاثة أسابيع، لابتزاز الأموال، فهو أيضاً يريد حصته من الغنيمة. وشاء الله أن تنفد أموال المعتقلين في بعض المهاجع، فعجزوا عن دفع أجرة الحمام والحلاقة، فتدخل مدير السجن، واستدعى رؤساء المهاجع لأول مرة، وطالبهم بعدم دفع أية أموال للسخرة الشهرية، وأن يكتفوا بدفع فاتورة المشتريات، بعد التدقيق فيها، ومعرفة الشخص الذين استلمها. وحدد من جديد أجرة الحلاقة والحمام، كما طلب منهم أن يحفظوا شكل الشخص الذي يأخذ منهم أموالاً لغير ذلك، فهو يريد أخذ حصته كاملة، ولا يريد أن ينافسه فيها الجرذان الصغار، أمثال الرقيب فيصل الذي جن جنونه، وراح يضطهد السجناء بوحشية منقطعة النظير، بسبب وقف النهب والابتزاز، وتلكم

هي طبيعة كلاب الطغمة المجرمة، عصابة من اللصوص، ومرتزقة، وتجار أرواح، تكبر وتصغر الحالة بحسب المسؤولية والمركز والأهمية في ذلك الهيكل الإجرامي المتهافت.

الحالة الصحية بسجن تدمر:

وتختلف عن السجون الأخرى لكثرة العوامل المؤدية للأمراض والأوبئة. وأهم هذه العوامل: التعذيب والقهر اللذان يتعرض لهما المعتقلون، والازدحام الشديد، والجو غير الصحي الذي تتصف به أكثر الزنزانات . فالبرد الشديد شتاء مع قلة الملابس والأغطية وانعدام الدفء، بالإضافة إلى الفتحات في السقف في كثير من الزنزانات، علاوة على ذلك: النوافذ المفتوحة في جميع الزنزانات، وانتشار القاذورات والأوساخ والحشرات، كالصراصير والذباب، والجرذان والطعام الفاسد المتفسخ، وحرارة الجو الرهيبة في أيام الصيف التي تجعل الزنزانة خانقة، وفوق كل ذلك، عمليات الجلي والغسيل داخل الزنزانات التي تسبب الرطوبة فيها دوماً، ولأن دورات المياه كانت داخل الزنازين، فقد ملئت بالروائح الكريهة، مما جعل الجو داخل الزنزانة يشبه المراحيض أو الزرائب، يضاف إلى ذلك : نقص التغذية، وانعدام النظافة، مع الإجهاد الجسمي والنفسي الذي يتعرض له المعتقلون نتيجة التعذيب والإهانة . وفوق كل هذا وذاك، شح المياه في أكثر أيام الصيف . كل هذه العوامل مجتمعة جعلت من الذين دخلوا ذلك السجن الرهيب مرضى تحيط بهم الأمراض والأوجاع من كل جانب وأهمها:

1- **إصابات التعذيب:** ومنها ما كانت موجودة مع السجناء قبل دخولهم سجن تدمر نتيجة للتعذيب في فروع المخابرات (أثناء التحقيق) (27) مثل الجروح والحروق والكسور بل إن بعض الإخوة كانوا مصابين بعاهات دائمة كتيبس المفاصل، وعندما يدخل المعتقلون سجن تدمر فتلك الإصابات تتفاقم وتزمن، ولا تشفى إلا بعد مدة طويلة جدا، إن لم تتحول إلى عاهات دائمة أو تتطور نحو الأسوأ نتيجة الإهمال

وسوء المعاملة، أما الإصابات الناشئة عن التعذيب داخل السجن، فهي غالباً الجروح الناشئة عن الضرب بالسوط والكابلات، ونتيجة للإهمال المتعمد للمعالجة، فإن الجروح تصاب بالالتهاب والتقيح، وقد ينتشر الالتهاب لأعضاء أخرى كالعظم والمفاصل، مؤدياً لعاهات خطيرة، فأمراض مزمنة ومعقدة.

2-**كسور العظام وخلع المفاصل:** نتيجة الضرب بالعصا الغليظة أو بسبب القفز والرقص فوق أجساد المعتقلين، وهي كثيرة الحدوث، خاصة كسور الأطراف وعظام الظهر والصدر، وقد تؤدي لحدوث عاهات دائمة كالشلل وتيبس المفاصل وتشوه العظام.

3- **انثقاب طبلة الأذن:** نتيجة للصفع على الوجه، ليفقد السجين حاسة السمع جزئياً أو كلياً.

4- **فقد حاسة البصر بدرجة متفاوتة** : نتيجة الضرب بأدوات التعذيب على الوجه، مؤدياً إلى عاهات مستديمة في الرؤية والعيون.

5- **الشلل:** نتيجة الضرب على الرأس والعمود الفقري بالعصا الغليظة وقد أصيب أحد الإخوة عندنا بالشلل النصفي، وخرج من السجن متوكئاً على إخوانه.

حضر الطبيب لأول مرة بعد دخولنا السجن بمدة طويلة، يرافقه المساعد أول أبو رشيد (ممرض) وأمر بإخراج المصابين والمرضى وأعطيت لهم المعالجات الأولية كتضميد الجروح مع بعض المسكنات ولم يرسل أي سجين إلى المستشفى رغم أن أكثر الإصابات تستوجب ذلك، وكان للإخوة الأطباء المعتقلين معنا دور كبير في تخفيف الآلام عن كثير من المرضى، رغم قلة الإمكانيات.

انتقلنا في نهاية عام 1980 إلى مهجع آخر، كان يضم عدداً كبيراً من المعتقلين الأحداث الذين تعرضوا لتعذيب شديد حتى أصيب أكثرهم بجروح بليغة، ونتيجة لسوء الحالة وتدهورها، فإن تلك الجروح أصيبت بالالتهاب والتقيح، وكانت رائحة القيح الكريهة تنبعث في أرجاء الزنزانة فتزكم الأنوف . وكانت إصابة أحد الأخوة خطيرة، ولم تفلح المعالجة البدائية التي تلقاها بتخفيف الإصابة لأنها لم تكن كافية طبياً ... وما

يغني المطهر في دفع الجراثيم الخطيرة التي دخلت الجسم؟ وساءت حالة الأخ أكثر وأكثر، وقال الإخوة وقتها: إنه مصاب تجرثم الدم، وطلبوا منا أن نجأر إلى الله في الدعاء لدفع خطر تلك الإصابة. وقام الإخوة بمساعدته في حدود الإمكانات المتاحة، فمن الله عليه بالشفاء، بعد أن وصل إلى حافة الموت، فكانت كرامة من الله، في الوقت الذي رفض المجرمون تقديم أي نجدة أو إسعاف..

ومثل هذه الحالات كثيرة في سجن تدمر، وهي تتناسب طرداً مع واقع واسم المكان ونفسية الطغمة الطاغية الغاشمة.

6-مرض الجرب: عرفنا هذا المرض بعد شهرين من نزولنا سجن تدمر، عندما نقلنا إلى زنزانة موبوءة فيه، وعلمنا من الإخوة فيها أنهم أصيبوا بهذا المرض قبل مجيئهم إلى تدمر. وعلمنا بعد ذلك أن معظم فروع المخابرات في مختلف المحافظات موبوءة بالجرب والقمل، حيث ينتقل سجناؤها إلى تدمر الأسد فينقلونها إلى المعتقلين الملازمين لزنزاناتهم، وهذا ما حدث في بقية السجون والمعتقلات ومراكز تجميع المعتقلين، فقد أصبحت جميع فروع المخابرات العامة المسمى بسجن كفر سوسة بدمشق وفرع التحقيق العسكري في دمشق أيضاً، وسجن أمن الدولة في حلب أيضاً، والسجن المدني في إدلب، وكل سورية معتقل وإرهاب ماعدا قصر القرد الأعظم، وقصور أزلامه وجلاوزته خونة الشعب والدين والأرض.

ولمرض الجرب في سجن تدمر قصة مؤلمة لم تخل من بعض الإيجابيات رغم مرارتها، فالجرب مرض جلدي يؤدي للحكة الشديدة، خاصة أثناء الليل، مما يحرم المصاب من النوم والراحة. وهو مرض معد ينتقل من شخص لآخر نتيجة الملامسة واستعمال الملابس والأغطية المشتركة، كما علل أحد الأطباء ذلك، وهذه أمور لا يمكن تجنبها بين سجناء تدمر، فوسائل الوقاية من المرض معدومة تماما .

ونتيجة للحكة الشديدة المستمرة، يصاب الجلد بالتقرح الشديد، وبعد ذلك يصاب بالالتهاب والتقيح، مؤديا لاستفحال المرض أكثر فأكثر، مع صعوبة التشخيص والمعالجة. وعندما انتشر الجرب في جميع المهاجع بنسب متفاوتة بدأت المعالجة، ولا

نعرف سبب عدم بدء المعالجة قبل ذلك، أهو بسبب جهل الجهاز الصحي (الطبيب والممرض)، بالمرض أم بسبب عدم استجابة إدارة السجن لما يقترحه الطبيب في ذلك الوقت؟ (28) أم أنهم يريدون جعل الجرب وسيلة أخرى لتعذيب السجناء؟ وبعد أكثر من أربعة شهور على انتشار المرض بين المعتقلين، بدأت المعالجة، وكان ذلك في شهر كانون أول من عام 1980.

أعجب وكالة أنباء في التاريخ:

أخرج الجلادون المصابين، وجمعوهم في زنزانة واحدة في الباحة السادسة المرقومة 28 والعنبر الثامن في باحة الحمام، كان يترك المصابون هناك مدة أسبوع تقريباً، ويعادون إلى مهاجعهم بعد ذلك.

ولمهجع الجرب قصة أخرى طريفة يعرفها السجناء تدمر في ذلك الوقت، وهي وجود ظروف جديدة من جراء تجميع الإخوة المعتقلين من شتى المهاجع، مما أدى إلى معرفة مزيد من المعلومات والحقائق والإشاعات والأخبار الخارجية التي كانت غير معروفة بسبب العزلة المفروضة، كما عرف الكثير من المعلومات عن التحقيق والمحققين، وتعرف بعض الإخوة بإخوان لهم ممن يعرفونهم خارج السجن، بل عرف بعض الإخوة أسماء المعتقلين من أقاربهم ومعارفهم من خلال مهجع الجرب، وأكثر من ذلك، أن أحد الإخوة التقى بابنه هناك، وكان الأب قد اعتقل تاركا أبناءه، فاعتقل أحدهم بعده ليلتقيا معا في سجن تدمر، وفي مهجع الجرب (!!!) فياله من لقاء!! على عهد قرود القرامطة المعاصرين !!!.... وبات مهجع الجرب محطة نقل الأخبار ووكالة للأنباء عند سجناء تدمر المعزولين تماما عن العالم الخارجي، المصفدين بقيود المجهول.

وساعد على انتقال حفظ القرآن بين مختلف الزنازين، فيتبادل الإخوة السور التي يحفظونها شفهيا، ليعود الأخ إلى مهجعه حافظاً سورة جديدة لا يوجد بين إخوانه من يحفظها. وهكذا زاد عدد من يحفظ القرآن، وكمية القرآن المحفوظة، وأصبح في

كل زنزانة عدد من الإخوة يبلغ مجموع ما يحفظونه مصحفاً كاملاً، مما ساعد الإخوة في العبادة، وشغل أوقاتهم بحفظ القرآن.

وعن طريق مهجع الجرب علمنا بعمليات الإعدام التي كانت تتم في الباحة السادسة، وعلمنا بالمحاكم الميدانية التي كانت تجري هناك (كما سنرى لاحقاً)، وعلمنا باستشهاد عدد من الإخوة تحت التعذيب، وبوفاة عدد آخر نتيجة تردي الأحوال الصحية والعامة على السواء.

كان الإخوة نزلاء المهجع يحيطون بإخوانهم العائدين من مهجع الجرب، يسألونهم عن الأخبار الجديدة، والإخوة متفاوتون في درجة وعيهم وفهمهم، وفي كل مهجع عدد من الإخوة من أصحاب الرأي وأهل الدراية الذين يقومون بتجميع تلك الأخبار وتحليلها وإلقائها على الإخوة نزلاء المهجع إذا سمحت الظروف بذلك، ويميلون فيها إلى الأسلوب الترغيبي لرفع معنويات المستمعين. وكانت تخيلاتهم غالباً تجنح إلى المبالغة والخيال، للحد من الظروف القاهرة التي يحياها السجناء.

ومهما يكن من أمر، فلمهجع الجرب تأثير إيجابي ساعدنا كثيراً في تلك الفترة للتغلب على الظروف النفسية القاسية التي نعاني منها، نتيجة عزلنا التامة عن العالم، والتي جعلتنا نعيش في غياهب المجهول، إضافة للظروف الأخرى التي تحدثنا عنها، وكان يقضي الإخوة أياماً في الحديث عن تلك الأخبار وتحليلها والاستنتاج منها، حتى تأتي أخبار جديدة وهكذا.. فربّ ضارة نافعة.

وللأسف أُلغي مهجع الجرب بعد ذلك، فأصبحت المعالجة مقتصرة على إخراج المرضى للباحة، وإعطائهم الدواء لدهن أجسادهم، ورغم ذلك تعرضت مداواة المرضى لمد وجزر حسب الظروف العامة في السجن وأوضاع السلطة، فعندما تسوء المعاملة، توقف المعالجة، وإن وجدت فهي مترافقة بالسياط، مما يجعل أكثر المرضى يؤثرون المرض على السياط.

ولعل من أسوأ الفترات : تلك الممتدة بين نهايتي عام 1981 وعام 1982 عندما تولى المجرم فيصل إدارة السجن، بدل المساعد أبو جهل، وأُعفي المساعد أبو رشيد

(ممرض السجن) من عمله، فأصبح ذلك المجرم الجلاد يتولى جميع أمور السجناء بعد ترقيته إلى رقيب أول، فانعدمت المعالجة، مع غياب طبيب السجن معها، وإذا وجدت أحياناً فهي مترافقة بالسياط اللاذعات، كما حدث في عام 1982 عندما خرجنا للمعالجة (وكنت مع المصابين) فتعرضنا للضرب الشديد على أجسادنا العارية، لأننا ندهنها بالدواء، وأصيب أحدنا إصابات بالغة، لتعرضه للضرب المبرح أكثر من غيره، ولولا رحمة الله ولطفه لتوفي ذلك الأخ بسبب التعذيب، وقضى بعدها فترة تزيد عن الشهرين يعاني من خروج الدم مع البول.

وبقي الجرب متفشياً في ذلك القبو اللعين، ليزيد من معاناة المعذبين والمضطهدين أصحاب الرسالة والدعوة الإسلامية، ولم يتمكن جهاز السجن من القضاء عليه لأن طريقة المعالجة بدائية ومخالفة لأبسط قواعد العلم والطب، وحق الإنسان، وبالتالي فهي عاجزة عن استئصال ذلك الداء.

القمل:

وأصيب سجناء سجن تدمر بنوعين من القمل، هما قمل الجسم والعانة، ومنذ اليوم الأول لوصولنا السجن، قال لنا بعض الإخوة : إن الزنزانات التي كانوا فيها بالمخابرات موبوءة بالقمل، وبعد أيام قليلة من استقرارنا في المعتقل، أصبنا جميعاً بذلك الداء، ليضاف فصل جديد من الكرب والمقاساة.

وللظروف العصيبة التي نحن فيها ما كان يمكننا الوقاية من المرض، فاضطررنا إلى أن نعالج أنفسنا قدر المستطاع، وذلك بخلع الملابس عندما يكون الوقت ملائماً (مساء) وتفتيش الداخلية منها جيداً للقضاء على الحشرات وبيوضها بسحقها بين اظفري الإبهامين، ولم تكن هذه الطريقة كافية لاستئصال الداء، فالدفعات الجديدة من المعتقلين تحمل معها وباءي الجرب والقمل المستشرين في جميع فروع المخابرات.

وفتح علينا باب من التعذيب عندما بدأ الجلادون برش المهاجع بالمبيدات الحشرية الممزوجة بسوائل الوقود (كالكيروسين والمازوت) باستخدام أدوات الرش

الآلية التي تملأ المهاجع برذاذ السائل وبخاره ويدفعون بنا فيها ويحكمون إغلاقها علينا لنبقى نهب السموم، ولأن تهوية الزنزانات رديئة جداً، فإن كثيراً من السجناء كانوا يصابون بالإغماء نتيجة الاختناق الناشئ عن استنشاق المواد السامة، ونتيجة لنقص الأوكسجين وكان ذلك كارثة مفجعة على المسنين والمصابين بأمراض مزمنة كالربو وأمراض القلب والصدر، لأنها تؤدي لإثارة نوبات حادة من الربو وضيق النفس عندهم، ونلجأ لتلطيف الجو بتحريك البطانيات داخل الزنزانة رجاء طرد المواد السامة من داخل المهجع، فكل شيء في سجن الموت يستغل في تعذيب المعتقلين وإهانتهم.

وانتشر أيضاً قمل العانة، الذي يصيب أشعار الجسم، وهو أكثر إيلاماً وإزعاجاً من قمل الجسم، لأن أعراضه تشبه أعراض الجرب، كالحكة الشديدة بالليل، وعالجناه بإزالة الشعر من الجسم بمختلف الطرق، حتى إننا أحرقنا الشعر بأعواد الثقاب، ونتيجة للجهود المضنية التي بذلناها لمكافحته، تمكنا من القضاء التام عليه، ولم نعد نرى له أثراً، وعند خروجي من السجن كان المهجع نظيفاً تماماً من القمل بعد أن عانينا منه سنوات طويلة..

الكوليرا:

لقد أدت القذارة والأوساخ في السجن وترك الطعام نهب الحشرات والقاذورات مع سوء التغذية والتعذيب المستمر، أدى ذلك إلى ضعف مقاومة أبدان السجناء، وانهيار المناعة لديهم، مما سهّل إصابتهم بأمراض عديدة، منها مرض الكوليرا.

واجتاحت السجن عدة جائحات، بمعدل جائحة في كل عام. الأولى: كانت في نهاية عام 1980 والحمد لله الذي جعل عدد الإصابات محدوداً، وعدد الوفيات لم يزد عن ثلاثة أشخاص، وبقي الوباء محصوراً بعدد من الزنازين.

والجائحة الثانية كانت أكبرهن، أصيب فيها معظم السجناء خلال شهر نيسان من عام 1981 والتي دامت ما يقرب من شهرين، وارتعدت فرائص جهاز السجن

منها، وتسارعوا لمكافحتها ولم يكن ذلك خوفاً على المعتقلين، وإنما خوفاً من انتشاره بين زبانية العصابة، أو انتقاله إلى خارج السجن، فمياه المجاري الخاصة بالسجن تصب بالمجاري العامة، لبلدة تدمر، وتستعمل بدورها لري المزروعات، وهذا بدوره سيؤدي لانتشار الوباء في البلدة، ومن ثم للمدن الأخرى، نتيجة تناول الخضراوات المروية بمياه المجاري.

ومما يدعو إلى الضحك المبكي أسلوب المجرمين في معالجة هذا الحدث الخطير، إذ جمعوا المصابين دون السجناء في المهجع رقم 13 في الباحة الثالثة والذي يعتبر من أسوأ مهاجع سجن تدمر، فهو مظلم ورطب ورديء التهوية، يضاف إلى ذلك أنه لا يحتوي إلا على دورة مياه واحدة.. وسط هذا الجو تم تجميع مرضى الكوليرا، ويالها من معالجة، وأما طبيب السجن، فقد هرب وولى الأدبار (وكان يومها من النصيريين) وبقي الأمر منوطاً بالمساعد الأول أبو رشيد ليقوم بهذه المهمة الخطيرة، فعلقت أكياس المصل لبعض المرضى بمساعدة الإخوة الأطباء، وساءت حالة أكثرهم بشدة أفقدتهم القدرة على الاستواء أو القيام بسبب الإسهال الحاد والذي أدى أيضاً للازدحام الشديد أمام دورة المياه، مما جعل الكثيرين يتغوطون ضمن ملابسهم، وأصيب آخرون بالغثيان والإقياء على أنفسهم وإخوانهم، وأخرج المجرمون بعض المرضى من المهجع الذي ضاق بهم، ووضعوهم في الممرات الموازية له، والتي تقع بجانب المجاري المكشوفة التي تمر في باحة الحمام إلى الباحة الثالثة، وإذا تحسنت حالة أحدهم أعادوه إلى مهجعه، ونصح الأطباء جميع إخوانهم بعدم الذهاب إلى مهجع الكوليرا، إلا الذين ساءت حالتهم وأشرفوا على الموت، وكنا نخرجهم محمولين ببطانية كالموتى إلى مهجع الكوليرا، ووزع جهاز السجن الأدوية على بقية السجناء (كبسولات التتراسيكلين) ووزعوا أيضاً مساحيق السكر والملح لتذاب بالماء ويشربها المعتقلون.

أصاب هذا الوباء القسم الأكبر من المعتقلين (حوالي 70%) وبدرجات متفاوتة، وكان للإخوة الأطباء دور كبير بمكافحته رغم انعدام الوسائل الأولية

للإسعاف والوقاية، واتخذت كافة الاحتياطات الوقائية ضمن حدود الإمكانيات المتاحة، وألقيت التعليمات حول ذلك المرض، فأصبح القسم الأعظم من المعتقلين مدركين تماماً طبيعة ذلك المرض، وطرق العدوى والوقاية المختلفة والعلاج.

واقتصرت التغذية في ذلك الحين على البطاطا المسلوقة مع الشاي، ولمدة تزيد عن الشهر. وتوقفت عمليات الحلاقة وا لحمام والتنفس أثناءها، وأصيب الجلادون الجبناء بالرعب والذعر، فكانوا يتجنبون المعتقلين عندما يحضرون للتفقد، فيهربون بسرعة دون التفكير بإيذائنا، وعشنا راحة حقيقية من العذاب الذي رده عنّا وباء الكوليرا، وغمرتنا الطمأنينة والهدوء اللذان حرمنا منهما طوال الشهور الماضية، رغم معاناتنا من الكوليرا وعذاباتها.

لقد تجلت عناية الله سبحانه لمعتقلي تدمر خلال تلك الفترة، بل أجزم على أنها كرامة من الله لأولئك المعذبين الذين يعيشون تلك الظروف القاسية على هامش الحياة الآمنة، وصرّح أحد الأطباء قائلاً: إني لا أستطيع أن أصدّق ما حصل.. كيف تجتاح الكوليرا هؤلاء المساكين في ظروفهم وأحوال السجن الرديئة بكل شيء ويكون عدد الوفيات فقط ثلاثة عشر أخاً، مقارنة بآلاف المصابين؟!!

وتعرض سجناء تدمر لوباء الكوليرا مرة ثالثة عام 1982 لكن عدد الإصابات كان أقل من ذلك بكثير، وانحصر ببعض الزنزانات، وطبقت إجراءات وقائية صارمة في جميع مهاجع السجن، مما كان له أثر جيد لرد غائلة الأوبئة والجراثيم.

الإسهال الشديد:

نتيجة لتناول الأطعمة الملوثة والفاسدة، وخاصة اللحم الفاسد بالمناسبات، ونتيجة للانفعال الشديد الناتج عن التعذيب، إضافة للبرد الشديد بفصل الشتاء ، فإن أكثر سجناء تدمر عانوا من الإسهال الشديد معظم أيام السنة، مما أدى للازدحام المستمر أمام دورات المياه ومع ذلك، فإن جهاز السجن لم يكترث بالأمر.

التيفوئيد والديزنطاريا والزحار:

وهذان المرضان موجودان بصورة دائمة في سجن تدمر، لانعدام أبسط متطلبات الصحة العامة واستحالة تطبيقها في ذلك المعتقل الرهيب.

الأمراض الفطرية:

انتشرت الأمراض الفطرية والجلدية بشدة بين المعتقلين خاصة في القدمين وما بين الفخذين، للرطوبة الشديدة والقذارة داخل الزنزانات، فقام جهاز السجن بتوزيع بعض المراهم لفترة والتي أعانت على تهدئة الآلام مع بقاء المرض بصورة دائمة مسبباً للمعتقلين الحكة والحرقة المزعجة مع الالتهابات الجلدية المرافقة.

السل الرئوي:

وانتشر هذا المرض في بعض الزنزانات خاصة المزدوجة 5 -6 وكذلك الزنزانة رقم 23 في الباحة الرابعة ورقم 13 في الباحة الثالثة بسبب الظلمة والرطوبة والكثافة الشديدة وانهيار مناعة الأجسام للظروف الظالمة المفروضة على السجناء، وكان بعض المعتقلين مصابين بالمرض قبل دخولهم السجن مثل عبد الحميد ناصيف من حلب، وعلي عيد الخشل من دير الزور، والسؤال المطروح هو كيف أرسل هؤلاء السجناء إلى السجن رغم معرفة السلطة بأنهم مصابون بداء السل؟ ! أليس الواجب معالجتهم أولاً ثم إرسالهم للسجن إذا تعذر حجزهم في أماكن خاصة للمصابين بأمراض سارية؟! ويدل هذا على مدى استهتار تلك السلطات الباغية بحياة المعتقلين.

ورغم انتشار المرض بين السجناء، فإن المجرمين لم يتخذوا الإجراءات اللازمة لمكافحته، واكتفوا بتوزيع بعض الأدوية على المصابين، وتكتموا على ذلك المرض، ولم يتخذوا نفس الإجراءات التي اتخذت لمكافحة الجرب والكوليرا، ولعلهم عرفوا أن السل يمكنه أن يودي بحياة المرضى فتركوه يفترس السجناء بأنيابه ليقولوا

بعدها: إن الوفاة طبيعية، يضاف إلى ذلك، أن المرض المذكور قد انتشر عام 1982 بعد قيام جهاز السجن بفرز المعتقلين ومنع أي اختلاط بينهم.

الالتهابات المختلفة:

ومنها التهاب اللوزات واللثة والمجاري البولية نتيجة البرد ونقص التغذية والإهمال.

ويضاف إلى ذلك فقر الدم والهزال الشديد، فقد أصبح أكثر السجناء أشباحاً بعدما تغيرت ملامحهم وضمرت أجسادهم، بعدما أصيبوا جميعاً بمختلف الأمراض.

وأذكر قصة هي أقرب إلى الخيال ملخصها: أن أم أحد المعتقلين قد تمكنت بعد عناء شديد من زيارته، فوقف مشدوهاً أمامها، لم يعرفها للوهلة الأولى، وهي بدورها لم تميزه، فكلاهما قد تغيرت ملامحه، فالأم قد تغيرت من شدة حزنها على ابنها المفقود، والابن قد تغيرت ملامحه من شدة ما يعانيه من قهر وتعذيب وتجويع، فانهمرت الدموع من عيونهما وأخبرنا بما حصل معه، وكأن ما حصل أسطورة حبكها خيال شاعر درامي.

إنني أكذب نفسي أو أكاد حينما أسترجع بذاكرتي تلك الأيام الحالكة السواد، وأتساءل: هل صحيح أنني واجهت ذلك التعذيب، وواجهت كل تلك الوقائع في باستيل سورية على عهد القرامطة الجدد؟ وهل صحيح أنني نجوت من تلك المحنة؟ نعم ..!! لقد ولدت من جديد، ومنحني الله عمراً آخر، فالداخل لذلك المكان مفقود، والخارج منه مولود، والعاقبة للتقوى.

ولابد لي في نهاية حديثي عن الأمراض في سجن العذاب والموت، سجن تدمر من ذكر آفات أخرى أصابت بعض المعتقلين، وسببت لهم عاهات دائمة، كتيبّس المفاصل بسبب الضرب الشديد عليها وتركها دون علاج، والشلل الذي أصاب بعض المعتقلين نتيجة للضرب على الرأس أو العمود الفقري، وهناك أيضاً العمى الجزئي، أو الكلي نتيجة الضرب على الوجه وقد أصبت بعيني اليسرى فأصبحت حدة النظر فيها 10/1 بعد أن كانت سليمة تماماً، والصمم الجزئي نتيجة لانثقاب غشاء طبلة

الأذن، أو نتيجة لالتهاب الأذن الوسطى دون وجود معالجة، ومن أخطرها الإصابات العقلية كالهستيريا والجنون وفصام الشخصية التي أصيب بها بعض السجناء نتيجة التعذيب والإرهاب.

واعتاد أحد الإخوة المصابين بالجنون أن يقف خطيباً بصوت عال، وكثيراً ما أدى ذلك لحضور المجرمين ليضربوه بشدة، وعندما عرفوا أمره صاروا يحضرون للاستهزاء والسخرية منه، وقبل ذلك أصيب أخ ثان بفصام الشخصية (كما ذكر الإخوة الأطباء) فكان ذلك الأخ يتسبب لنفسه ولإخوانه بالضرب والإيذاء، فكان الجلادون يتخذون كلامه مبرراً لذلك، وجعلوه مصدر ضحك لهم وتسلية، ومادة للتندر والسخرية، كلما سنحت الفرصة، إرضاءً لانحرافاتهم وحقدهم.

موقف الأطباء المعتقلين:

كان الأطباء الذين اقتيدوا إلى سجن تدمر قد وزّعوا في جميع زنزانات السجن، سواء الذين أنهوا دراستهم أو ما زالوا في مرحلة الدراسة، إضافة لذوي التخصصات العالية، وكان بين المعتقلين عدد من أساتذة كلية الطب، أمثال الدكتور أبو الخير الخطيب رئيس قسم التشريح في جامعة دمشق والذي قضى أكثر من عام هناك بين عامي 1980 و1981 والدكتور مأمون العظمة الأستاذ بقسم الجراحة والذي قضى حوالي ثلاث سنوات في المعتقل، والدكتور نزار الدقر الأخصائي بالأمراض الجلدية(29)، والدكتور عبد الرؤوف عبيد الأستاذ بقسم طب الأطفال في جامعة حلب.

إن معظم معتقلي سجن تدمر هم من خيرة أبناء سورية علماً وخلقاً جمعتهم تلك المحنة ووحدتهم الظروف القاهرة، لقد تكيّف الجميع مع تلك الأوضاع الشاذة، وتعاملوا معها على قاعدة الحاجة أم الاختراع، وراح الأطباء يساعدون إخوانهم بشتى الوسائل، فهم يصغون لدقات القلب دون ا ستعمال السماعة بوضع الأذن على صدر المريض مباشرة، وقد اعترف بعضهم أنه اكتسب خبرات جديدة داخل السجن ما كان يعرفها ولن تتوفر له خارجه، وقاموا بتجميع حبات العنب الفاسدة في كيس نايلون

وتركوها تتخمر لاستعمالها في تطهير الجروح، وأحياناً كانوا يضعون على الجروح رماد السجائر بهدف تشكيل طبقة عازلة فوقها لحمايتها من التعفن، وأجروا عمليات شق وتفجير الخراجات والدمامل الناشئة عن الجروح المتعفنة باستعمال بعض القطع المعدنية الحادة التي أمكن الحصول عليها بطرق الصدفة، كأجزاء الساعات المهشمة أثناء التعذيب، والتي نجح السجناء بصنع حادة منها يمكن استعمالها، وغسلوا الضمادات وأعادوا استعمالها ثانية لعدم وجود الضمادات المعقمة، واستعملوا المسحوق الموجود داخل كبسولات المضادات الحيوية، برشه على الجروح لندرة الأدوية، وخلطوه مع بعض المراهم لدهن الجروح المتقيحة . وأما دورهم الوقائي، فكان ذا أهمية كبيرة عن طريق التوعية والشرح لطرق العدوى والوقاية من الأمراض، كما كان لنصائحهم الدور الكبير في الوقاية ومنع تدهور الحالة الصحية.

الزيارات لسجن تدمر:

يختلف سجن تدمر تماماً عن غيره من السجون والمعتقلات، وبطش السلطة الغاشمة بالإسلاميين اختلف عن المعاملة المتبعة مع غيرهم من الفئات السياسية المناوئة للنظام، ويتفرد سجن تدمر عن غيره من المعتقلات بطابع القمع، ولما كان الهدف الأساسي من عمليات الاعتقال وغيرها من الإجراءات القمعية التي اتبعت منذ عام 1979 هو تصفية المعارضة الإسلامية جسدياً ومعنوياً، فقد تطلب ذل ك إلقاء القبض على كل من له علاقة بتلك المعارضة، لشلها تماماً عن الحركة، وكان ذلك السجن مجسداً لذلك الهدف، إذ تم بواسطته عزل المعتقلين عن المجتمع، حتى لا تصل أخبارهم إلى خارج أسواره، وتم اختياره لهذه الغاية، فموقعه بعيد عن جميع التجمعات السكانية، لأنه يقع وسط الصحراء، محاطاً بمنطقة عسكرية، واختير العاملون فيه من النصيريين والمنافقين، وبالتالي فإن الزيارات غير واردة بالنسبة لسجناء تدمر، ليتحقق هذا الهدف الأمني، ومع ذلك، فلا يخلو الأمر من بعض الاستثناءات لوجود علاقات بين ذوي بعض المعتقلين وبين بعض رموز السلطة.

ولقد كانت قرارات إدخال وإخراج المعتقلين من وإلى سجن تدمر ترتبط مباشرة بالصنم الأكبر (حافظ أسد) والذين نجح ذووهم بزيارتهم، على ندرة هذه الحالات، فقد جاءت بموافقة شخصية وخاصة منه، وتبقى حالات استطاع فيها بعض ضباط المخابرات تأمين زيارات لذوي المعتقلين، إذ يتم استدعاء المعتقل لفرع المخابرات بدعوى التحقيق، وهناك داخل الفرع يلتقي بأهله ثم يعود ثانية لسجن تدمر، وكان هذا يتم بعد تقديم رشوة كبيرة . وقام المجرم غازي كنعان بهذه التجارة الرابحة، وعن طريق فروع المخابرات العسكرية في المحافظات الأخرى ويكون فرع حمص في هذه الحالة صلة والوصل بين سجن تدمر وفروع المخابرات الأخرى، لأنه المسؤول المباشر عن سجن تدمر، لموقع مدينة تدمر ضمن محافظة حمص، وفي هذه الحالة، تحضر دورية من حمص مع أمر خطي بإحضار معتقل ما، ويتم نقله إلى حمص ليبقى هناك فترة من الوقت، ربما تستمر أياماً، يلتقي خلالها بأهله، وغالباً ما يتم اللقاء داخل غرفة غازي كنعان نفسه الذي لا تفوته هذه المناسبة لإلقاء محاضرة في الإسلام والوطنية على المعتقل وأهله، مبرراً فيها تصرفات عصابته، ثم يعاد ذلك المسكين إلى مقبره الأول في زنزانته.

وفي حالات أخرى، توسط فيها أقارب المجرم فيصل غانم (مدير سجن تدمر) وخاصة أمه كسماسرة لتأمين زيارات مثمنة مادياً لبعض المعتقلين، وهنا يحضر أقارب المعتقل لمقابلته في السجن . وحقق أزلام النظام أرباحاً طائلة من هذه التجارة، إذ كانت تكلف زيارة المعتقل مبالغ طائلة، قد تصل إلى 30.000 ليرة سورية (30)، وفي كثير من الحالات، كان ذوو المعتقلين يدفعون الرشاوى ويتكبدون عناء السفر إلى تدمر دون جدوى، نتيجة لتضليلهم من قبل أزلام النظام، وابتزازهم لهم، لأنهم يعرفون بأن هذا المعتقل غير موجود في تدمر بسبب استشهاده أو نقله لمكان آخر، أو قد يرفض القائمون على السجن تلك الوساطات. وهذا الأمر يكون معروفاً من قبل الذين قبضوا الرشاوى، وربما لا يعرف الجلادون مصير ذلك المعتقل ليرجع الأهل بعد ذلك مصدومين بعد فشلهم في البحث عن معتقلهم الغالي، ويظل أولئك المساكين

يدفعون الرشاوي ويكابدون عناء السفر من مدينة لأخرى، ويسألون كل من يظنون أنه يعلم شيئاً عن أبنائهم، أو يستطيع مساعدتهم في الوصول إليهم، لكن الأيام تمر، وتتلوها السنون، وهم على تلك الحالة البائسة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التقاء السجين بأهله:

إذا كان المعتقل ممن قدّر الله له أن يظل على قيد الحياة حتى يقابل بعض أقاربه، وهذا يحصل مع 50% (31)، من الحالات، يحضر السجانون لأخذ المعتقل، قائلين له: اخرج عندك زيارة. وقد لا يصدق المعتقل وإخوانه ذلك، لأنه سبق للسجانين أن أخرجوا بعض المعتقلين بحجة الزيارة، وكانت الغاية غير ذلك، كالمحكمة أو النقل لسجن آخر، أو مهجع آخر، أو العودة لفرع المخابرات من أجل التحقيق أو لإجراء مقابلة تلفزيونية، لذلك يستولي الخوف على السجين، ويبادر إخوانه بالدعاء والتضرع إلى الله أن يحفظه من كيد الأشرار، ويستخدم الزبانية الإهانات كعادتهم عندما يلتقون بالمعتقلين وقد يتعرض المعتقل للضرب.

يؤخذ السجين إلى ساحة الإدارة، وهناك شبك حديدي مزدوج يفصل بينهما فراغ، يقف الأهالي خلف الشبك الأول من ناحية باب السجن، ويقف السجين خلف الشبك الثاني داخل السجن، ويقابل السجين أهله بوجود الزبانية بين الشبكين يستمعون لأحاديث المعتقل مع أهله، ويتدخلون مقاطعين الأحاديث، وتنهى الزيا رة قبل انتهاء مدتها إذا لم يعجبهم الكلام، وتكون مدتها عشر دقائق فقط، ويأمر الحرس المعتقل بالانصراف بعدها، وأحياناً يتم اللقاء بين المعتقل وذويه في غرفة مدير السجن وبحضوره شخصياً هو أو نائبه (وكان برتبة نقيب في ذلك الوقت) وللمحسوبية دور كبير في إنجاز ذلك، و يحصل مدير السجن على حصته من الرشاوى، وهنالك يجلس الجميع على المقاعد الموجودة في غرفته، ويستغل مدير السجن أو نائبه تلك المناسبة للكلام عن الوطنية وعن المجرمين الذين ورطوا البلاد والعباد، واضطروا الدولة لاعتقال الناس، وكان للعدالة أن تأخذ مجراها، فيعاقب المذنب على إساءته، ويخرج

البريء من السجن، وكان المجرم فيصل غانم يتظاهر أمام أهالي المعتقلين بأنه شخص متواضع ومؤدب، لأنه رجل مسؤول في دولة محترمة، وهذا سلوك المجرم غازي كنعان أيضاً. ومن يستمع لقوله ويقارنه بتصرفاته السادية مع نزلاء السجن من تعذيب وإهانة، وهو المسؤول الأول عنها، يدرك تماماً حقيقة القوم وباطنيتهم، ومدى التناقض الرهيب بين أقوالهم وأفعالهم، وهو ديدن أكثر حكام المسلمين في زماننا النكد، ولكن باطنيي سورية يتفوقون على الجميع.

عندما تنتهي الزيارة يقوم الجنود باستلام الهدايا المقدمة للسجين من أهله، فيأخذون منها ما يريدون، ويتركون الباقي، أما عندما تكون الزيارة بأمر من السلطات العليا، مع توصية خاصة، فإن مدير السجن يأمر كلابه بإعطاء كل شيء للسجين وعدم إيذائه أثناء عودته لزنزانته، لأنهم لا يعرفون إلا الضرب والإهانة، وهذا ما يحدث أيضاً في فروع المخابرات، إذ يوصي رئيس الفرع زبانيته بعدم ضرب السجين الذي حصل على زيارة بالفرع، وقد يأخذ الجنود كل شيء منه، أو يرمون الأغراض على الأرض ويتلفونها إذا كانت قابلة للإتلاف، كالمواد الغذائية، ليحرموا السجين منها، حتى قاموا بتبديل الملابس التي قدمها الأهل بأخرى بالية لسجناء آخرين خرجوا من السجن إلى ساحة الإعدام، أو نقلوا لسجن آخر، أو بقايا ملابس السجناء القضائيين من العسكريين الذين انتهت مدة سجنهم.

وفي أغلب الأحيان يمنعون إدخال المواد الغذائية إلا إذا وجدت توصية خاصة، وأثناء عودة المعتقل لزنزانته، يستقبل بالبطش وخاصة إذا كانت الزيارة في أحد فروع المخابرات، وبعد التفتيش يقومون بجلده، كالذي يحدث في استقبال النزلاء الجدد، فكنت أدعو الله ألا يزورني أحد من أقاربي تجنباً لذلك !! واعتاد الجلادون سرقة أموال السجناء جزئياً أو كلياً.

لم تزد نسبة المعتقلين الذين حصلوا على زيارات عن 10% من مج موع السجناء وغالباً ما تتكرر الزيارة لنفس السجناء، والتي شملت مصدراً حيوياً لنا للحصول على الأموال والملابس التي توزع على الجميع، وتستخدم لدفع أجرة الحمام

والحلاقة والابتزاز الشهري، ولشراء بعض الحاجيات الضرورية كالملابس والأغذية والصابون والمنظفات.

فيصل غانم يزور المعتقلين أيضاً:

جرت العادة في سجون العالم أن يقوم مدير السجن بزيارة السجناء داخل زنزاناتهم بين فينة وأخرى ليطمئن على أحوالهم، ويصغي لمشكلاتهم، خشية حدوث تجاوزات من قبل الموظفين الصغار داخل السجون، لأن إدارة السجن مسؤولة عن سلامة المعتقلين أمام السلطات العليا في الدولة، كما أن معاملة السجناء داخل السجون تؤثر سلباً أو إيجاباً على سمعة الدولة أمام دول العالم وأمام المنظمات العالمية المختصة بالدفاع عن حقوق الإنسان، وأمام الرأي العام العالمي، ولذلك نرى أن الدولة المحترمة تراعي هذه النواحي، وتحاسب المسؤولين عن السجون عن أي تقصير يمس سمعة البلاد، وتحرص إدارات السجون على تلافي أي خطأ يعرضها للمساءلة أمام السلطات العليا في البلاد. وحتى في البلاد التي تحكمها أنظمة ديكتاتورية قمعية، ومنها سورية، كانت زيارات مديرو السجون للمعتقلين السياسيين داخل زنزاناتهم تتم بهدف الإطلاع على أوضاعهم، ورفع طلباتهم للسلطات العليا، لعل بعضهم يتقدم بطلبات استرحام، أو يعلن توبته وتراجعه أو تخليه عن أفكاره، أو انسحابه من المنظمة أو الحزب الذي ينتمي إليه.

أما بالنسبة لسجناء تدمر فالأمر مختلف تماماً، فلا توبة تقبل، ولا عفو عن أحد من قبل السلطة. لقد خلع القوم برقع الحياء عن وجوههم، وداسوا كل الأعراف والقيم، وراحوا يتصرفون بما تمليه عليهم أحقادهم الدفينة، فكان مدير سجن تدمر يأتي للمعتقلين من حين لآخر، ليفتح باب الزنزانة، فينطلق كلابه لاقتحام المهجع وبسرعة غير معتادة، وغالباً ما تكون الزيارة خارج أوقات المناسبات التي تحدثنا عنها، فيأمرون السجناء بالوقوف مغمضي الأعين، مطأطئي الرؤوس، و قد اصطفوا أمام الجدران، ووجوههم متجهة للأمام، يتجول ذلك المجرم داخل الزنزانة بينهم، متأملاً

وجوههم، ويقف عند بعضهم يفرغ شيئاً من حقده وشذوذه، سائلاً إياه : (أنت ولك ما هو دورك بالتنظيم؟ أو ما هي رتبتك بالتنظيم؟ لماذا جئت إلى هنا؟ ما اسمك؟ من أنت؟ ما عملك؟) ويسمعه السباب والشتائم، ويبصق في وجه بعض السجناء ثم ينصرف.

كان هدف الزيارة التعرف على السجناء، عله يرى أحداً من المعروفين والمشهورين، سواء من الذين عرضوا في م قابلات تلفزيونية، أو تحدثت ونشرت عنهم وسائل الإعلام من العناصر القيادية النشطة جهادياً، فيشفي حقده منهم، ويالها من شجاعة ورجولة:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة   فتخاء تهرب من صفير الصافر

وكان المجرم يقوم بزيارته تلك مع كل دفعة جديدة تدخل ذلك السجن الجهنمي، وتعرف مرة على شخصين من محافظة اللاذقية فأرسل جلاوزته لهما، وأخرجوهما ليذوقا من العذاب حظاً ومن الإرهاب نصيباً، وأصيب أحدهما بكسر في ظهره نتيجة التعذيب، واستدعى جميع أفراد تلك الدفعة للتحقيق، فقر في نفوسنا حقيقة إطلاعه على ملفات المعتقلين.

وكنا ننال حظاً م ن اللكم والرفس واللطم أثناء تلك الزيارات المشؤومة، لأن السياط غير موجودة مع الجلادين، لأن عليهم تأدية المراسم العسكرية من تحية وتقديم الصف أثناء حضور سيدهم، وكان برتبة رائد وتمت ترقيته فيما بعد لرتبة مقدم.

وبدءاً من نهاية عام 1982 قام مدير السجن بزيارات للمهاجع، وتكلم بلغة خطابية في بعضها، وفي عام 1983 جمع نزلاء الباحة السادسة، وتكلم إليهم أيضاً، فراح يكرر العبارات التي يرددها سيده، من أنه مسلم ويصلي ويقرأ القرآن . كما تحدث عن المجرمين وعن العدالة وقال : نحن لم نحضر أحداً من بيته أو من الشارع ظلماً وعدواناً، إنما أعمالكم هي التي أوصلتكم إلى هنا، وكل منكم سينال حقه، وإن المجرمين الذين خانوا الوطن سينالون جزاءهم العادل. كما تكلم عن كامب ديفيد والهجمة الإمبريالية الشرسة على القطر العربي السوري.. إلخ.

والمتتبع لأحاديث أزلام النظام يجدها متطابقة، فالكل يعزف على وتر واحد، ولا أعلم: هل القوم مقتنعون فيما يقولون أم أنهم كذبوا وكذبوا حتى صدقوا أنفسهم؟ !! وهل يعتقدون أن أحداً يصدق تلك الأحاديث الممجوجة؟ لقد قال أحد أزلام السلطة ذات مرة إن الناس لا يثقون بأي شيء حتى نشرة الأحوال الجوية التي تذاع بوسائل الإعلام لا يصدقها أحد.

مقابلة وسائل الإعلام للمعتقلين:

كانت أجهزة المخابرات ترتب مقابلات إذاعية وتلفزيونية مع بعض المعتقلين الذين توجه إليهم أسئلة محددة، بهدف الحصول على إجابات معينة لإقناع عوام الناس بما تريده السلطة الغاشمة، أو لتبرير بعض التصرفات القمعية التي تسلكها تلك الأجهزة الجهنمية.

ففي عام 1979 و1980 أظهرت السلطة عدداً من المعتقلين على شاشة التلفزيون، مثل الأخ الشهيد أمين أصفر رحمه الله رحمة واسعة، وكانوا يجبرون المعتقل على كلام يكون سبباً للانتقادات والشبه عند عوام الناس، والذين يعرفون الظروف التي تتم بها تلك المقابـلات لا يسعهم إلا أن يعذروا أولئك المساكين فيما يقولون، فكيف تمت المقابلات؟

حضر الزبانية لمهجعنا أوائل عام 1981 وقرعوا اسمين لاثنين من الإخوة عندنا وقالوا لهما: عليكما أن تلبسا أحسن ما عندكما من الملابس (لكم زيارة) وفي اليوم التالي حضروا وأخرجوا الأخوين لساحة الإدارة، وحلقوا لهما ورتبوا هندامهما، ثم أخذوهما لغرفة المقابلة، ووقف المساعد أبو جهل وقال لهما : عليكما أن تقولا كل ما يطلب منكما، وإذا لم تفعلا فالدولاب جاهز بانتظاركما.

دخل الاخوة غرفة أعدت لهذه المهمة من حيث المقاعد والأنوار والديكور وكاميرات التصوير، وراح أحد الأشخاص يسألهما مستمعاً لإجابتهما، وكلما أجاب أحد الاخوة بصورة غير مقبولة، قال له : عليك قول كذا وكذا، وطلبوا منهما أن يكونا

طبيعيين أثناء الإجابة مع قليل من التبسّم؟!!

ثم أجريت مقابلة تجريبية (بروفا) حتى يطمئنوا إلى الإجابات الموافقة لأهوائهم، ثم قاموا بإعادة المسرحية مع تسجيلها بكاميرات الفيديو، هكذا كانت تتم المقابلة مع المعتقلين داخل السجون وفي أقبية المخابرات وسط أجواء الإرهاب، وبعد أن حطم المعتقل نفسياً وفكرياً وجسمياً ليجد نفسه مرغماً على قول ما يزيده الطغاة، ليبرروا لأنفسهم جرائمهم التي يرتكبونها بحق البلاد والعباد.

محاكم التفتيش:

مقدمة:

بعد محاولة اغتيال المجرم حافظ أسد والتي جرت يوم الخميس 1980/6/26 ارتكبت مجزرة سجن تدمر في اليوم التالي مباشرة، وصدر القانون 49 القاضي بإعدام كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين، بعد التصديق عليه من مجلس المهرجين (الشعب).

وحدد القانون المذكور فترة شهر لمن يريد الانسحاب من التنظيم (راجع نص القانون) وبناء عليه، فقد شكلت المحاكم الميدانية لمحاكمة المعتقلين بتهمة الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين ولم تكن لتلك المحاكم صفة قضائية، إنما ضمت مجموعة من ضباط المخابرات والجيش الحاقدين والعملاء لإنجاز رغبة الطاغية.

باشرت تلك المحاكم أعمالها في شهر تموز من نفس العام، وكانت تنتقل بين فروع المخابرات والسجون في طول البلاد وعرضها، لتحاكم السجناء الذين تم التحقيق معهم. فمثلاً حاكمت بعض المعتقلين في سجن المزة بدمشق، وكذلك في فرع كفر سوسة، وحاكمت آخرين في فرع المخابرات العسكرية في حمص واللاذقية .
وبعد ذلك شُكلت لجنتان ميدانيتان، تختص الأولى بمحاكمة معتقلي سجن تدمر ومقرها فرع المخابرات العسكرية في حمص، والمجرم غازي كنعان أحد أعضائها . أما المحكمة الثانية فتختص بمحاكمة معتقلي سجن المزّ ة (الإسلاميين فقط) وكانت برئاسة

العقيد حسن قعقع (من اللاذقية ولم يكن سوى دمية) باشرت المحكمتان أعمالهما بصورة مستقلة، إذ يتم نقل المعتقلين من تدمر إلى حمص وحوكمتُ بهذه الطريقة . وفيما بعد نقلت المحكمة إلى سجن تدمر فكانت اللجنة تذهب إلى هناك مرة أو مرتين أسبوعياً من أجل المحاكمة وتنفيذ أحكام الإعدام.

والمحكمة الثانية كانت تحاكم معتقلي سجن المزة، والذين يحكم عليهم بالإعدام ينفذ فيهم هناك، أما الذين يحكمون بالسجن مدداً مختلفة، فينقلون لتدمر، وأما المبرؤون فيمكثون في سجن المزة حتى يمن عليهم الطاغية بالإفراج!!

مأساة المحاكمات الميدانية:

مقدمة:

وهي أكثر الفصول إثارة للسخرية المبكية وأشدها ظلماً . إن أكثر دول العالم اليوم تحكمها أنظمة مستبدة، ومع ذلك يستطيع المرء أن يلاحظ تمايز المؤسسات والسلطات، فالوزير مسؤول ضمن حدود وزارته، وقائد الجيش مسؤول ضمن مؤسسته، والسلطة القضائية كذلك. وهكذا.. أما في دولة القرامطة الجدد، فلا وجود لذلك، فالسلطة عبارة عن عصابة يتزعمها الصنم الأكبر، فهم يملكون ويقررون وينفذون كل شيء وما عداهم من رموز ومناصب فهم دمى لا يملكون من أمرهم شيئاً، وما عليهم إلا أن ينفذوا ما يؤمرون به بكل دقة وخنوع.

فالعصابة هي التي تأمر بالاعتقال، فهي النيابة العامة، وتعتقل، فهي جهاز الأمن، وتحقق وتحاكم وتنفذ الأحكام، فهي السلطة القضائية. لذلك نستطيع القول : إن تلك المحاكم ليست إلا محاكم صورية، لا تملك أية صفة من صفات المحاكم . فالقائمون عليها ليسوا قضاة، ولا يفقهون شيئاً من أمور القضاء. المتهم لا يحق له الدفاع عن نفسه، ولا أن يوكل من يدافع عنه، لا وجود للشهود، ولا حاجة لأية أدلة(32) فالدليل الأول والأخير هو محضر التحقيق الذي وضعته المخابرات التي تنتزع الاعترافات بشتى طرق الإكراه، وربما لفق ضباط المخابرات التهم كما

يشاءون، ودوّنوا المحضر النهائي للتحقيق كما يريدون، وعلى المتهم التوقيع على ذلك المحضر دون أن يعرف محتواه، وبه كانت العصابة هي السلطة القضائية المهيمنة على كل أقدار السجناء، ولعل بعض الدول تمر بظروف استثنائية تدعوها لتطبيق الأحكام العرفية، أو حالة الطوارئ، لكن القضاء يبقى محافظاً على هيبته ونزاهته . لأنه رمز العدالة(33) بل هو جهاز العدالة الوحيد في البلاد.

وتقع التجاوزات من السلطة التنفيذية، وخصوصاً أجهزة الأمن التي تعتقل وتعذب بصورة تعسفية، أما القضاء فإنه يحق الحق وينصف الناس، ويحترم القانون، أما في دولة القرامطة الجدد، فالأحكام العرفية مطبقة على البلاد منذ عام 1963 وزادت الحالة سوءاً في عام 1980 عندما ارتكبت الكثير من التجاوزات التي جعلت بعض رموز السلطة يراجعون أنفسهم كرجال دولة (34)، لأن الدولة تحمل معنى حضارياً لا تليق به تلك الأساليب الوحشية، والتي تشابه إلى حد بعيد سلوك عصابات الإجرام الخارجة عن كل القوانين والأعراف والقيم.

كيفية المحاكمة:

مع مطلع شهر أيلول من عام 1980 جاء الجلادون إلينا بقائمة أسماء، ليقولوا لهم: جهزوا أنفسكم، غداً عندكم محكمة. هناك اختلطت المشاعر والأفكار بين التشاؤم والتفاؤل، فقد كنا نسعى لتفسير كل شيء لصالحنا لكوننا محاطين بالمجهول من كل جانب، لا ندري ماذا يدور حولنا، بالإضافة للظروف التي كنا نعيشها، والتي تفرض علينا الشعور بالمرارة والإحباط، ورغم ذلك، كنا متفائلين، نفسر كل شيء بصورة إيجابية، بسبب إفراط بعضنا في الخيال والخرافة، ولأننا ا عتقلنا في فترة مبكرة من عام 1980، ولم نسمع بمجزرة سجن تدمر، ولا بالقانون 49، لذلك لم نكن نعرف ماذا تعني المحكمة؟ وإلى ماذا تشير؟

قلنا: لعل هذه بداية الفرج ، فعسى أن تنهي المحكمة الوضع المأساوي الذي

نحن فيه، فننقل إلى سجن آخر نعامل فيه كجميع السجناء في كل بلاد العالم، أو يخلى سبيلنا فنعود لبيوتنا، ولكن هيهات هيهات!!

رحنا نسأل بعض اخوتنا ممن سجنوا في فترات سابقة، والتقوا باخوة ذهبوا للمحاكمة، عن إجراءاتها، فكان ما نسمعه يطمئننا بعض الشيء ولكن، سرعان ما اصطدمنا بالواقع، فتبخرت جميع الآمال وأصبنا بالإحباط.

نمنا تلك الليلة، ولكن عند منتصف الليل جاء السجانون وفتحوا باب الزنزانة، وتلوا الأسماء ثانية، طالبين أن يحضر كل سجين قميصه الداخلي، لاستعماله كغمامة لعصب العينين، وعند خروج اخوتنا من الزنزانة، عصبت أعينهم، وأوثقت أيديهم بالحبال، وسيقوا لساحة القلم.

نقص عددنا في ذلك اليوم، وافتقدنا إخوتنا، وظننا أن لن نلتقي بهم ثانية، وافترقنا إلى غير لقاء متوقع!! وسيطر علينا شعور غريب، هو شعور الخوف من المجهول، ورحنا نتساءل: ماذا سيحصل لإخواننا؟ وبيننا أحد الأخوة ممن اعتقلوا سابقاً، والتقى بأخوة أخذوا إلى محكمة أمن الدولة بدمشق، فشرح لنا إجراءات المحاكمة للسياسيين، إذ يعاد استجواب المتهم من قبل القاضي بطريقة تختلف عن التحقيق في فرع المخابرات، فلا ضرب ولا إهانة، وإنما الحجة والمنطق والدليل، وتعاد كتابة الإفادة حسب معطيات الاستجواب والأدلة الموجودة، وحسب قناعة القاضي. وتسمى هذه المرحلة: بتبييض الإفادة، أو تثبيت الأقوال. وكانت تستغرق عدة جلسات، ويستطيع المتهم أن يقول ما يشاء. وقال أيضاً: إن الأخ الشيخ محمد خير زيتوني قد انتقد النظام أمام لجنة المحكمة بكلمات لاذعة، فتحولت الجلسة من محاكمة له كمتهم، إلى محاكمة وإدانة النظام.

مر علينا ذلك النهار كبقية أيام السجن العادية، وعند المساء، بدأت عمليات التعذيب في الباحة الأولى، فظننا وصول دفعة جديدة من المعتقلين، وبعد انتهاء حفلة الاستقبال، أخذت الأصوات تقترب مع أصوات الزبانية، وفتح باب باحتنا، فدخل الزبانية مع أخوتنا، وفجأة فتح باب زنزانتنا، و اندفع اخوتنا للداخل بحالة يرثى لها من

الإعياء والتعب والجوع والعطش، كما بدت عليهم آثار التعذيب من جروح وقروح وكدمات، الجميع يصرخ ويستغيث مرتمياً على الأرض، لا يقوى على شيء . أسرعنا لأخوتنا نساعدهم ونخفف عنهم، أما أنا فقد صدمت لهول المفاجأة، ووقفت مشدوهاً عاجزاً أن أحرك ساكناً، فصاح بي أحد الأخوة (رحمه الله): مالك؟ قم وساعد إخوانك. قلت في نفسي: ما هذا؟.. وعندها أدركت أننا نواجه فتنة كبرى، وليس أمامنا إلا التسلح بالصبر، حتى يأذن الله بالفرج.

بادرت أحد أخوتي بالسؤال: ماذا حصل معكم؟ تردد بالإجابة ثم قال: (اتركها على الله)، وتحت الإلحاح أجابني قائلاً: أخذونا إلى فرع المخابرات في حمص، وأعادوا معنا التحقيق!! قلت يا الله ألم ننته من التحقيق والتعذيب؟ ألا يكفينا ما نحن فيه من البلاء؟! وهكذا رحت أدعو: اللهم الطف بنا فيما جرت فيه المقادير . وكان هذا دعائي المفضل طول فترة اعتقالي، لأنني اعتقدت منذ البداية أن المحنة مهما كانت شديدة ومؤلمة، فإن هناك ما هو أسوأ، فالأمور نسبية.

وراح الأخ يسرد لي ما حصل معهم منذ خروجهم من المهجع الليلة الماضية، وحتى عودتهم إليه، وكيف تعرضوا للتعذيب أثناء خروجهم، وكيف استقبلهم زبانية فرع المخابرات، وزبانية السجن، عندما عادوا بحفلة استقبال جديدة، ويا لهول ما سمعت، فرحت أوطن نفسي استعداداً لفصل جديد من فصول المحنة، لأنني سأتعرض للشيء ذاته، وهذا ما حصل معي، وإن كان بصورة أقل مما تعرضوا له، فكيف كان ذلك؟

السفر لحمص:

أصبحت كلمة (حمص) تحمل معها تأثيراً نفسياً خاصاً يشبه التأثير الذي تحدثه كلمة (تدمر) لما عانيناه في المدينتين من تعذيب، ولم ننتظر طويلاً، إذ بعد فترة قصيرة من وصول أخوتنا، حضر الجلادون، وفتحوا كوّة باب الزنزانة (الشراقة) وقرعوا أسماء مجموعة جديدة من الإخوة كان بينهم اسمي . وقالوا لنا: جهزوا أنفسكم،

غداً عندكم محاكمة. سيّطر عليّ الرعب وأخذت أقرأ القرآن وألهج إلى الله بالدعاء، لقد انقطعت بنا أسباب الأرض، فلا حول لنا ولا طول، وليس أمامنا إلا التوجه إلى الله بالدعاء والإنابة، نستمد منه العون والتأييد، سائلين إياه أن يلهمنا الصبر.

استلقينا للنوم، وأنى لنا ذاك، وعند منتصف الليل، عاد الزبانية ثانية وقرءوا أسماءنا، وأخرجونا من الزنزانة، بعد أن هيأ كل منا قميصه الداخلي لاستعماله كعصابة للعينين.

أمسك كل منّا بثياب الذي أمامه، وقد حنى رأسه للأسفل، والسياط تلسعنا من كل جانب، مع الكلمات الفاجرة، وسرنا نحو ساحة القلم، وأجلسنا على الأرض تحت إحدى الأشجار، وكانت شجرة (كينا) وعرفتها من رائحتها.

تجمّع الإخوة من بقية الزنزانات، وعددنا بضعة وعشرون شخصاً، أجلسونا على الأرض، بعد أن قيدوا أيدينا للخلف بالحبال التي شدّت بقسوة، مسببة لنا آلاماً مبرحة، وبعضنا أثر الحبل على رسغيه، تاركاً تقرحاً دام لعدة أسابيع، نتيجة إصابته بالالتهاب.

بقينا على هذه الحالة عدة ساعات (حتى بزوغ الفجر) تيبست مفاصلنا، وأصيبت أطرافنا السفلية بالخدر والنمل، وفقدنا الحس بأقدامنا، وأما أيدينا، فليست بأفضل حالاً منها، ولكن .. هل في استطاعة أيّ منّا أن ينبس ببنت شفة؟ فالجلادون من حولنا يضربوننا بين وقت وآخر بالسياط.

ساقونا بعدها إلى داخل سيارة زيل عسكرية مخصصة لنقل السجناء، وهي عبارة عن ناقلة عسكرية روسية الصنع، استبدلت خيمتها بصندوق حديدي له أبواب محكمة، وتحتوي على كوى مشبكة بالحديد .. وتشبه زنزانة السجن بهذا، والباب موجود بالخلف، وهو مخصص لدخول وخروج المعتقلين، وفي غرفة القيادة نافذة زجاجية تطل على صندوق السيارة الخلفي، ويستطيع الجالس في غرفة القيادة رؤية جميع السجناء خلفه، مقاعدها من الخشب (عدة قطع من الخشب تفصل بينها فراغات) وتحتوي السيارة على ثلاثة صفوف من المقاعد، صفين على الجانبين، وصف في

الوسط، ولذلك، فالجلوس على تلك المقاعد متعب جداً، لأنها قاسية، ويضاف إلى ذلك مشكلة الازدحام، والأعين المعصوبة، والأيدي الموثقة للخلف.

وأما سرعتها، فشأنها في ذلك شأن أكثر السيارات الروسية المتهالكة، إذ لا تتجاوز الـ 60كم في الساعة، يضاف إلى ذلك أن المسافة بين مدينتي حمص وتدمر تبلغ حوالي 160 كم، والطريق مليئة بالحفر، بسبب الإهمال، فكانت السيارة تهتز كثيراً، لدرجة أنه ربما ارتفع أحدنا من مكانه من شدة الاهتزاز، نازلاً بقوة على الكرسي بكل ألم وعذاب، ويضاف إلى ذلك، صوت المحرك، وقرقعة صفائح الحديد التي تغطي صندوق السيارة، وصوت رياح الطريق، فكل شيء كان يتعبنا ويقلقنا، علاوة على ذلك القلق النفسي الذي نعاني منه، فنحن لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك، في فرع المخابرات؟ وماذا ينتظرنا بعد عودتنا للسجن؟.

مرّت أربع ساعات ونحن على ذلك، شعرنا في البداية بالبرد لبرودة الجو النسبية ليلاً في الصحراء، وقلة الملابس، وتيار الهواء الناشئ عن حركة السيارة، وسيطر علينا الخوف والرعب، فراح كلّ منّا يقرأ ما تيسر له من القرآن، ويدعو سراً، خشية أن يكون بيننا بعض الجنود، وجهر أحد الإخوة بقراءة القرآن والدعاء، فاطمأن الجميع لغياب المجرمين من بيننا، فراح كل منّا يحدّث من بجانبه عن اسمه وعمله وتاريخ اعتقاله، ويشكو له همومه، فقال لي أحد الإخوة ممن جلسوا إلى جانبي: لقد تلفنا من شدة التعذيب، كنّا بالسجن الفلاني الرهيب، فإذا هو كبيت المرء أو أعز مقارنة بهذا السجن، فاستغل أحد الإخوة ممن كانوا معي بالزنزانة الفرصة، فراح يستشيرني بالهرب. قلت له: ومن أين؟ أجابني من الفتحة العلوية الموجودة في السقف، حيث أشاهد الضوء، وأعتقد أنها فتحة كبيرة يمكن الهرب منها. فقلت له : لا فائدة من ذلك، فدورية الجنود ترافق السيارة من الأمام و الخلف، والسيارة تسير بسرعة وسط الصحراء، فلا يمكنك الاختفاء بأي مكان لو نجحت بتجاوز جميع العقبات. وأخيراً قلت له: إن العملية مغامرة انتحارية لا فائدة منها. فصرف النظر عن تلك الفكرة، وراح يتحدث في أمور أخرى.

وأخيراً وصلنا إلى فرع المخابرات العسكرية في حمص، ذ لك الفرع الذي صار اسمه يرعب سكان المدينة، لما عرف عن رئيسه (غازي كنعان وكان برتبة مقدم في ذلك الوقت) من ظلم وتجبر في تلك الفترة. لقد لوّع سكان المدينة بكثرة الاعتقالات والمداهمات وأعمال التفتيش، وفي كل مرة تجري فيها عمليات المداهمة والتفتيش، كان كلابه مع جرذان الوحدات الخاصة، يمعنون في إيذاء الناس وإهانتهم، إضافة لأعمال السلب والنهب، ولم يترك بيتاً واحداً إلا واعتقل منه شخصاً أو أكثر . لقد أقسم مرة بأنه سيقطف ألفي زهرة من حمص، ليزرعها بصحراء تدمر (ويريد بذلك إعدام ألفي شاب من حمص ويدفنهم في صحراء تدمر) كان يعتقل الناس من الشوارع دون سبب أو جريرة أو تهمة ويقودهم إلى باستيل القرامطة، وحتى إنه تفقّد القبو يوماً فوجد أن زبانيته لم يعتقلوا أشخاصاً جدداً، فراح يشتمهم ويقول لهم : ألم تستطيعوا أن تعتقلوا عدة أشخاص من الشارع وتحققوا معهم (لعله يطلع منهم شيء)؟

وفعل أكثر من ذلك، إذ أعاد اعتقال طليقي فروع المخابرات الأخرى (شعبة الأمن السياسي وشعبة المخابرات العامة) ليعيد فتح ملف التحقيق من جديد، ويرسلهم إلى سجن تدمر، ووصل الأمر به أن يعتقل أشخاصاً من محافظات أخرى، كما فعل مع المرحوم الشهيد العقيد محمد فيصل سيرجيه من حلب، الذي أخلي سبيله عام 1980 فأعاد المجرم غازي كنعان اعتقاله من مدينة حلب، وبنفس التهمة السابقة، وأرسله إلى سجن تدمر، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم يوم 1981/10/24 مع 21 أخاً آخرين(35).

بدأ الجنود بسحبنا خارج السيارة، ودفعنا داخل الفرع، ليستقبلنا زبانيته بالكبلات الكهربائية، وقاموا بتجميعنا في بهو يقع بين الممرات .. جلسنا على الأرض في مكان ضيق فترة من الزمن تقارب الساعة، عندما بدءوا بإخراجنا إلى غرفة المحكمة، وكنت أول من دخل إليها، قرءوا اسمي فوقفت، فتقدم حارس ليخرجني من بين السجناء، وفك الغمامة عن عيني، والحبال من يدي، وسلمني لشخص آخر، طلب مني أن أتبعه. وفي الطريق سألني عن اسم مدينتي قائلاً : (من وين أنت ولك) فسميت

له مدينتي، فقال لي : (واضراطه) فسكتّ حتى دخلت غرفة المحكمة بصحبة ذلك الشخص، وأجلسني على كرسي مقابل للمقعد الذي يجلس عليه من سمي قاضياً، بينما جلس هو على كرسي يقع إلى جانب طاولة القاضي، وهي طاولة مكتب، تقع بأحد جوانب الغرفة، وفي الزاوية المجاورة لها، وجدت كومة كبيرة من الكتب، وضعت بصورة اعتباطية. تأملتها فلمحت كتاب الإسلام للشيخ سعيد حوى، وكان القاضي يمسك بيده ديوان الإمام الشافعي عندما دخلت الغرفة، فعرفت أن الكتب هي من المواد التي تمت مصادرتها من بيوت المعتقلين والملاحقين، أثناء عمليات التفتيش والمداهمة والتمشيط البربري.. وضع القاضي الكتاب جانباً، وأمسك بإضبارتي، وراح يقلبها، وسألني: من هو فلان؟ (يعني اسم الشخص الذي اعتقلت لمعرفتي إياه) فقلت له: جاري في الحي.

قال لي: (أكيد أنت ليس لك علاقة بالإخوان المسلمين؟).

فأجبته: نعم. وإذا ثبت أن لي علاقة بهم، فأنا على استعداد لتحمّل أقسى العقوبات. وضع الإضبارة جانباً، والتفت لكاتبه قائلاً له : اكتب: لا علاقة له بتنظيم الإخوان المسلمين، ولم يشارك بأعمال الشغب (المظا هرات والاضطرابات التي حصلت ضد السلطة في بعض المحافظات) وأن علاقته بفلان علاقة شخصية فقط . ووضع الكاتب بصمة إبهامي الأيسر على محضر الاستجواب، لكنه عاد فسألني ثانية : إذا كان الأمر كذلك، فما الذي جاء بك إلى هنا؟

بالطبع الإجابة على هذا السؤال واضحة، وهو يعرفها أكثر مني، ولكنه يريد استدراجي. الإجابة أن المخابرات هي التي جاءت بي لذلك المكان، ولكن هل يمكنني قول ذلك؟ بالطبع: لا. إنما عليّ الإجابة بطريقة أظن أنها ترضيه، وإن كانت تخالف قناعتي. قلت له: إن البلاد تمر الآن بظروف استثنائية، ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات أن يظلم بعض الناس بسبب ذلك، فليس شرطاً أن يكون كل من دخل السجن مذنباً. فلم تعجبه إجابتي، ونظر إليّ بشزر قائلاً لي : يبدو إن دماغكم لم يُغسل بعد .. إنكم ما تزالون تجرءون على الكلام. فأصابني الارتباك، قلت في نفسي: ماذا عساي

أن أقول ما يرضي هؤلاء المجرمين وفيه السلامة والنجاة؟ قلت له: إن المجرمين هم الذين يتحملون المسؤولية عن كل ما حصل، فليس للدولة مصلحة في توقيف أي مواطن، وأنا على استعداد للتعاون معكم لمصلحة الوطن.

وهكذا انتهت المحاكمة وأخرجني الكاتب من الغرفة وسلمني لأحد عناصر المخابرات الذي بادر لتعصيب عيني، وإيثاق يدي، ودفعني أمامه، بعد أن أمسكني من النقرة (الناحية الخلفية من الرقبة) وأنزلني على درج حتى وصلت إلى القبو، وأجلست على البلاط في أحد الممرات الواقعة بين الزنزانات، فتلقفني أحدهم بالسؤال : ماذا حُكمت؟ قلت له: لا شيء فلم يصدقني، وراح يضربني. قلت له : اذه ب واسأل القاضي.

كانت العادة أن يقدم الكاتب (توصية) بالمعتقل الذي حكم بقضية ما، كأن يكون المعتقل من التنظيم المسلح، أو ممن له دور ما، أو ممن شارك في المظاهرات أو غيرها، حيث يقول للزبانية: (توصوا بهذا الحقير.. إنه كيت وكيت) وغالباً ما يعطي المعتقل تهمة أكبر بكثير من تهمته الحقيقية، كأن يقول لهم: هذا رئيس التنظيم بالمدينة الفلانية، ولا يكون المتهم كذلك، فقد يكون مسؤولاً عن أسرة (حلقة حزبية) واحدة، أو ممن يعطي درساً في أحد المساجد. وفي هذه الحالة، يستقبله الجلادون بالضرب والإهانة، لقد حاكموا شخصاً كتب قصيدة يهجو بها النظام، ويعدد خياناته وجرائمه، مادحاً المجاهدين، والذين شاركوا بالانتفاضة ضد النظام في تلك الأيام، فوقعت هذه القصيدة في أيدي المخابرات، واعتقلوه من أجلها، وتعرض لتعذيب شديد، وحاول المحققون عبثاً إلحاق تهمة تنظيم جماعة الإخوان المسلمين، إذ لم يكن له أ ية علاقة بهم، وبعدها أرسلوه إلى سجن تدمر، وسيق منه إلى المحكمة الميدانية، وعندما قرأ القاضي اضبارته، ووقع بصره على القصيدة، شتمه بألفاظ فاجرة حقيرة، وقال له : أتصفنا بأننا خونة؟ والله لو كان مسدسي بيدي لأفرغته برأسك يا ... وحكم عليه بالإعدام، وعندما خرج من الغرفة قال الكاتب للجلادين: هذا يصفنا بالخيانة، وأننا بعنا القنيطرة. فانهال عليه الجلادون ينهشونه ضرباً بالأسلاك المعدنية (وكانت من

الكبلات الكهربائية) حتى تسلخ جلده، وأصيب بجروح عميقة في جميع أنحاء جسمه . وهكذا كان يتصرف القاضي، إذا قرأ كلمة لا تعجبه غضب بشدة، وحكم على المتهم بالإعدام، والويل كل الويل لمن كان متعلماً، حتى لو كان بريئاً، ولطالما أوصانا إخواننا بتجنب ذكر المهنة والمؤهل العلمي (كما هو الحال في سجن تدمر) ومع ذلك، فالكاتب كان يذكر للجلادين ذلك، ليخصوا المعتقل بالضرب والإهانة(36).

وكان بيننا وقتها أحد الأطباء، وقد برأته محكمتهم، فوعده القاضي بإخلاء سبيله بأسرع وقت، كما وعده بنقله إلى سجن آخر، وأوصى السجانين بأن لا يتعرضوا له بالضرب والإهانة، ومع كل هذا، نال حظه من العذاب، وإن كان دون حظ إخوانه.

من توفيق الله لنا في ذلك اليوم، أن المجرمين انشغلوا به، فراحوا يسألونه أسئلة مختلفة، بهدف التهكم والسخرية، إرضاء لانحرافهم وهمجيتهم، فهم جميعا دون مستوى الدراسة الإعدادية، فيتناول أسئلتهم بجدية، ويجيبهم . واستمروا معه على ذلك حتى انقضى ذلك النهار الأسود، وأخذنا حظنا من التعذيب والضرب دون ما نال إخواننا في اليوم السابق. ثم سمحوا لنا بالخروج لدورات المياه لقضاء الحاجة وشرب الماء، ولكن بقينا بدون طعام طوال ذلك اليوم، حتى انتهت المحكمة وعدنا إلى سجن تدمر.

العودة لسجن تدمر:

تبادلنا أطراف الحديث خلال رحلة العودة، والحبال تكاد تقطع أيدينا، حتى شعرنا بالألم الشديد، كما تورمت أيدينا نتيجة الضغط، وفكرنا بطريقة تخفف بها الألم، فقررنا فك الحبال، وهذا ممكن، فالأيدي موثقة للخلف، والأصابع حرة، فراح بعضنا يفك الحبال لمن جلس إلى جانبه، ممن يشتكي من الألم، ولم نكن نعرف أن الجنود الذين يجلسون في غرفة القيادة يراقبوننا، وفجأة توقفت السيارة، وصاح بنا الزبانية وهم يصعدون إليها قائلين : تفكون الحبال يا حقراء يا ... تريدون أن تهربوا يا .. (والله

نقوسكن هون) وضربونا بأعقاب البنادق كما ضربني أحدهم على رأسي بمخزن البندقية، وقال لرئيس الدورية : هذا ألـ (ع رص) هو الذي فك الحبال . وصرخوا بنا متوعدين عندما نصل إلى السجن (منورجيكن يا...) (37)، وأعادوا ربط الحبال. عند ذلك رحنا نتوجه إلى الله بالدعاء أن يكف أذاهم وشرهم عنا، فاستجاب الله دعاءنا.

وصلنا إلى السجن بعد المغرب، وأنزلونا من السيارة لنسير داخلين إليه . في تلك الأثناء ضاعت إحدى فردتي نعلي دون أن أشعر، لأنني فقدت الحس تماما فيهما، فلم أعد أشعر، وكنت أجرهما وكأنهما أرجل صناعية بسبب الجلوس المديد على المقاعد الخشبية القاسية خلال رحلة العذاب تلك.

دخلنا السجن، وبدأت عملية التفتيش، ليعرى كل سجين من ثيابه، وتفتش ملابسه بدقة. وهذه فرصة يستغلها الجلادون للضرب على الأجساد العارية، ولم نشعر كثيرا بألم السياط، لانتظارنا ما هو أدهى وأمر، ولكن الله سلم إذ أمر المساعد أول أبو جهل دورية الجلادين التي رافقتنا بأخذ إجازة يقضونها بعيدا، لتحل مكانهم دورية جديدة، ممن كانوا داخل السجن، لا يعلمون ما حصل معنا أثناء الرحلة، فلهذا لم نتعرض لحفلة استقبال كالتي تعرض لها إخواننا في اليوم السابق. وكان حظنا من الضرب والإهانة أقل، وعدنا لمهجعنا، ليلاقينا إخوتنا بالعناق والفرح على نجاتنا من التعذيب.

وعندما دخلت المهجع نظرت لقدمي فوجدت أنني ألبس إحدى نعلي مع شحاطة بلاستيكية التقطتها من الباحة، ظناً مني أنها لي، دون الانتباه للشكل واللون، ودون أن أشعر أنها ليست نعلاً، للإرهاق الشديد، ولفقدان الإحساس بأقدامي.

انتقال المحكمة الميدانية لسجن تدمر:

وفي الشهور الأخيرة من عام 1980 بلغت الاعتقالات ذروتها، فزاد عدد سجناء تدمر كثيراً (حوالي ثلاثة آلاف معتقل) لذلك أصبح من المستحيل نقلهم إلى حمص من أجل المحاكمة بنفس الطريقة، فتقرر أن تحضر المحكمة الميدانية مرة أو

مرتين أسبوعياً لمحاكمة المعتقلين، ويصل العدد في كل مرة حوالي 60 معتقلاً أو أكثر لذا، فالذي يدخل السجن، عليه الانتظار مدة تتراوح بين ستة أشهر حتى السنة ليأتي دوره في المحاكمة. وأراح انتقال المحكمة الميدانية إلى تدمر السجناء من عذاب سفر، إنما أضيفت مآس جديدة لإعادة التحقيق مع بعض المعتقلين.

المحاكمة في سجن تدمر:

يتم تجميع المعتقلين المراد محاكمتهم من الزنازين في باحة القلم، أو في الباحة الأولى.. يجلس الجميع على الأرض مغمضي العيون، مطأطئي الرؤوس، يتعرضون للمطر والبرد في فصل الشتاء، ولحرارة الشمس المحرقة في فصل الصيف، مع الضرب والإهانة من الجنود. ويتم إدخالهم إلى غرفة المحكمة واحداً تلو الآخر حسب الأسماء. ولجنة المحكمة مؤلفة من عدة أشخاص، يقال: إن غازي كنعان كان رئيساً لها. وشوهد بعض ضباط الوحدات الخاصة أو سرايا الدفاع يشاركون في بعض المحاكمات(38) تتم بنفس الإجراءات التي في حمص، إذ يدخل المعتقل إلى غرفة المحكمة، فتوجه إليه بعض الأسئلة، فيملي القاضي على كاتبه خلاصة لإفادة المعتقل، كقوله (كرر إفادته بأنه كذا)... (أو أقر إفادته بأنه...) أو لا علاقة له بالتنظيم ... أو غير منظم أو لاشيء يستحق الذكر حسب محضر التحقيق من فرع المخابرات، فتختصر الإفادة ببضع كلمات، أو عدة أسطر، وإذا حاول المعتقل إنكار شيء يعاد للدولاب (أي للتعذيب) وهذا الأمر لم يكن موجوداً في حمص، لأن القاضي يملي على كاتبه دون أي التفات لما يقوله المعتقل، سواء بالنفي أو الإيجاب، أما الآن في تدمر، فالأمر مختلف تماماً، فالمعتقل قد يواجه تحقيقاً جديداً، وخاصة إذا لم يثبت محضر التحقيق أية تهمة عليه، فالقاضي لا يأخذ بمضمون الإفادة، إنما عليه أن يحقق بنفسه، لينتزع اعترافات جديدة من المعتقل لتدوينها في الإفادة النهائية، لتصبح حيثيات للحكم الذي سيصدره. ويتناصح المعتقلون بأنه لا جدوى من الإنكار أو المناقشة، وما على المعتقل إلا أن يوافق ويبصم على كل ما يريده المجرمون، وإلا فالتعذيب، ثم الموافقة

بعد ذلك.

ويقضي المعتقلون نهارهم بالصورة التي وصفت، أي جالسين على الأرض، رؤوسهم مطأطأة، وأعينهم مغمضة، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، مهما كان الطقس، فلا يسمح لهم بالخروج إلى دورات المياه، أو شرب الماء، وتناول الطعام، وربما مكثوا على هذه الحال طوال النهار، حتى تنتهي اللجنة من محاكمة الجميع، ليعادوا إلى زنزاناتهم. أما الحالة النفسية للمعتقلين فلا يمكن وصفها، فقد استولى الخوف والرعب على الجميع، بسبب إعادة التحقيق مع بعضهم، وهم يعذبون أمام إخوانهم.

الجميع ينتظرون دورهم، ظانين أن مصيرهم كمصير أخيهم الذي يعذب أمامهم. فالكل يلهج إلى الله بالدعاء، أن يخفف عن أخيهم المعذب، وأن يلطف بهم، أما بقية المعتقلين في الزنزانات، فأيام المحكمة قاسية عليهم، خاصة نزلاء الباحتين:الأولى والثانية، لسماعهم أصوات المعذبين، إضافة إلى شراسة التعذيب في تلك الأيام، وتوزيع الطعام يتأخر كثيراً ع ن وقته المحدد، وكذلك الأمر بالنسبة للتفقد، فيصطف السجناء ساعات طويلة بانتظاره دون أن يحضر المجرمون، ويبقى المعتقلون واقفين ينتظرون فصلاً جديداً من فصول التعذيب، فالجلادون مشغولون بواجبهم الوطني!! أما الحالة النفسية فسيئة جداً، فقد سيطر الخوف والرعب على الجميع، خاصة الذين لما تنته محاكمتهم بعد، فكل منهم ينتظر دوره، وهذا أشد على النفس من التعذيب.

إعادة التحقيق مع بعض المعتقلين:

سمي سجن تدمر بمركز التطهير الوطني لتصفية الإخوان المسلمين، لذلك كانت الغاية الأولى والأخيرة منه تصفية الإسلاميين جسدياً ومعنوياً، ولكي تتم هذه العملية كان لابد من بعض الإجراءات الصورية، لتعطي التمثيلية بعداً قانونياً، لذلك سن القانون 49 وأنشئت المحاكم الميدانية لهذه الغاية ... وتحرص فروع المخابرات

على تلفيق التهم للمعتقلين قبل إرسالهم إلى السجن، واشتهرت بعض الفروع بذلك، كالمخابرات العسكوية في إدلب وحمص وجميع فروع اللاذقية، وهناك فروع أخرى لم تتحرى الدقة نسبياً في تحقيقاتها كفروع دمشق وحلب، ولم يدفعهم حرصهم على تحري الحقيقة وإقامة العدالة ورفع المظالم لتوخي الدقة في عملهم، إنما كان حرصهم على تجنب التضليل، والانشغال بقضايا لا طائل منها . وبلتالي تبقى الانتفاضة مستمرة لعدم كشف العناصر الفاعلة فيها أي أنهم يراعون مصلحتهم أولاً وأخيراً.

ورغم ذلك، تقع في كثير من الأحيان الأخطاء، ومنها تعرض بعض المعتقلين للتعذيب الشديد ولفترة طويلة، مما يفقدهم القدرة على المحاكمة العقلية، فيصابون بالانهيار النفسي والعقلي، فيرمون التهم جزافاً، ويعترفون على أشخاص لا تربطهم بهم أية علاقة تنظيمية، سوى أنهم يحفظون أسماءهم بسبب الجوار أو ما شابهه، وتقوم المخابرات باعتقال الذين وردت أسماؤهم للتحقيق معهم، وبما أنهم أبرياء لا يعرفون شيئاً، فإنهم يتعرضون لتعذيب شديد، ربما أدى لانهيارهم واعترافهم بأمور لا علاقة لهم بها، ويعترفون على آخرين، وهكذا، ليدخل التحقيق حلقة مفرغة، مما يضطرهم لإغلاق ملفه، لاكتشاف وقوعهم في التضليل، تاركين الأمور معلقة للمحكمة الميدانية لتبت فيها، وقد يذكر المحققون رأيهم، كأن يدونوا في محضر التحقيق أن فلانا قد اعترف على هذا المعتقل كيت وكيت، وعند التحقيق معه لم تثبت التهمة، وقد نفى المعتقل ذلك. وربما أكدوا أن الشخص قد اعترف عاد ونفى التهمة التي نسبها إليه، وأقر أنه اضطر لذلك ليتخلص من التعذيب. ولا ننكر الحالات النادرة التي برأت المحكمة الميدانية فيها بعض الذين اعتقلوا بهذه الصورة، ولكن في أكثر الحالات يقوم القاضي بإعادة التحقيق مع المعتقلين ليلصق بهم التهم التي يريدها، خاصة إذا كان السجين عسكرياً، أو له علاقة بأحد المجاهدين . وبالطبع فلا حاجة للأدلة هنا، لأن التحقيق لا يهدف إلى كشف المزيد من المعلومات، واعتقال المزيد من الناس، كما هو الحال في فروع المخابرات، إنما يكفي اعتراف الشخص أنه منظم، أو أنه فعل كيت وكيت، ويوقع على ذلك، وينتهي كل شيء . فهدف التحقيق إدانة

الشخص، ليرسل إلى حبل المشنقة. وذكر لي الأخوة قول القاضي له: (أريد أن آخذ منك كلمتين لأعدمك بعد ذلك).

ومن الأشخاص الذين يتعرضون للتعذيب الشديد ولفترة طويلة : العسكريون (ضباط الجيش) والمجاهدون، والذين لهم دور قيادي كالمسؤول عن عدة أسر، أو المراسل الذي يعرف عدداً كبيراً من الناس. وبالعكس، فقد يكون الشخص ليس له أي دور، ولا يعرف شيئاً، ويصر على النفي بإجاباته، فيظن المحققون أنه يكذب، فيستمرون في تعذيبه، فيقع التضليل بالتحقيق (أي يعترف الضحية اعترافات كاذبة).

وتحتفظ أجهزة المخابرات بالأشخاص الذين وقعوا ضحية لاعترافات كاذبة في أغلب الأحيان، خاصة إذا كانوا عسكريين، وأذكر أحد الطيارين من بلدة القريتين في محافظة حمص، قد أورد اسمه عسكري آخر بنفس الطريقة، وعندما وصل إلى المحكمة الميدانية، أصر على النفي، فما كان من القاضي إلا أن أمر زبانيته بضربه حتى الموت، فضربوه بالعصا الغليظة حتى قضوا عليه تماماً، وذلك في أوائل عام 1981.

التهم الموجهة للمعتقلين:

يعتبر سجن تدمر وقفاً على الإخوان المسلمين، فغالبية نزلائه منهم، إما لارتباطهم المباشر، أو غير المباشر بالجماعة، سواء كانوا أعضاء، أو ممن تعاونوا معهم، أو شاركوا بأعمال ضد السلطة في تلك الأثناء. وحتى الرهائن والشهود أرسلوا لذلك السجن، وبالتالي فالتهم الموجهة للمعتقلين هي:

1- الانتساب لجماعة الإخوان المسلمين (الفرع السياسي). وهنا يميز الشخص العادي عن الذي له دور ما، كالمسؤول عن أسرة واحدة أو أكثر، والمراسلين، والذين قاموا بنشاطات دعوية، كإلقاء الدروس العامة بالمساجد.

2- التنظيم المسلح: (الطليعة المقاتلة) سواء أشارك السجين بأي نشاط أو لم يقم بأي عمل.

3-الأشخاص الذين يحضرون دروساً في حفظ القرآن وتفسيره في المساجد، خاصة إذا كان الذي يلقي الدروس من الإخوان المسلمين، كالشيخ محمد علي مشعل بحمص . واشتهر المجرم غازي كنعان باعتقال أعداد كبيرة من الأشخاص بهذه التهمة، حتى أنه اعتقل الذين حضروا في السنوات الماضية، ثم انقطعوا، وربما لم يحضر بعضهم سوى مرة واحدة، لأنه (غازي كنعان) يعتبر حضور الدروس العام في المسجد مرحلة أولى للتنظيم (مرحلة الأسرة المفتوحة) لذلك يكفي اعتراف الشخص بأنه حضر درساً أو عدة دروس بالمسجد، لتوجه إليه تهمة التنظيم وعدد هؤلاء المعتقلين كبيراً جداً، ويشكلون 80% من معتقلي مدينة حمص . أما في المدن الأخرى، وخاصة دمشق وحلب، ففروع المخابرات لم تعتقل هذه الفئة (بشكل عام) لاعتقادهم أن ذلك سيجرهم لاعتقال أعداد كبيرة من الناس دون طائل.

4- المتهمون بتقديم أي شكل من أشكال الدعم المادي أو المعنوي للتنظيم، كإيواء الملاحقين، أو جمع التبرعات لهم، أو مساعدة أسر المعتقلين والشهداء، أو توزيع أو طبع المنشورات... الخ.

5- الأشخاص المشتبه بعلاقتهم بالتنظيم، لعلاقتهم الشخصية بأفراد منه، كأن يكون الشخص بطريق الصدفة عند أحد أفراد التنظيم أثناء اعتقاله، أو يرد اسمه أثناء التحقيق بطريقة ما، دون أن توجه له أي تهمة، أو العثور على اسمه مع أحد أفراد التنظيم، أو ببيته، وكذلك الأشخاص المعتقلون بسبب تشابه الأسماء.

6- الأشخاص الذين قاموا بأعمال أدت لفائدة التنظيم، أو أحد أفراده، أو سهلت لهم مهمتهم دون أن يقصد هذا (مساعدة التنظيم) كأن يكون الشخص قد أجر مسكنه لأحد أفراد الجماعة، أو باع بيتاً أو أرضاً أو سيارة، وقامت أجهزة الأمن بإذاعة قرار حكومي، ينص على وجوب مراجعة دوائر الأمن عند بيع أو تأجير البيوت، وملء أوراق خاصة تسلم لمراكز الشرطة بنفس الحي . وقد يكون الشخص أصلح سيارة معطلة، أو قام بتوصيل أحد الناس بسيارته دون أن يعرفه، أو عالج أحد المرضى أو المصابين، أو كتب عقد زواج لشخص ما، فهذه الفئة تضم عدداً لا حصر له من

التهم.

7- المشاركون في أعمال الانتفاضة ضد السلطة التي عمت جميع أرجاء البلاد في عامي 1979- 1980 خاصة في مدينتي حلب وحماة، أو الذين حرضوا عليها بالخطب وطبع المنشورات والبيانات وتوزيعها. وكانت العبارة المستعملة لدى السلطة، هي المشاركة أو التحريض على أعمال الشغب.

8-الأشخاص الذين تكتموا على أية معلومات تتعلق بالتنظيم، كمفاتحة أحد أفراده بالانتساب للجماعة، أو حصل على منشور من شخص يعرفه، أو سمع كلاماً يتعلق بذلك وتكتم عليه، أو سمع أحد الأشخاص يشتم السلطة وتكتم عليه، حتى الذين قرؤوا المنشورات كالنذير والنصر والمجاهد وغيرها من المنشورات التي وزعت في تلك الفترة، يعتبرون من هذه الفئة، إذ على الشخص أن يعلم أجهزة الأم ن بكل ما يقع تحت يديه وسمعه وبصره من أمور تتعلق بأمن النظام، حتى يعتبر مواطناً صالحاً . وبتعبير أصح على كل مواطن أن يكون عميلاً ومخبراً للسلطة، وإلا فهو عدو خائن للنظام البوليسي الفاشي الطائفي.

9- الرهائن والشهود: وهم أقارب الملاحقين، سواء أكانوا من المجاهد ين أم لا، وتعتقل السلطة الرهائن من أجل الضغط على الملاحقين لتسليم أنفسهم، ليتجنبوا القيام بأية أعمال جهادية، حرصاً على سلامة أقاربهم. وكلما كانت التهمة الموجهة للملاحق كبيرة، يزداد طرداً عدد الرهائن، فمثلاً قامت المخابرات العسكرية في حلب باعتقال 13 شخصاً من أقارب الشهيد النقيب إبراهيم اليوسف، واعتقل المجرم غازي كنعان 5 أشخاص من عائلة علواني من أقارب المجاهد أكرم علواني . أما الشهود فهم الأشخاص الذين شهدوا حادثاً ما، أو يعتقد بأن لديهم معلومات يمكن الاستفادة منها، دون أن يكون لهم أي دور أو أية (نوايا) ضد السلطة، مثال ذلك، عند اعتقال أحد ضباط الجيش، تعتقل المخابرات حاجبه وسائقه ومرافقه لاستجوابهم والاستفادة مما لديهم من معلومات، كأسماء الأشخاص الذين يترددون على ذلك الضابط . والأمر كذلك بالنسبة للأشخاص الذين شاهدوا عملية للمجاهدين بحكم وجودهم في مكان

العملية، فيعتقلون للاستفادة مما لديهم من معلومات، ويودعون السجن لاعتبارات أمنية، حتى لا تخرج أخبار السجن للخارج (راجع فصل الاعتقال التعسفي).

10-قدماء منتسبي الحركة الإسلامية، ممن كانوا منتسبين للدعوة في الماضي، ولم تعد لهم أية صلة منذ زمن بعيد . فقد اعتقل المجرم غازي كنعان المنتسبين للجماعة بعقد الخمسينات، والذين انقطعت صلتهم منذ ثلاثين عاماً، وصار بعضهم أعضاء في حزب البعث، كما حصل مع أحد الأشخاص من عائلة صافي، والذي ترك الجماعة منذ عقد الستينيات، وانتسب لحزب البعث بعدها، ورغم ذلك، فلم يشفع له انتسابه لحزب السلطة، وولاؤه لها عند غازي كنعان، فلا مكان (للتوبة) و(التراجع عن الخطأ) عند الجلادين، كما تم اعتقال كل من سبق اعتقاله في السنوات الماضية، بتهمة حزب التحرير وبعض هؤلاء لم يواجه أي تحقيق، إنما أخذوا مباشرة إلى سجن تدمر.

الأحكام الصادرة عن المحاكم الميدانية:

1- الحكم بالإعدام:

نص القانون 49 بإعدام كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين، على أن يطبق القانون بصورة رجعية (أي على جميع المنتسبين قبل إصداره) واختلف تطبيقه بين فترة وأخرى، ففي النصف الأخير من عام 1980 وبعد المجزرة الكبرى في سجن تدمر، كان حكم الإعدام هو القاعدة العام ة، وما عداه من أحكام هي استثناءات أو شواذ. وحكم بالإعدام على كل منتسب للجماعة حتى تاريخ اعتقاله، سواء كان في التنظيم السياسي أو المسلح، وسواء أكان شخصاً عادياً أم مسؤولاً. كما طبق القانون أيضاً على الأشخاص الذين اعتقلوا في السنوات السابقة للأحداث أي قبل عا م 1979 وبالتحديد منذ عام 1975 إذ اعتقلت المخابرات العسكرية عدداً كبيراً من الأشخاص بعد اعتقال الشيخ مروان حديد وإخوانه في ذلك العام، ولم يتم الإفراج عنهم مع الذين أخلي سبيلهم عام 1980 ونقلوا إلى تدمر بعد المجزرة، ومنه إلى المحكمة الميدانية

في حمص، ليحكم على أكثرهم بالإعدام. وأما في عام 1982 وما بعده، فقد اقتصر حكم الإعدام على أعضاء التنظيم المسلح، وعلى كل من له علاقة به، كالذين قدموا مساعدات مادية، أو قاموا بتهريب الأسلحة، أو حيازتها، وإيواء الملاحقين، وعلى مسؤولي التنظيم السياسي فقط، كالمسؤول عن أسرة أو أك ثر، أو المراسلين والعسكريين.. وطبق أيضاً على الأشخاص الذين نظموا أثناء الأحداث، لأن ذلك يدل على عدائهم للنظام، وسوء نيتهم، أي أن لديهم نوايا للقيام بأعمال مضادة للنظام (حسب تعبير الطغاة).

والفئة الثانية من المعتقلين الذين حكم عليهم بالإعدام، هم الأشخاص الذ ين شاركوا في المظاهرات وأعمال التمرد على السلطة التي عمّت البلاد عامي 1979 – 1980 والتي سمتها العصابة الحاكمة أعمال الشغب . وقد اشتهرت بعض فروع المخابرات بتلفيق تلك التهم، وذلك عندما يجد المحققون أنفسهم عاجزين عن إلصاق تهمة التنظيم بأحد المعتقلين، فإنهم كانوا يرمونهم بهذه التهمة، لأن تهمة التنظيم لها ما بعدها، أما هذه التهمة فلا تحتاج إلى دليل أو شهود أو تفاصيل أو أي تحليل للدوافع، فقط يكفي أن يكتب المحقق في المحضر جملة (شارك بأعمال الشغب بمدينة كذا ..) ليلقى المعتقل حتفه، وهذه بعض الحقائق شاهدة على ذلك:

1- **مالك الحكيم:** سماه المعتقلون بمالك الحزين بعدما عرفوا قصته، ويلقب بمدينة اللاذقية بـــــ(شطي) يعمل بالبحر صياداً للأسماك، اعتقل أوائل عام 1980 وهو من أبعد الناس عن السياسة وفعالياتها، وأخلي سبيله بعد مدة، ومن سوء حظه أنه كان يحمل مبلغ 3000 ليرة سورية أثناء اعتقاله، وصودرت تلك الأموال مع بقية أغراضه قبل دخوله قسم التحقيق، وعندما أخلي سبيله لم يسترجع أمواله المصادرة، لأنه لم يفكر بها، لفرحته بالخلاص من السجن الذي غطى على ما سواه، فالحرية والخلاص من الأسر والإهانة أعز على الإنسان مما سواها، وبعد مدة تزوج فاحتاج للما ل، فنصحه بعض أصدقائه بالعودة إلى فرع المخابرات يطالبهم بأمواله المؤمنة لديهم منذ اعتقاله، كيف لا وهو بريء وأخلي سبيله على هذا الأساس، ورد له اعتباره، فليس

لهم الحق بمصادرة أمواله، عاد مالك الحزين إلى فرع المخابرات يسأل عن أمواله، فأحيل للضابط المسؤول، وراح يناقشه في الأمر، والضابط يصر على أنهم لم يصادروا منه شيئاً، وأنهم أعادوا إليه جميع أغراضه، لم يكترث ذلك المسكين لأقواله، وظل يؤكد على حقه، فما كان من ذلك المجرم إلا أن قال له : (انتظر قليلاً .. هلق منجيب لك مصاريك) ونادى كلابه وقال لهم: خذوا هذا الحقير إلى التحقيق، وهناك وقعت الطامة الكبرى!!

قام الزبانية بجره لغرفة التعذيب، وجردوه من ملابسه، ثم وضعوه في الدولاب وراحوا يجلدونه وهو يصرخ ويستغيث، وجاء الضابط ولفق له تهمة المشاركة بأعمال الشغب، وأنه شارك في إحدى المظاهرات، وكان يحمل مسدساً وقنابل يدوية.. وأطلق عدة طلقات في الهواء، دون أن يكون له أية علاقة بذلك، ودون أي دليل .. وكتب ذلك المجرم بمحضر التحقيق: أن مالك الحكيم قد رمى مسدسه والقنابل في البحر!؟؟ ثم أرسل ذلك المسكين بعد ذلك إلى كفر سوسة في دمشق، وأحيل منها إلى تدمر، ليحكم عليه بالإعدام بتهمة المشاركة بأعمال الشغب.

2- **عبد الكريم النايف:** كان يعمل إماماً بمسجد الأنصار في بلدة جسر الشغور بمحافظة إدلب. اعتقلته الوحدات الخاصة في شهر آذار من عام 1980 عند اقتحام البلدة بسبب الانتفاضة الشعبية العارمة، تعرض للتعذيب الشديد حتى أشرف على الموت، فنقل للمستشفى العسكري بإدلب للمعالجة، وعندما تماثل للشفاء أرسل إلى فرع المخابرات العسكرية للتحقيق معه، وأعيد تعذيبه ثانية، ولم يكن لدى المحققين أية أدلة ضده، سوى تقارير المخبرين، ولم يعترف بالتهم الموجهة إليه، لكنهم لفقوا له تهمة التحريض على أعمال الشغب، والمشاركة بها، ونقل إلى سجن تدمر في نهاية عام 1980 وحكمت عليه المحكمة الميدانية بالإعدام منتصف عام 1981.

3- **عبد الكريم شخيص:** من مدينة اللاذقية، وكان مجنداً بسرايا الدفاع أثناء اعتقاله في بداية عام 1981 إذ وردت ضده تقارير، مفادها أنه قتل أحد أعوان السلطة، وفجّر مؤسسة استهلاكية.. تولت مخابرات سرايا الدفاع التحقيق معه، فعُذّب بصورة

وحشية، وتقطعت بعض أصابع رجليه نتيجة ذلك، فاضطر للاعتراف بالتهم الموجهة إليه.. فنقل إلى فرع أمن الدولة في اللاذقية، وتبيّن للفرع أن اعترافاته كانت (مضللة) فقد تمكنوا من كشف الفاعلين الحقيقيين، ومع ذلك لفقوا له تهمة المشاركة بأعمال الشغب، وأحيل إلى كفر سوسة، لينقل بعدها إلى سجن تدمر، فيحكم عليه بالإعدام في عام 1982.

هكذا كانت تهمة المشاركة بأعمال الشغب أو التحريض عليها من التهم المطاطة التي يسهل إلصاقها بالمتهم عند العجز عن إدانته بتهمة محددة، وكانت نسبة المعتقلين الذين يحكمون بالإعدام في بعض المحافظات كإدلب تصل إلى 80% من المجموع الكلي، بسبب هذه التهمة اللعينة التي يسهل إلصاقها بأي إنسان. ورب كلمة في حالة الغضب فسّرت على أنها تحريض على الشغب.

وكان القاضي يفصح للمعتقل عن الحكم الذي أصدره بحقه، كأن يقول له : (إعدام) أو (والله لأعدمك يا ع.. ر..ص) أو (بدنا نعلقك أو بدنا نصفيك أو يشير على رقبته أي سنقطع رقبتك) وقد لا يتكلم شيئاً إنما يكتفي بأن يقول للمعتقل: (انقلع) عند انتهاء المحكمة.

وبالنسبة لكلمة إعدام، تستعمل بكثرة أثناء المحاكمات، حتى للأشخاص الذين لم يحكموا بالإعدام، واستعملت لأشخاص حكموا بالبراءة، وذلك حسب حدة مزاج القاضي، إما لإعادة التحقيق مع بعض المعتقلين، أو عندما يكون لآخرين تهم كبيرة، فيحتدّ مزاجه بعد قراءة الإضبارة، فيحكم عليهم بالإعدام، ثم يوصي كلابه ليوقعوا بهم أشد الأذى بعد المحكمة، كما يصبحون معروفين لدى زبانية السجن الذين يخصونهم بتعذيب إضافي في كل مناسبة، لذلك كان القاضي يصاب بالجنون ويفقد صوابه فلا يلفظ إلا كلمات فاجرة مع جميع المعتقلين أياً كانت تهمهم، والحكم الذي صدر ضدهم، لذا يظل أكثر المعتقلين لا يعرفون بالضبط الأحكام الصادرة بحقهم.

2- الحكم بالسجن 15 عاماً وحتى المؤبد:

ويحكم به كل من لهم علاقة سابقة بالتنظيم، أو يحضرون دروس حفظ وتفسير

القرآن في المساجد، وتعتبر هذه المرحلة (مرحلة الحلقة المفتوحة) أولى مراحل التنظيم، فالشخص لديه رغبة في الانتساب، وهو مؤهل له، وأيضاً بالنسبة لمن انسحبوا من التنظيم حسب القانون 49 ولكنهم قاموا بدور ما قبل انسحابهم، كالمراسلين أو المسؤولين عن أسرة أو عدة أسر.

3-الحكم بالسجن لمدة عامين فما فوق:

للأشخاص الذين تكتموا على أية معلومات تتعلق بالإخوان المسلمين، أو بأمن الدولة (حسب تعبير الطغمة) وحتى لو تكتم الشخص على آخر ش تم السلطة أو أجهزتها القمعية، أو تكلم ضد النظام، ويعتبر المجرمون قراءة مجلة النذير وغيرها من النشرات المعادية للسلطة كتماً للمعلومات كما ذكرنا سابقاً.

4- الحكم بالبراءة مع وقف التنفيذ:

على الذين لم يثبت التحقيق إدانتهم بأي اتهام، كالرهائن والشهود، أو الذين اعتقلوا اعتباطياً، كمن أوقفوا بسبب تشابه الأسماء، ولم تثبت إدانتهم، أو الذين انسحبوا من التنظيم حسب القانون 49 ولم يكن لهم أي دور يذكر قبل انسحابهم، سوى حضور الدروس بالمساجد، أو الذين كانت لهم علاقات سابقة بالتنظيم (بعقد السبعينات) ثم انسحبوا حسب القانون 49، والأشخاص الذين تركوا التنظيم في عقد الخمسينيات، ومن قام بعمل معتاد فحصلت منه فائدة للتنظيم، كأن يكون باع بيتاً لأحد الناس، وهذا بدوره استعمله لإيواء الملاحقين، أو باع سيارة لشخص ما استعملها لأغراض التنظيم، أو باع أرضاً، أو قام بتوصيل أحد الناس بسيارته، أو صلح سيارة، وحتى أن بعضهم كتب عقد زواج لأحد أفراد الجماعة، فهذه الفئة لا يمكن حصرها، فالمخابرات كانت تعتقل كل من قام بعملٍ من ذلك، حتى أن المجرم غازي كنعان قال أكثر من مرة: إنه سيعتقل حتى الذين يلقون السلام على الإخوان المسلمين. وقد اعتقل فعلاً أشخاصاً بتهم مشابهة لذلك، فحصد بمناجل حقده الطائفي الذين سكنوا أثناء فترة دراستهم الجامعية مع زملاء لهم علاقة بالإخوان المسلمين، ولعل من أكثر الفصول

ظلماً لهذه الفئة من الناس، والذين تبلغ نسبتهم حوالي ثلث المعتقلين، ويجب ألا يدخلوا السجن بتاتاً، وإذا دخلوا بقصد التحقيق والاستفادة مما لديهم من معلومات، وثبتت براءتهم، فالمفروض إخلاء سبيلهم، وإن تعذر ذلك لاعتبارات أمنية، فيفترض حجزهم في سجون مدنيّة لا يتعرضون فيها لأية إهانة، ويسمح لذويهم بزيارتهم، ويعاملون كغيرهم من السجناء في جميع بلاد الدنيا، حتى تسمح الظروف الأمنية بإخلاء سبيلهم، ولكن الذي حصل، هو أن هؤلاء الأشخاص، ورغم براءتهم الواضحة في أكثر الأحيان، ومنذ اللحظات الأولى لاعتقالهم، فإنهم رحلوا إلى سجن الموت بتدمر، وتعرضوا لأسوأ أنواع المعاملات، واستشهد بعضهم تحت التعذيب، وهذه بعض نماذجهم:

1-**حسن شغيل:** ذهب لزيارة أخته في بيتها، فحضرت دورية المخابرات لاعتقال صهره، فخرج لاستقبالهم، فسألوه عن صهره، فقال لهم: غير موجود ودعاهم لداخل المنزل، فسأله رئيس الدورية بعض الأسئلة، ودقق في هويته، ثم قال له تفضل معنا للفرع ربع ساعة، تعود بعدها للبيت!! فذهب معهم. وهناك في فرع المخابرات (عند غازي كنعان) لم يتعرض لشيء، لأنه ينتمي لأحد أجنحة الناصريين الموالين للسلطة. وأرسل فرع الحزب في حمص توصية به، ثم تعرّض لتحقيق لين، فسئل عدة أسئلة فقط، ونقل بعدها إلى سجن البولوني في حمص، ومنه إلى تدمر أوائل عام 1981 فتعرض لحفلة استقبال رهيبة. وكان الرقيب فيصل رئيساً للدورية المناوبة، فضربه بالعصا الغليظة على صدره وبطنه وظهره، مما أدى لكسور عديدة بعظام القفص الصدري، مع نزيف داخلي، نتيجة لتمزق الأحشاء (الكبد والطحال كما ذكر الأخوة الأطباء يومها) وبعد فترة قصيرة من إدخاله محمولاً إلى المهجع الرابع في ال باحة الثانية، قرع باب المهجع، ليعلن رئيسه وفاة ذلك السجين، وبعد فترة وجيزة أخرى قرع الباب ثانية بسبب وفاة شخص آخر من عائلة صافي بحمص، ومن نفس الدفعة، ولنفس السبب السابق، فحضر مدير السجن (الرائد فيصل غانم) واكتفى بتوجيه بضع كلمات قاسية للرقيب فيصل وانتهى كل شيء.

وكما ذكرت سابقاً، كانت أجهزة الأمن حريصة على أرواح المعتقلين لاعتبارات أمنية (بهدف الاستفادة مما لديهم من معلومات قد تكشفها الأيام) وهذا أمر يعرفه مدير السجن، أما الجرذان الصغار أمثال الرقيب فيصل وغيره، فلا يفهمون هذه الأمور، ويتصرفون بدافع حقدهم فقط.

2- **الحاج هاشم الحبال:** وقد تعرضتُ لقصته سابقاً، وقد حكمته المحكمة الميدانية بالبراءة، ومع ذلك فقد مات نتيجة للتعذيب والإهمال.

3- **عبد المهيمن شعار:** من مدينة حمص، اعتقل عام 1980 وكان عمره آنذاك 18 عاماً. لم تكن له أية تهمة سوى حضور دروس القرآن بالمسجد، وهو مصاب بأمراض عديدة، منها تشوهات بالعمود الفقري، والقدمين، ومرض السكري، إذ لا يقوى على الوقوف مدة طويلة، ولا يقوى على الركض، فهو بحكم العاجز . ومع ذلك، فقد أرسله المجرم غازي كنعان إلى سجن تدمر، وتوفي في بداية عام 1986 نتيجة للإهمال وسوء المعاملة.

واعتاد القاضي تلخيص إفادة المعتقل في بضع كلمات، أو عدة جمل، يحدد بها التهمة التي تعتبر بمثابة حيثيات للحكم الذي سيصدره، ثم يكتب الحكم، وهو مقرر سلفا من قبل دوائر المخابرات، لأن ملفات المعتقلين ترفع إلى ما يسمى باللجنة الأمنية العليا (التي تضم رؤساء شعب المخابرات المختلفة) لوضع الأحكام، خاصة حكم الإعدام، ويعرض المعتقلون بعدها على المحكمة الصورية التي تحدثنا عنها لإصدار العقوبات المختلفة، وأما أحكام الإعدام فتجمع في قوائم مقرونة بأسماء المحكومين، وترسل للصنم الكبير، ليوقع عليها، فتصبح سارية المفعول، ثم تحضر لجنة من المحك مة الميدانية إلى السجن، للإشراف على تنفيذها، هذا وقبل التحدث عن عمليات الإعدام تلك، لابد لي من كلمة أخيرة حول أحكام تلك المحاكم.

الأحكام التعسفية المثيرة للسخرية:

تحدثنا سابقاً عن تلفيق فروع المخابرات التهم للمعتقلين، كتهمة الشغب . والأمر

لم ينته عند هذا الحد، فالمحاكم الميدانية تلفق التهم للسجناء، بغية إنزال أشد العقوبات بهم. وإذا لم يتمكنوا من تلفيق التهم بالصورة التي تحدثنا عنها سابقا، فإنهم ابتدعوا تهمة أسموها العداء للاشتراكية أي كره الاشتراكية؟؟ !! يا للسخرية؟ هل يوجد بلد في العالم يحاسب الإنسان على مشاعره؟ ومثال آخر على الأحكام المثيرة للسخرية، قضية الأخ المرحوم أحمد غنوم، كان عميداً بالجيش اعتقل عام 1980 لأن أحد إخوانه من المجاهدين ويدعى محمود جربان، وقد ادعت المخابرات العسكرية وقتها أنهم وجدوا اسمه مع المرحوم حسني عابو، والتهمة باطلة لأن المرحوم حسني عابو اعتقل من قبل المخابرات العامة، ومن المعروف أن كل شعبة مخابرات تعمل بصورة مستقلة عن غيرها وضمن جميع قطاعات الشعب (أي بين الجيش والمدنيين) وكل فرع يتولى التحقيق بالقضايا التي تتناهى إليه واعتقال المتهمين والمشبوهين أيا كانوا مع التنافس الشديد بين تلك الأجهزة الأخطبوطية لإثبات وجودها، عُرض الأخ المذكور على المحكمة الميدانية في سجن المزة فحكم بالسجن المؤبد أما حيثيات الحكم فكانت كما يلي: يشتبه بانتمائه لعصابة الإخوان المسلمين لأن شقيقه المجرم (محمود جربان) من عصابة الإجرام (من المجاهدين) عثر على اسمه مع ا لمجرم حسني عابو، فسخر منهم المرحوم أحمد غنوم وسألهم هل يوجد بلد في العالم يصدر حكماً على أي متهم لمجرد الشك؟ افعلوا ما بدا لكم. والأمثلة على ذلك كثيرة. وهذا هو شأن الظالمين في كل زمان ومكان، ولكن القرامطة الجدد قد تفوقوا على غيرهم من الطغاة.

عمليات الإعدام بسجن تدمر:

وتتم بعد حوالي شهر ونصف من صدور الحكم بحق المتهم، إذ يقوم الجلادون بعد منتصف الليل، أو في الصباح الباكر غالباً، وأحياناً بوضح النهار، يقوم الجلادون بقراءة أسماء معينة، قائلين لهم: جهزوا أنفسكم، واجمعوا جميع أغراضكم، وأنهوا كل شيء فإنكم ستخرجون من السجن إلى مكان آخر. فيخرج السجناء إلى الباحة، لتكبل

أيديهم، وتوضع العصابات على أعينهم، ويؤخذون إلى حيث لا نعلم.

في البداية كنا نجهل عمليات الإعدام، لأننا بعيدون عن ساحة الإعدام، نعيش المجهول فكل ما حولنا طلاسم ومعميات، كما اعتدنا تفسير كل شيء بصورة إيجابية لحسن نوايانا، وكمنعكس إضافي يضاف إلى ذلك، أننا اعتقلنا قبل إصدار القانون 49 ولم نعلم به إلا بعد أن قضينا عدة شهور في تدمر . وقد وصلتنا أخبار عمليات الإعدام من خلال مهجع الجرب، وعلمنا بالتفاصيل بصورة أدق بعد عمليات الفرز التي تمت بين السجناء، فمكثنا مدة طويلة مع أخوة لنا كانوا في مهاجع الباحة السادسة (حيث تتم عمليات الإعدام) فرووا لنا المأساة بكل تفاصيلها المؤلمة.

يجمع المعتقلون في غرفة الورشة الواقعة بجانب المهجع 25 ببداية الباحة السادسة من الجهة الغربية، ويقوم رئيس الدورية المناوبة بتلاوة قرار المحكمة (المرفق بقائمة الأسماء) على الضحايا، واستطاع نزلاء المهجع 25 سماع ذلك في الشهور الأخيرة من عام 1980 ويقوم الجلادون بجر السجناء واحد تلو الآخر حسب القائمة، بعد التأكد من ذاتياتهم، ليتم تعليقهم على أعواد المشانق.

كانت التكبيرات تدوي في أرجاء الباحة السادسة، واتفق بعض الشهداء مع إخوانهم داخل الزنازين على ترديد جمل معينة عند وضع أنشوطه الشنق في أعناقهم، لإبلاغهم تنفيذ عمليات الإعدام، ويختفي صوت الضحية تدريجيا، ليسلم روحه إلى بارئها.

وتشكك السجناء من حقيقة الإعدام، وخاصة نزلاء الزنازين البعيدة نسبياً عن مكان المشانق (ضمن باحة الإعدام) ولم يعرفوا حقيقة ما يجري، لأنه يتم توزيع عناصر الحراسة أثناءها على جميع النوافذ الموجودة بأسطح مهاجع الباحة، ويؤمر السجناء بالتجمع في القسم الداخلي من الزنزانة، وقد أداروا أظهرهم للأبواب حتى لا ينظر أحدهم من طرف الباب فيرى أعواد الم شانق، ولم يخل الأمر من بعض المصادفات التي أتاحت للسجناء رؤيتها، خاصة نزلاء المهجعين 25 و31 وشاهد نزلاء الباحتين الأولى والثالثة لجنة المحكمة مع المساعد وزبانيته يحملون الحبال

بأيديهم، وقائمة الأسماء، كما رأوا طبيب السجن معلقاً سماعته الطبية حول رقبته لفحص الشهداء بعد تنفيذ الحكم، للتأكد من وفاتهم، كما سمع نزلاء الباحتين المذكورتين المساعد يصرخ بزبانيته، طالباً إحضار الحبال.

بعد أن يتم إعدام الشهداء، يتقدم الطبيب ليؤكد وفاة الضحايا، وتنزل الجثث من أعواد المشانق، وتلقى على الأرض بوحشية، وتدخل سيارة نقل عسكرية من نوع زيل (يعرفها السجناء من صوتها المميز) لنقل الشهداء، فتحفر لهم أخاديد بواسطة البلدوزرات ليدفنوا بها، وبعدها يقدم المساعد (أبو جهل) الصف لرئيس اللجنة الذي حضر إلى السجن للإشراف على تنفيذ تلك الجريمة قائلاً : (نفذ الأمر سيدي اللواء...)، وتنصرف لجنة المحكمة، فيشاهدهم في طريقهم نزلاء الباحتين الثالثة والأولى، كما شاهدوهم أول مرة عند دخولهم الباحة السادسة، ويأمر المساعد زبانيته بالانصراف، فتجمع أدوات الإعدام بغرفة الورشة، ويعود الشرطة لمزاولة برنامجهم اليومي.

وأحيطت عمليات الإعدام في البداية بسرية تامة، لكنها لم تبق كذلك، فالرقيب فيصل قالها للسجناء أكثر من مرة، بأنهم خارجون للإعدام، وسبب ذلك يعود لقناعة المجرمين بأن جميع نزلاء تدمر سيساقون لأرجوحة الموت أو لاعتقادهم بأن السجناء باتوا يعرفون حقيقة الأمر فلا داعي للكتمان.

وفي النصف الثاني من عام 1982 اتخذت احتياطات مشددة لتتم العملية بسرية تامة، وفرز السجناء، ووزعوا على الزنزانات حسب أقدميتهم في السجن، ليبقى المعتقلون الجدد معزولين عن القدامى، وبعد المحاكمات تعاد عملية الفرز . وهكذا يذهب الجلادون مباشرة إلى زنزانة الأسماء المطلوبة، فلا يعلم بقية السجناء بالذين سيقوا لحبل المشنقة، وقاموا أثناء عمليات الإعدام بتكميم أفواه الضحايا، أيضاً حتى لا يخرج منهم صوت، مع اتخاذ بقية الإجراءات. ورغم ذلك تمكن السجناء من إحصاء العديد من عمليات الإعدام في تلك الفترة، ففي النصف الأول من عام 1983 أحصيت 3 عمليات.

أما الحالة العامة في السجن أيام الإعدام، فقد سيطر هدوء واجم غير مألوف على السجن، لانشغال الجلادين (بواجبهم الوطني) بإزهاق أرواح الأبرياء!!! ونتيجة لوجود لجنة المحكمة داخل السجن (39) ينشغل الجلادون بالمراسم العسكرية، كتقديم الصف، والتحية العسكرية، إضافة لذلك، لا يسمح لأحد منهم برفع صوته أثناءها حتى تنصرف اللجنة.

ويتأخر توزيع طعام الإفطار عن موعده المحدد، فلا يصل إلا قرب الظهيرة، كما يزداد الجلادون وحشية وشراسة أيضاً، لسماعهم ما يغيظهم من بعض الشهداء، حيث يردد الشهداء كثيراً التكبير مع عبارة (النصر للإسلام) ومرة وقف أحد الأخوة ويدعى عبد العزيز تجار (مهندس زراعي من بلدة دير عطية) مردداً دعاء الصحابي الشهيد خبيب بن عدي رضي الله عنه، قبل أن يقتله كفار قريش (اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحداً)، كما وقف أحد الفتيان أيضاً وهو من مدينة حمص يدعى: نصر البيك، مردداً التكبير، ثم قال لإخوانه: أخوكم نصر البيك يوحد الله (وفق اتفاق مسبق مع إخوانه لإعلامهم نبأ تنفيذ الإعدام).

ونشبت مشاجرات أكثر من مرة بين بعض الضحايا وبين الجلادين، كما حدث في يوم 1981/10/24 عندما تم إعدام دفعة مؤلفة من 22 شهيداً منهم العقيد محمد فيصل سيرجيه (من حلب) وحسان طرابيشي وعبد الوهاب حلموشي وهيثم القاضي (فلسطيني) من حمص، ومحمد حسين فخري وأمين الأصفر (من حماة) والإخوان الأخيران من نزلاء المهجع 16 بالباحة الثالثة وعند خروجهما من الزنزانة اشتبكا مع الجلادين، وكانت أرض الباحة مليئة بالأخشاب والقضبان الحديدية بسبب عملية البناء لزنزانة جديدة في تلك الباحة، وتمكنا من إصابة عدد من الشرطة بأذى، لأن الأخ محمد حسين فخري كان ضابط صف بالوحدات الخاصة، وكان الأخ أمين الأصفر شديداً قوياً، فازداد الجلادون شراسة بعدها، وبدءوا يحضرون لمامهم حاملين العصي الغليظة، تحسبا لأي طارئ. وقتل في تلك الأثناء نتيجة للتعذيب الأخ الدكتور محمد زاهد داخل (من مدينة حلب) وكان من نزلاء المهجع المزدوج (5- 6) في الباحة

الأولى، يضاف إلى ذلك وحشية سحب وجر وتعليق الشهداء، ثم دناءة وإنزال ورمي ودفن الجثث، والتي تعطي صورة حقّة عن المستوى الوضيع الذي و صله أولئك الأوباش، وخاصة ساديتهم المتزايدة، مع رؤيتهم لعمليات القتل الجماعية، فتزداد شراستهم وبطشهم لانحراف جِبلتهم وإنسانيتهم.

تواتر عمليات الإعدام:

كما هي حال جميع عمليات التنكيل التي يتعرض لها سجناء تدمر، فإن عمليات الإعدام أيضاً تخف حدتها أو تزداد تبع ا للحالة العامة في البلاد، فالسجناء ليسوا إلا رهائن بيد عدو لئيم، وصرح المجرم علي دوبا (رئيس المخابرات العسكرية) أمام بعض وجهاء اللاذقية بأن لديهم (أي المخابرات) 15 ألف رهينة (ويعني المعتقلين) لذلك كانت عمليات الإعدام على أشدها بعد مجزرة سجن تدمر وحتى نهاي ة عام 1981 لأن عمليات الاعتقال بلغت ذروتها في تلك الأثناء.

أما تواترها، فقد بلغ مرة أو مرتين أسبوعياً، وعدد الضحايا في كل مرة يتراوح بين 30–80 ضحية. ومما عرفه سجناء تدمر أنه بعد قيام المجاهدين بتنفيذ عملية جهادية، فالنظام يكثر من عمليات الإعدام، كعمل انتقامي، إضافة لسوء المعاملة مع بقية السجناء. وهكذا وجدنا شجاعة القوم ورجولتهم تظهر على السجناء الذين لا حول لهم ولا طول، وليتهم (أي زبانية نظام القرامطة) أرونا رجولتهم وشجاعتهم على العدو الإسرائيلي في جميع حروبهم التآمرية المخجلة معه، وهذا ما قاله أحد الإخوة بفوع المخابرات العسكرية في إدلب، ويدعى عبد المعين كامل للمحققين، بعدما انهالوا عليه ضرباً، علماً بأنه كان بريئاً من أية تهمة، فما كان من المحققين إلا أن لفقوا له تهمة المشاركة بأعمال الشغب، ودفعوه لسجن تدمر (لينال جزاءه العادل؟؟!!).

وبعدها خفّت وتيرة عمليات الإعدام في النصف الثاني من عام 1982 وما بعدها حتى أصبح بالإمكان عدها، لأنها صارت محدودة، عملية واحدة كل شهر أو

شهرين.

عمليات الإعدام في سجن المزة:

وتناهي لعلمي من إخوة كانوا في سجن المزة بدمشق، أن عمليات الإعدام كانت تنفذ هناك بنفس إجراءات سجن تدمر، وخلال نفس الفترة، إلا أن جهاز سجن المزة، معتاد على المحاكمات وأحكام الإعدام (بعكس سجن تدمر) لكنها لم تكن تتم في الماضي، إنما ينقل السجناء إلى سجن القلعة في دمشق لتنفيذ الحكم هناك.

وفي النصف الثاني من عام 1980 جهز الجلادون سجن المزة بالأدوات اللازمة للقتل، من أعواد ومنصات وحبال، وباشروا بتنفيذ أحكام الإعدام التي تترافق بمراسيم شكلية خاصة، فعندما تحضر اللجنة من أجل ذلك، يصرخ رئيس الدورية المناوبة، أو مدير السجن، معطياً الإيعاز العسكري قائلاً : محـــ ... ـــكـــــ..ـــمــــ...ـــة، فيصطف الجنود، ويقدم رئيس الدورية الصف لرئيس اللجنة، وبعدئذ يجمع المحكومون مصفدي الأيدي، ومعصوبي الأعين، في غرفة خاصة تسمى قفص الإتهام(40) ويقرأ أحد الجلادين قرار المحكمة الذي يستفتح ببعض الديباجات الإنشائية مثل: باسم العدالة، وباسم الوطن، قررت المحكمة الميدانية.. مع إلصاق مختلف التهم بالضحايا، كخيانة الوطن، والتآمر على الثورة والتخريب، وبموجبها يساق المعتقلون إلى أعواد المشانق المنصوبة في إحدى الباحات، ليغتالوا ظلما، وينقلوا بهمجية بالسيارات للخارج، لدفنهم في أخاديد جماعية.

وترافقت عمليات التصفية بإجراءات وحشية ضد الضحايا، ففي يوم 1979/6/29 وبعد عملية مدرسة المدفعية نفذت السلطة جريمة اغتيال الكوكبة الأولى من الشباب المسلم، وكان عددهم 15 شهيداً (مهدي علواني وإخوانه) بعد تعذيب وحشي شديد طيلة الليلة السابقة لتنفيذ الحكم، إذ أجبروهم على الوقوف طوال الليل بالزنزانات المنفردة، وتركوهم دون طعام ولا ماء، مع الضرب المبرح المستمر، والإهانة حتى الصباح. عندها ساقوهم إلى سجن القلعة لتنفيذ الحكم الجائر.

وفي منتصف عام 1976 هاجمت مجموعة مسلحة من جماعة أبي نضال

(وكان يومها عميلاً للمخابرات العراقية) فندق سمير أميس في دمشق، وألقي القبض عليهم، وأودعوا سجن المزة، وبعد تحقيق قصير، حكموا عليهم بالإعدام من خلال محكمة صورية، وتعرض أولئك الأشخاص لتعذيب شديد طوال الليل، حتى ماتوا تحت التعذيب، وتساءل سجناء المزة يومها، وهم يسمعون صراخ المعذبين : لقد حكموا عليهم بالإعدام، فلماذا التعذيب إذن؟!!! هذا حال سجن المزة، ويقدر الإخوة عدد الشهداء الذين أعدموا في سجن المزة بحوالي ألف شهيد.

عدد شهداء عمليات الإعدام بسجن تدمر:

ويقدر الإخوة نزلاء الباحة السادسة (حيث تجري عمليات الإعدام) عدد الشهداء بحوالي 1000- 1500 شهيد حتى منتصف عام 1981 وبعد ذلك خفّت حدّة عمليات الإعدام نسبياً.

ويصعب على المرء أن يضع رقماً دقيقاً لعدد الشهداء، لأن نسبة الذين حكموا بالإعدام تختلف من دفعة لأخرى، ففي بعضها تصل نسبتهم إلى 95% وفي أخرى تصل إلى 30% وأخرى لم يحكم منها أحد بالإعدام مثل الدفعات التي حوكمت في سجن المزة، ونقلوا بعدها إلى سجن تدمر . وقدر بعض الإخوة عدد الشهداء بحوالي 7- 8 آلاف وآخرون قدروا عددهم بخمسة آلاف ولكن هذه الأرقام مبالغ فيها ويمكن تقدير عدد الشهداء بحوالي ألفي شهيد حتى منتصف عام 1983 حيث أعدم القسم الأكبر منهم بالسنتين الأوليتين (1980- 1981) وبعد ذلك خفت حدة عمليات الإعدام. ولدي أسماء لمائة شخص استشهدوا على أعواد المشانق، إضافة لحوالي خمسين شخصاً أشك بأنهم قد أعدموا أيضاً.

وأما عدد الشهداء نتيجة للتعذيب والإهمال فيبلغ حوالي 50 شهيداً أذكر منهم:

1-حسن شغيل: من حماة استشهد تحت التعذيب.

2- عبد الناصر عباسي من دمشق استشهد نتيجة التعذيب..

3- زاهد داخل طبيب من حلب استشهد نتيجة التعذيب.

4-هاشم حبال من حمص استشهد نتيجة التعذيب والإهمال.
5- عز الدين أبو خريش معلم مدرسة فلسطيني من دمشق توفي بمرض الكوليرا.
6- شدهان نعمو من مدينة دمشق توفي بمرض الكوليرا.
وهكذا يصبح العدد الإجمالي لشهداء سجن تدمر حوالي ثلاثة آلاف شهيد حسب تقديري واجتهادي.

الاستثناءات من أحكام الإعدام:

استثنى الجلادون بعض الحالات من تنفيذ الإعدام وفق قانونهم الهمجي الجديد 49 ومن هذه الحالات:

1-الأحداث الذين اعتقلوا دون سن 18 عاماً وحكم عليهم بالسجن، وقيل إن بعضهم حكموا بالإعدام لبلوغهم سن الرشد عند محاكمتهم.

2- محافظة طرطوس: استثني معتقلوها من عقوبة الإعدام لأن العمليات الجهادية كانت قليلة، ولم يترتب أية خسائر بالأرواح. وأما السبب باستثناء محافظة طرطوس من تلك العقوبة، فلا أملك تفسيراً دقيقاً لذلك، إلا ما سمعته من بعض الإخوة أبناء تلك المحافظة، معللين ذلك بأن بعض أزلام النظام من أبناء المحافظة ومنهم الخدام (عبد الحليم خدام) من بلدة المرقب قرب بانياس، تمكنوا من الحصول على استثناءات من الصنم الكبير لذلك. وهناك من يعلل ذلك بأن النصيريين جبناء، ويخافون كثيرا من جيرانهم أهل السنّة المقيمين هناك، عندما تدور عليهم الدوائر، فيكون بينهم وبين جيرانهم ثارات وأحقاد، لذلك توسط بعض وجهاء القوم من النصيريين بالتعاون مع بعض وجهاء المنطقة من أهل السنّة، وتمكنوا من الحصول على الاستثناء المذكور . ويبدو أن هذا السبب فيه وجاهة، لكنه أضعف من السبب السابق، لأن مدينة اللاذقية تنطبق عليها نفس المواصفات، ومع ذلك، فالسلطة نفذت أحكام الإعدام بالكثيرين من أبنائها، رغم الخسائر البشرية القليلة بجانب السلطة، وقد يكون السببان وراء هذا الاستثناء، وقد توجد أسباب أخرى لا أعرفها.

العقوبات الإضافية:

لم تنته أحقاد باطني سورية عند محاكم التفتيش بحق المعتقلين، بل إنهم اقتدوا بأسيادهم قتلة الأنبياء، باقتراف جرائم أخرى، وتفوقوا عليهم عندما صادروا أملاك الملاحقين، والبيوت التي آووا إليها، بل أحضروا الأشخاص الذين باعوا تلك العقارات وسلبوهم الأموال التي قبضوها، رغم قانونية البيع (عن طريق السجل العقاري أو كاتب العدل ولأشخاص غير ملاحقين). والأنكى من ذلك أن الطغاة قد برعوا بحبك مسرحية ساخرة، وذلك بإحضار كاتب العدل لفرع المخابرات، ليبرم تلك الصفقة بين صاحب العقار الأصلي، وبين رئيس الفرع، بعد نهب الأموال منه . وهل يجرؤ ذلك المسكين على رفض ذلك العقد الذي أعطى صفة قانونية فوق العادة، ليرحل بعدها ذلك المغلوب على أمره إلى سجن تدمر لإتمام الصفقة!! (تعيش الثورة القرمطية ويحيا العدل النصيري) وهذا ما حصل في حمص. وبطل التمثيل في تلك المسرحية الهزلية هو المجرم غازي كنعان، أما في المدن الأخرى، فقد صودرت أملاك الملاحقين، وأملاك ذويهم. وأذكر شخصاً من مدينة حمص اسمه محمد جميل زهران، اعتقل كرهينة عن أبنائه (الشهيد عبد الرزاق زهران وعبد القادر زهران الذي تمكن من النجاة والسفر لأحد البلدان العربية المجاورة)، وعندما خرج ذلك المسكين من السجن في نهاية عام 1982 بعد أن قضى فيه قرابة ثلاث سنوات، وجد أن جميع أملاكه قد صادرها المجرم غازي كنعان، فاضطر للفرار لأحد البلدان العربية المجاورة، ليلتحق بأفراد أسرته هناك.

وقامت السلطة أيضاً بتدمير منازل بعض المعتقلين، رغم كونهم من الناس العاديين (أي ليسوا ملاحقين ولا مجاهدين ولم يستخدموا بيوتهم لإيوائهم) وهذا ما فعلته الوحدات الخاصة عند مداهمة بلدة جسر الشغور عام 1980 عندما دمرت منازل الأشخاص الذين اعتقلوا، وكان منهم الأخ الشهيد عبد الكريم النايف (الذي ذكرناه سابقاً).

أما الأشخاص الذين لم يكن في استطاعة السلطة اعتقالهم لاعتبارات كثيرة، كشهرتهم خارج سورية، مع عجز الطغاة عن تلفيق مسرحية ناجحة، فعمدت السلطة إلى نفيهم خارج البلاد، كما حصل مع الشيخ محمد عوض والشيخ جمال السيروان وبقية إخوانهما مسؤولي جامع زيد بن ثابت بدمشق. وبذلك تمكنت السلطة من حل الجماعة، والتخلص منها بطريقة هادئة.

وأما الذين أخلي سبيلهم بعد أن براءتهم المحكمة الميدانية، فأكثرهم لم يعودوا إلى وظائفهم السابقة، ولم تدفع لهم رواتبهم عن الفترة التي قضوها في السجن، رغم براءتهم، إنما خرجوا من السجن هائمين على وجوههم، بعد أن فقدوا وظائفهم، وتراكمت عليهم الديون، نتيجة لاستدانة عائلاتهم الأموال لتدبير أمور معاشهم خلال تلك الفترة السوداء، بل الأنكى من هذا كله، أن معظمهم لم يتمكن من الحصول على جوازات سفر للخروج والبحث (41) عن عمل في بلدان أخرى، أليست هذه تصرفات العدو الصهيوني مع إخواننا في الأرض المحتلة؟ بل إن القرامطة الجدد قد تفوقوا عليهم في الكثير الكثير من المظالم، حتى صارت جرائمهم يستدل بها أنصار العدو الصهيوني لتبرير جرائمه بحق أهلنا في الأرض المحتلة، وليبرهنوا من خلالها، على أن الكيان اليهودي دولة متحضرة وسط محيط من الأنظمة البربرية الفاشية.

المنامات:

من نعم الله التي منَّ بها على سجناء تدمر، الروح المعنوية العالية التي يتمتع بها أكثر السجناء، رغم ما يقاسونه من شدائد تنوء بحملها الجبال الراسيات .

والمنامات هي إحدى المكرمات التي منَّ الله بها علينا، لترفع من معنوياتنا، وتعيننا على تحمّل ما نحن فيه من البلاء . ورغم مخالفتي إخواني كثيراً في أمره ا وتفسيرها، فإنني عندما أفكر الآن في الموضوع، أجد أن المنامات كان لها دور كبير لا يستهان به في تخفيف معاناتنا وكروبنا . فالسجن يفرض على الإنسان أن يعيش ظروفاً غير عادية، فأول ما يعانيه السجين العزلة عن العالم الخارجي، والتي كانت عزلة تامة في

تدمر، وهذه تجعل الإنسان يعيش مع ذاته، مستغرقاً بالتأمل والتفكير، يسترجع الكثير من منسياته التي يستحيل على المرء تذكرها أثناء الحياة العادية، وفوق ذلك، فكلّ منّا يحمل في نفسه الكثير من الآمال والآلام، سواء العامة كانتصار المسلمين وقيام دولة الإسلام واندحار الكفر وأهله، والآمال الشخصية كالحرية والعودة للأهل والأصحاب والحياة العادية خارج أسوار السجن، يضاف إليه الخيال الخصب، وربما الطوباوية (الإفراط في المثالية والخيال) عند الكثيرين منّا، كل ذلك جعل من السجناء أسرى لكثير من الأحلام والخيالات التي لا تفارقهم لحظة واحدة، كلما هجع أحدهم للنوم، وربما كانت أحلام اليقظة جزءاً من تلك الخيالات.

كنّا نستيقظ صباحاً، وأكثرنا قد رأى أحلاماً شتى، وأكثرها يتعلق بحياتنا خارج السجن واللحظات الأولى بعد الاستيقاظ من أحرج الفترات وأكثرها ألماً، وهذا ما كنت أشعر به، إذ يصحو الإنسان من نومه بعد تلك الأحلام الجميلة، ليرى نفسه أسير واقعه المؤلم، إنه ما زال داخل السجن، حيث العذاب والقهر، وقد سيطر علينا التشاؤم والخوف. يا الله ماذا ينتظرنا في هذا اليوم؟ هل يوجد حلاقة؟ هل يوجد حمام؟ .. تنفس؟.. إلخ.. وكل مهجع يضم عدداً من الأخوة ممن اختصّوا بتفسير المنامات، يتحلق حولهم الإخوة عند الصباح، كلّ يقصّ رؤياه، وهم يصغون إليه، حتى إذا انتهى منها حاولوا تفسيرها، وربما دار جدل ونقاش حولها، وتعدى الأمر هذا الحد إلى درجة نقل الأخوة لأخبار المنامات بين المهاجع من خلال مهجع الجرب، وتضاف المنامات إلى الأخبار الأخرى، ليقوم الأخوة (أهل الرأي) بتحليلها جميعاً، وتقديم صورة وردية مع التعلق الشديد بتفسير المنامات والاستعانة بها لتحليل الأخبار مع المبالغة والخرافية بنقل الأخبار وتحليل الأخبار المختلفة، ويتعلق الأخوة كثيراً بالمنامات، ويبنون عليها مالا تحتمله، مثال على ذلك رؤية بعض الأخوة لمنامات ذات مدلول محدد، مثل أنّ الفرج لجميع المعتقلين سيكون بتاريخ كذا وكذا، أو أن النصر سيكون عند العيد الفلاني، وهكذا . وربما خيّل لبعض الأخوة أنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم كيت وكيت، وتمر الأيام المحددة، وتعقبها أيام وأسابيع

دون أن يحصل شيء، فماذا يعني ذلك؟!

كنت أتصدى لإخواني في كثير من الأحيان، قائلاً لهم : عليكم أن تميزوا بين الرؤى الحقيقية وبين الرؤى الكاذبة التي وصفها القرآن بـــ (أضغاث أحلام) وهذه الأخيرة هي أوهام وخيالات، فإن الإنسان إذا أكثر من ذكر شيء ما خيّل له ذلك الأمر، وهذا ما يسمى بالوسواس.

وأذكر أن أحد إخواننا، وكان رجلاً مسناً اعتقله الظالمون كرهينة، وكان ذا خيال خصب، فهو ينام فترة قصيرة، وربما لا تتجاوز عدة دقائق، يصحو بعد ذلك (لسبب ما كمجيء الشرطة) ليروي مناماً طويلاً تزيد مدة روايته عن أضعاف الوقت الذي نامه(42). ،حدث أثناء مجزرة حماة وما بعدها أن اشتد التعذيب على المساجين، بعد أن خفّ (نسبياً) فقام أحد الإخوة المختصين بتفسير المنامات ليقول لنا : لقد قلت لكم على من يرى منكم في منامه طعاماً أو مالاً أو ذهباً أو عرساً فلا يذكره، لأن ذلك شر، ولكنكم لم تسمعوا لكلامي .. انظروا نتيجة ذلك.. لقد اشتدّ علينا التعذيب، لأنكم ترون تلك المنامات!!

فصار ذلك الكلام مادة للتندر والسخرية عند الأخوة الذين لم يكونوا ممن يتعلق بالمنامات وتفسيرها، فراح بعضهم يسأل متفكهاً: هل عرفتم آخر الأخبار؟؟ فقيل له : ماذا؟ قال: (كل الحق على المنامات) أي أن المنامات هي المسؤولة عما نحن فيه؟ !!! وأنا لا أقصد من كلامي هذا أن أنتقص من شأن إخواني أو ألومهم على تلك المنامات وما كانت تجرّ إليه، فهذه ظاهرة عامة في العمل الإسلامي، وثغرة خطيرة ينبغي الالتفات إليها وتصحيحها، وهي أن إيماننا بالغيبيات (وهي جزء هام من عق يدتنا لا نقاش حولها) لا ينبغي أن يكون سبباً لتعطيل تفكيرنا الذي منحنا الله إياه، فنصبح خرافيين نتعلق بالأوهام، وهذا ما يريده لنا أعداؤنا، بل يجب أن تكون هناك حدود واضحة وفاصلة بين الأمور الغيبية الثابتة في الكتاب والسنة، وبين غيرها من الأمور التي تخضع للعقل والتفكير والأسباب والمسببات وسنن الله الثابتة في الكون.

السجانون والسجناء:

ومعظم السجانين في تدمر وفروع المخابرات من النصيريين الحاقدين، وبعضهم من أبناء الأقليات الطائفية الأخرى (نصارى – رافضة – إسماعيليين – دروز) ويتصرف بعضهم بحقد ولؤم، وقسم منهم غرر به م، فهم ينفذون الأوامر الصادرة إليهم، وأما الباقون فهم أعراب المنطقة الشرقية والبادية، ويسمون بالشوايا، وعددهم كبير نسبياً بين الجلادين في تدمر وسائر السجون والمعتقلات الأخرى .. واختارتهم السلطة لجهلهم وسهولة التغرير بهم، فلذلك كانوا يضربون بقسوة، إرضاءً لغرورهم وأسيادهم، أما أبناء المدن، فعددهم قليل، وهم مغلوبون على أمرهم، ينفذون الأوامر خشية أن يتعرضوا للعقوبة. وما أهون الاتهام والتلفيق.. وأسهل به سلوكاً نصيرياً..!!!

والحديث مع السجناء ممنوع، ورغم ذلك لم ينته الجنود عن الحديث معهم، فأحياناً يسأل الجلادون بعض السجناء: لماذا جئت إلى هنا؟ وسأل جلاد إعرابي سجينا مرة : ما جاء بك إلى هنا؟ فأجابه: دروس القرآن، فلم يفهم الإجابة فقال له : هل مزقت القرآن؟ فأجابه السجين: لا بل كنت أقرأ القرآن في المسجد. فسكت وبدا عليه التفكير في إجابة ذلك المعتقل.

وسوء المعاملة هي القاعدة العامة التي يعامل بها السجناء، وربما كان سببها ما يقال للجنود بأن هؤلاء السجناء قتلة مجرمون، يقتلون الأبرياء وغير ذلك مما يذاع بوسائل إعلام النظام والتلقين اليومي للجنود. ومع الأيام غيّر بعض الجنود معاملتهم بعد تبرئة ساحة الكثير من السجناء من قبل المحاكم الميدانية، والذين كانت أعدادهم ملحوظة، وأذكر أن العريف علي شعبان وشعبان حسين صارا يكفان أذاهما عمن برأتهم محاكم النظام، والذين فرز بعضهم في مهجع مستقل هو رقم 8 في باحة الحمام. وبلغ عددهم مائة شخص، وكان المساعد الأول (أبو جهل) والعريفان المذكوران مع بعض الجلادين الآخرين يكفون أذاهم عن هؤلاء السجناء، أما الرقيب فيصل والعريف فواز فلم تتغيّر معاملتهما وظلا على لؤمهما وحقدهما المتأصل في

نفوسهما الخبيثة.

السجناء والسجن:

ليس سجن تدمر كغيره من المعتقلات، ذلك أنه أعد خصيصاً لتصفية المعتقلين جسدياً بالإعدام أو نتيجة التعذيب والإهمال، ونفسياً وفكرياً بالتعذيب الجسدي والقهر النفسي. ومن دخل ذلك المكان اللعين فكأنما دخل عالماً آخر..

وفي ذلك الجو الرهيب استطاع المعتقلون تكييف أنفسهم مع تلك الأوضاع المأساوية، وأوجدوا عالماً مليئاً بالجد والنشاط والفائدة والمرح أحياناً، والغريب أن كل زنزانة في السجن كانت صورة طبق الأصل عن غيرها، وهذا ما عرفته عندما التقيت إخوة من زنزانات مختلفة، ونقل السجناء من خلال مهجع الجرب تجاربهم لبعضهم البعض ليستفاد منها، فكل مهجع في سجن تدمر هو عبارة عن مجتمع صغير منظم، فهناك رئيس المهجع وهو المسؤول أمام الجلادين، وقد يكون هو نفسه أميراً أيضاً. وقد يختار الأخوة أخاً آخر ليكون أميراً للمهجع، يطيعه الجميع بمن فيهم رئيس المهجع. وهناك لجان مختلفة لتنظيم شؤون المهجع، كلجنة الطعام التي تشرف على توزيعه، ولجنة التنظيف، ومهمتها غسل الأواني بعد الطعام، ولجنة ا لإصلاح ومهمتها إصلاح ذات البين ومنع حصول الخلافات والمشاجرات، واللجنة العلمية وتقوم بإلقاء الدروس، وأعجب تلك اللجان تلك التي أطلق عليها أخوتنا في بعض المهاجع اسم الفرقة الانتحارية، وتضم الإخوة الشباب ذوي البنية القوية، والشجاعة النادرة، ومهمتها التقدم إلى مواضع الخطر، ليفتدوا بقية إخوانهم، ويدفعوا عنهم الأذى.

كيف يقضي سجناء تدمر أوقاتهم؟

يستيقظ الجميع عند أذان الفجر، فيدخلون خلسة لدورات المياه بانتظام، لأجل الوضوء، بعد ذلك يؤدون صلاة الفجر فرادى أو جماعات، حسب وضع المهجع، وذلك باختيار الزوايا غير المكشوفة، حتى لا يراهم السجانون، ويعودون بعد ذلك

للنوم، أو يقومون بترتيب أغراضهم، فتطوى البطانيات والعوازل، وترفع عن الأرض استعداداً للطعام، وبعدها تبدأ جلسة تفسير المنامات، وربما شغل آخرون بحفظ القرآن الكريم، وراح بعضهم يتبادلون أطراف الحديث، حتى وقت الإفطار، حيث يقوم في البداية عمال البلدية بتوزيع الأواني أمام أبواب المهاجع، ويفتح الشرطة بعد ذلك الأبواب لإدخالها، وهنا يتقدم الشباب (ونعم الشباب) أعضاء الفرقة الانتحارية لإدخال الطعام، فيتحملوا نصيبهم من الضرب والإهانة، وقد يدخل الشرطة لداخل المهجع، لضرب البعض، ثم ينصرفون، وتقوم اللجنة المخصصة بتوزيع الطعام بتقسيمه على المجموعات، فقد جرى تقسيم السجناء لمجموعات، كل واحدة تضم عشرة أشخاص، تزيد أو تنقص (حسب العدد الكلي لنزلاء المهجع) وتأخذ كل مجموعة حصتها لتوزع بعد ذلك على أعضائها، ويأتي بعد ذلك دور لجنة التنظيفات بعد انتهاء الجميع من طعام الإفطار بتنظيف الأواني، بينما يقوم السجناء بتنظيف أرض المهجع من آثار الطعام على الأرض التي ينامون عليها.

وهناك شخص أو أكثر متخصص بتنظيم الدخول لدورات المياه من أجل الاستحمام وقضاء الحاجة، ويحين أوان التنفس، فيخرج السجناء لينالوا حظهم من التعذيب والإهانة، ثم يدخلون المهجع. وإذا كان موعد الحلاقة والحمام طال، مكثنا مترقبين تالين لكتاب الله، ضارعين إليه بالدعاء أن يرد عنّا كيد المجرمين.

وبالنسبة لحفظ القرآن، فإن أكثر الإخوة قد نظموا لأنفسهم برنامجاً محدداً يحفظون السور بالتتابع شفهياً ممن يحفظون، ثم يوزع الجنود الخبز وربما بعض الفواكه والحلوى إن وجدت، فيتلوه التفقد، ويتهيأ السجناء له. وكم من مرة وقفوا منتظرين فترة طويلة، متوجسين، وهنا أيضاً يتقدم الأخوة الشباب للاصطفاف بالأماكن المعرضة للخطر، تاركين الأماكن الأكثر أمناً لإخوانهم المرضى وال مسنين، ثم يوزع طعام الغداء، وإذا لم ننته من الحلاقة أو الحمام، فإننا ننتظر دورنا، وبعضنا يقرأ القرآن، أو يحفظه، وآخرون يقرؤون الأوراد والأدعية، وإذا لم يكن الأمر كذلك (أي أن دورنا بالحلاقة والحمام قد انتهى) فإننا نشعر بانفراج نسبي فالجلادون لن

يأتوا إلا عند توزيع طعام العشاء فقط، عند ذلك تبدأ النشاطات الجماعية التي تشمل دروساً يلقيها أصحاب الكفاءات، وقد تشمل أيضاً مسابقات بحفظ الأحاديث، أو بعض التمثيليات والفقرات الهادفة والمسلية.

ويحين وقت صلاة المغرب بعد غياب الشمس، وبمغيبها يستروح الناس نسيم الاطمئنان والراحة، إذا كان المهجع لا يحوي على فتحة بالسقف، تُمكّن المجرمين من رصد حركات السجناء وسكناتهم، فيقوم المعتقلون ببعض النشاطات الجماعية حتى وقت النوم.

وإذا كان المهجع يحوي فتحات علوية، فلا مجال للنشاطات الجماعية إلا على نطاق محدود جداً، مع الحيطة والحذر، حتى لا يسمع المجرمون أي صوت، فيكون ذلك مبرراً لتعذيبنا وإهانتنا. وهكذا يقضي السجناء أوقاتهم، وأهم شيء يملأ عليهم وقتهم، هو حفظ القرآن وتلاوته، وخرج بعض السجناء حافظاً لكتاب الله العزيز . وهكذا فلا مكان للشعور بالفراغ، يضاف إليه الأحاديث التي تدور بين الأخوة حول مختلف الأمور.

هذا هو البرنامج اليومي للسجناء في الأحوال العادية، وقد يطرأ عليه بعض التغييرات في بعض الحالات، فمثلاً عند وصول دفعة جديدة للمهجع، يطلب من بعض أفرادها أن يقف ويتكلم بشكل عام أمام إخوانه عما لديه من أخبار، ويقوم أحد الإخوة بالتحليل والتعليق على تلك الأخبار، وكذلك الأمر أثناء المحاكمات، أو إجراء المقابلات التلفزيونية والإذاعية مع بعض السجناء، أما بالنسبة لمهجع الجرب إذ يعود الإخوة بعد أسبوع أو أكثر يلتقون خلالها بنزلاء المهاجع الأخرى، بعد أن سمعوا منهم بعض الأخبار أو المنامات، فيتولى الإخوة أهل الدراية وذوو الخبرة والمراس تحليل الأخبار والمنامات، والتعليق عليها، وأحياناً تكون هذه التحليلات والتعليقات واقعية متزنة، ولكنها في أغلب الأحيان تحوي الكثير من المبالغة والخيال، وربما الأوهام، وعلى كل حال، فإن سجناء تدمر معزولون تماماً عن العالم الخارجي، ومحاطون بالمجهول، والظروف الصعبة، كل ذلك يجعلنا كالغرقى الذين يتعلقون

بقشة، كي ينجوا، لذلك كان أكثر الأخوة يتجهون لأهل الدراية، طالبين منهم إبداء رأيهم فيما سمعوه، ويتحفظ أصحاب الآراء المتزنة عن إبداء رأيهم، لأن المعلومات غير كافية، ولا بد ليستطيع الإنسان التحليل والتعليق من أن يرى الصورة من جميع جوانبها، ولكنهم أمام إلحاح إخوانهم، كانوا يضطرون لإبداء رأيهم، وربما تعمّد بعضهم إعطاء صورة مشجعة لرفع معنويات إخوانه.

هموم المعتقلين:

يمكن تصنيف معتقلي سجن تدمر إلى نوعين:

1- النوع الأول: وهم الذين حشروا في المحنة حشراً، أي الذين دخلوا السجن دون أن يكون قد خطر ببال أحدهم يوماً أنه سيتعرض للاعتقال كسجين سياسي . وهؤلاء هم الغالبية العظمى من السجناء، كالرهائن، والشهود، والذين اعتقلوا بسبب حضورهم دروس القرآن بالمسجد، أو بطريق الخطأ، عندما طاش عقول أركان النظام الملعون ، فصاروا كما وصفهم القرآن **(يحسبون كل صيحة عليهم)** يعتقلون الناس عشوائياً، وهكذا دخل السجن كم هائل من عباد الله المظلومين.

2- وأما النوع الثاني: فهم كل من نوى أو قام بنشاط ما، واضعين في حسابهم ما يمكن أن يتعرضوا له من سجن وتعذيب وإهانة، وحتى الشهادة فوطنوا أ نفسهم لتلك المحنة، بخلاف من لم يكن بهذا المستوى من التصور والهمة العالية، فقد أصيب باللجاجة والاستياء فلا يفكر إلا بالنجاة والعودة للحياة العادية فكانت عيونهم ترنو إلى ما وراء الأسوار، حيث الحياة الدنيا ونعيمها الزائل.

وهذا لا ينفي وجود هموم مشتركة لجميع ا لمعتقلين، والهمّ المشترك للجميع، هو التخلص من السجن وما يحويه من تعذيب وإهانة، إذ لا أحد من الناس يتمنى لنفسه المحنة، وحتى الأخوة الذين وطنوا أنفسهم لأسوأ الاحتمالات، لم يتصوروا السجن بهذا المستوى الرهيب من الظلم والوحشية، وكثير من الأخوة قرأ وسمع عن

السجون، ويعلمون أن السجين السياسي يتعرض للتعذيب والإهانة في الفترة الأولى من اعتقاله، وبالتحديد أثناء التحقيق، وأما بعده، فلا وجود للإهانة والتعذيب، مهما كانت تهمة المعتقل، إنما يبقى رهن الاعتقال، ويسمح لذويه بزيارته.

وفي السجون أجهزة راديو وكتب للمطالعة وغيرها ، والكل يعرف أن بعض المعتقلين قد كتبوا بعض كتبهم داخل السجن، كما هو حال الشيخ سعيد حوى، والشهيد سيد قطب، أما سجن الموت في تدمر، فلا شيء من هذا، إنما الموجود فقط هو التعذيب والإهانة بشتى أنواعهما، مع الموت بشتى الوسائل (الموت تحت التعذيب أو علي أعواد المشارق أو الموت البطيء) لذلك كان الهم الوحيد الذي يفكر به الجميع، هو التخلص من التعذيب والإهانة، وهذا الهم غطى على ما سواه لدى أكثر المعتقلين . ومع ذلك، فقد كان غالبية المعتقلين يتمتعون بروح معنوية عالية، يرفعون بها من معنويات إخوانهم، ويخففون عنهم الكثير من همومهم.

والهم الثاني للجميع هو الخوف من المجهول الذي يحيط بنا، فنحن لا نعرف مصيرنا، متى سيخلى سبيلنا؟ كم سنمكث في السجن؟ ما هي الأحكام التي صدرت بحق أكثرنا؟ هل سنساق لحبل المشنقة؟ أم سنبقى بالسجن؟ أم سننقل لسجن آخر؟ فنحن أشبه ما نكون بأسرى الحرب الذين لا يعرفـون مصيرهم، هل سيرفع عنا التعذيب؟ أم سنبقى على هذه الحالة؟ هل سنتعرض للتعذيب أثناء المحاكمة أم لا؟ فكل شيء حولنا مجهول ومرعب يدعو للخوف، حتى الزيارة، كنا نخاف منها، ماذا ينتظرنا في المستقبل من صنوف جديدة للتعذيب تتفتق عنها قرائح المجرمين وعبقريتهم؟!! ماذا يدور خارج أسوار السجن؟ وما تأثير ذلك علينا؟ فالكل يذكر مجزرة سجن تدمر، ويعرف أسبابها، وكلنا مقتنعون بأننا رهائن في يد عدو لئيم حاقد. وهكذا.. فكل شيء يثير علامات الاستفهام، دون أن يكون عندنا الإجابة، والخوف من إعادة التحقيق هو أكثر الأمور التي تقلق بال المعتقلين، سواء أكان ذلك في سجن تدمر أم في فرع من فروع المخابرات، إذا كشف أي جديد لم يعترف به المعتقل أثناء التحقيق سابقاً، وقد يكون هذا الأمر سخيفاً آو افتراءً من بعض المعتقلين

الجدد الذين ظنوا أخاهم قد توفي ولا ضير من إلصاق التهم به لأن ذلك هو أفضل الطرق التي لا تفيد العدو بشيء، أو يكون الافتراء من أحد المخبرين الذي كُلّف بمهمة معينة فراح يستقصي فتوصل لمعلومات تتعلق بأحد المعتقلين، وهذه أمثلة على أشخاص اعتقلوا بطريقة الخطأ وبرأتهم المحاكم الميدانية ثم أُعيدوا للتحقيق نتيجة للافتراء.

1- كتب أحد المخبرين تقريراً كاذباً حول أحد الأشخاص، زاعماً أنه من الإخوان المسلمين، فقامت المخابرات باعتقال ذلك الشخص، وباشرت التحقيق معه . وكالعادة، راحوا يعذبونه حتى يعترف، فاعترف تحت التعذيب بتلك التهمة، وتابع المحققون التعذيب والتحقيق، ليعرفوا اسم الشخص الذي نظمه، وأعضاء أسرته ال تنظيمية، فاعترف على أحد أقاربه وكان معتقلاً، وعلى عدد آخر من أقاربه على أنهم أعضاء مجموعته بالتنظيم.

قامت المخابرات بإعلام مفرزة سجن تدمر بالأمر، فتولى جهاز السجن التحقيق مع ذلك المسكين الذي تعرّض لتعذيب شديد، حتى أشرف على الموت، فاعترف بتلك التهمة (أي أنه هو الذي نظم قريبه) فأرسل لفرع المخابرات ببلده، وعندما وصل للفرع، كان قسم التحقيقات هناك قد أجرى التحريات اللازمة حول تلك القضية، فتبيّن لهم أن القضية كلها ملفقة، ولا أساس لها من الصحة، فأسقطت جميع الاعترافات، وتم إغلاق ملف القضية، وقابل رئيس الفرع ذلك الم سكين معتقل سجن تدمر، واطلع على آثار التعذيب، فجنّ جنونه، لأن جلاوزة السجن تجاوزوا صلاحياتهم، وقاموا بالتحقيق معه، وهذه حال جميع مراكز القوى بذلك النظام العفن، فكل منهم يسعى لإثبات وجوده، وأنه فعل وفعل، وله الحق أن يفعل ويفعل، وقال أيضاً: نحن الذين نحقق لا الشرطة العسكرية، ثم طلب من زبانيته إرساله إلى المستشفى للمعالجة، وعندما تماثل للشفاء أعيد إلى السجن، وبعد فصل من التعذيب أدخل الزنزانة، ليخرجوه منها بعد عدة أيام، ليتعرض لحفلة جديدة، حيث حصروه بالدولاب، وانهال عليه أربعة وحوش بالسياط، حتى سالت الدماء من قد ميه دون

جريرة أو ذنب.

2-وشخص ثان أعيد التحقيق بعد عامين من اعتقاله، بسبب تقرير كاذب من أحد المخبرين بتهمة تهريب أسلحة، نقل ذلك المسكين إلى فرع المخابرات بمدينته، وبقي مدة أربعين يوماً تحت التعذيب، دون أن تثبت بحقه تلك التهمة الباطلة . وتأكد المحققون من كذب تلك التهمة من أدلة عثروا عليها، فأعيد المعتقل ثانية للسجن، وأصيب إخوانه بالغم عندما رأوه يدخل الزنزانة، وقد تغيرت ملامحه، نتيجة التعذيب البشع في فرع المخابرات، وحفلة الاستقبال، بعدما ظنوا أنه قد أخلي سبيله لبراءته من أية تهمة.

وأما الأخوة الذين كان لهم علاقة ما، أو دور ما، فقد تعرض الكثيرون منهم لإعادة التحقيق عدة مرات عديدة، فالأخ الشيخ محمد خير زيتوني من حلب أعيد للمخابرات العامة بدمشق قبيل مجزرة سجن تدمر، وتعرض لتعذيب شديد، وعاد للسجن في بداية شهر آب من عام 1980 وقد أصيب جسمه بجروح كثيرة منعته من وضع الملابس على صدره، فكان يخرج للتنفس عاري الصدر، ليتعرض للتعذيب من قبل جلاوزة السجن في تلك الحالة السيئة، وكذلك الأخ المهندس رياض جعمور (من حماة) أعيد للتحقيق برفقة الأخ الشيخ محمد خير زيتوني، وأعيد معه للسجن بنفس الدفعة، وأعدما في يوم واحد رحمهم الله، والأخ بسام سباعي من حمص (مهندس معماري) أعيد أيضاً مرات عديدة للتحقيق، والأخ حسان طرابيشي (طالب هندسة ميكانيك من حمص) فقد تعرض لتعذيب شديد، وكلما تماثل للشفاء أعيد للتحقيق والتعذيب ثانية، حتى جأر إخوانه إلى الله، طالبين منه أن يرزقه الشهادة، ليتخلص من التعذيب، وكذلك الأخ أمين أصفر ومحمد حسين فخري من حماة، والأمثلة كثيرة لا يمكن حصرها ولا يتسع المجال لذكرها(43).

لذلك كان هذا الهم من أكثر الهموم لدى المعتقلين، والذي يحسب له الجميع ألف حساب، ويسألون الله أن يعمي أبصار المحققين عنهم، وأن يُنسي إخوانهم أسماءهم، فلا يتعرضون لها أثناء التحقيق.

وأما الهموم الأخرى، فهي كثيرة، منها التفكير بالأهل والأولاد خارج السجن **(**بالنسبة للمتزوجين**)** والتفكير بالأمهات والآباء والأخوة والأصحاب **(**لغير المتزوجين**)** ومنها القلق النفسي الناشئ عن التفريط الذي أدى لإيقاعه الأخ في براثن السلطة، وكان سبباً لإيقاع غيره، والقلق الناشئ عن الخطأ الذي ارتكب أثناء التحقيق والذي كان بالإمكان تلافيه، والحزن بسبب الوقوع في يد العدو قبل أن يتمكن الأخ من إنجاز أي عمل يستحق الذكر، فالبعض هيأ نفسه لمهمات جسيمة، ولكنه وقع واحترق قبل أن يؤدي المهمة التي نذر نفسه لها، وهذا ما عبر عنه أكثر الأخوة بأنه وقع رخيصاً بيد السلطة.

تعامل السجناء مع بعضهم:

الشدائد تظهر معادن الرجال . يقول تعالى: **(ولنبلونكم لنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)**. ومحنة سجن تدمر من أشد المحن التي تعرض لها الناس في بلدنا المنكوب، لأنها تعني الكثير من المكاره، فهناك التعذيب وآلامه، والإهانة، والخوف، والمرض والجوع والعطش، وفقدان الحرية، والبعد عن الأهل والأحباب، وفقدان الراحة.. إلخ.

هنا تظهر الحاجة ماسة لأصحاب الشجاعة والمروءة والصابرين من أهل الإيثار، فحيثما يسيطر الخوف والفزع على السجناء، يأتي دور أهل الشجاعة، ليرفعوا من معنويات إخوانهم، وليفتدوا إخوانهم عند الحاجة، وإذا سيطر الهم والحزن واليأس على بعض السجناء، تظهر الحاجة ماسة للصابرين المحتسبين المتوكلين على الله، ليذكّروا إخوانهم بهذه المعاني، فيزيلوا عنهم ما هم فيه، أو يخففوا عنهم كربتهم، وق د يبدوا هذا الكلام من الناحية النظرية سهلا، لأننا اعتدنا على تلك المعاني في حياتنا العادية، عندما يصاب أحد الناس بفاجعة، فيقوم الآخرون بمواساته، أما الوضع في سجن تدمر، فمختلف تماما، فالكرب عم الجميع، وهنا يظهر التفاوت بين الناس بتحملهم لتلك الشدائد، فمنهم من استسلم للمصيبة وراح يبكي، ويدعو الله، ويسأله

الفرج، أما أصحاب العزائم الصابرون المحتسبون، فلهم موقف آخر ... إنها رجولة من نوع فريد، وعندما تنعدم ضرورات الحياة من مأكل وملبس ومشرب ودواء وغطاء وحتى مكان النوم غير متوفر، هنالك تظهر الحاجة ماسة لأمثالهم من أ هل الإيثار الذين قال فيهم القران الكريم: **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** لقد عرفتُ معنى هذه الآية الكريمة بشكل عملي في سجن تدمر، عندما ألحت الحاجة لهم؛ فحصة السجين لا تزيد في أكثر الأحيان عن خمس حبات زيتون، أو خمس حبات عنب، أو نصف بيضة مسلوقة، وكنا نتناول وجبة الطعام دون أن نشعر بزوال ألم الجوع، فكل شيء عزيز على النفس بسبب الحرمان، فقطعة الخبز حاجة عزيزة على كل سجين، وحتى حبة الزيتون وحبة العنب وهكذا. وهنا يظهر أهل الإيثار الذين مدحهم القرآن الكريم، وما يقال عن الطعام يقال عن الضروريات الأخرى من لباس وأغطية وغيرها، وحتى الماء يشح في بعض الفترات، خاصة في فصل الصيف، فلا تزيد حصة السجين عن (750سم3) ثلاث أرباع زجاجة عادية أو أقل من ذلك في اليوم والليلة، ولعل تلك الفترة كانت من أشد الفترات على السجناء (صيف عام 1982)، وعندما تنعدم الراحة ووسائلها، فالكل قد أعياه التعب نتيجة التعذيب وظروف السجن القاسية ... هنالك تبدو الحاجة الأكيدة لأصحاب الهمم العالية، والعزيمة الصادقة، الذين يرهقون أنفسهم، ويحملونها فوق طاقتها من أجل راحة إخوانهم ... إنه نوع فريد من التضحية والإيثار التي كان يتعامل بها سجناء تدمر مع بعضهم.

الكرامات في سجن تدمر:

تحدث الأخوة في السجن كثيرا عن الكرامات، ويعنون بها المنامات ورؤية الملائكة، ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكنت أتحفظ على هذا الأمر، وخاصة عند الحديث عن المنامات، وكنت أقول لهم: إن الكرامات واضحة للعيان، فلا حاجة للخيال، ولا حاجة لنذهب بعيداً. إن العناية الإلهية تحيط بنا من كل جانب ... لقد جمع

سجن تدمر جميع أنواع المكاره والشدائد، مما جعل أكثر السجناء أشباحا وهياكل عظمية، لا تقوى أجسادهم على شيء . لقد انهارت المناعة الطبيعية ضد الأمراض، فكانت الجروح تصاب بالالتهاب والتقيح، ويحار المرء كيف اندملت تلك الجروح؟ وكيف استطاع سجناء تدمر تحمل ذلكم العذاب الرهيب؟ حتى إن الجلادين يتعجبون، ويسألوننا باستمرار: (بعدكن ما متوا يا كلاب) ويضربوننا بحقد، يريدون القضاء علينا، ولكن العناية الإلهية كانت تحيط بنا من كل جانب.

من يصدق أن أحدنا يضرب بالعصا الغليظة التي تكفي ضربة واحدة منها لتهشيم العظام، لأن الأوباش يضربوننا بها على العمود الفقري بشكل خاص، أثناء جلوس السجناء للحلاقة أو في التنفس، وربما ضربوا الساقين والفخذين وأماكن أخرى، ومع ذلك، فالسجناء لا يصابون بأذيات كبيرة، سوى بعض الرضوض، وإذا أصيب أحدهم بكسر في أحد الأعضاء، فإنه يترك دون علاج إلا من بعض المعالجات البسيطة الأولية، كربط العضو المكسور. ومع ذلك، يتعرض هذا المصاب للتعذيب والضرب باستمرار، لكنه يشفى في أغلب الحالات. وهذا أمر يكاد يكون خيالاً.

ومن يصدق أن بعض السجناء ممن أصيبوا بجروح عميقة، ونتيجة للإهمال وظروف السجن السيئة، فإن تلك الجروح تقيحت حتى فاحت منها رائحة كريهة تزكم الأنوف، وساءت حالة بعضهم حتى أشرف على الموت، نتيجة لانتشار الجراثيم بالدم، ومع ذلك، شفاه الله دون علاج.

ومن يصدق أن تنتشر الأمراض المعدية والخطيرة بين السجناء، كالتيفوئيد والكوليرا والسل والتسمم نتيجة تناول الطعام الفاسد، ومع ذلك، كانت حالات الوفاة محدودة جدا.

لقد التقيت إخوة سجنوا سابقا في سجون أخرى (سجن المزة- سجن القلعة بدمشق- والسجن المركزي بحلب وغيرها) والتقوا سجناء سياسيين من الفئات الأخرى (غير الإسلاميين) ورغم الفارق الكبير بين سجن تدمر وتلك السجون، فإن أولئك السجناء العلمانيين كانت تسيطر عليهم الكآبة والحزن ولا ينفك البعض منهم

عن البكاء ليل نهار كالأطفال، أو كالنساء، وربما شتموا قياداتهم، وتبرأوا من أحزابهم، عندما تسمح لهم الظروف، كأن يكتب أحدهم طلب استرحام لرئيس الفرع الذي اعتقله، ليرفعه للصنم الكبير، مقترحاً إخلاء سبيله، أو يقدم كتابا يعلن فيه ندمه وتوبته على انتسابه لذلك الحزب، ويعلن تخليه عن مبادئه، عسى أن يخلي سبيله.

أما هنا في سجن تدمر، فالصورة مختلفة تماماً ... صحيح أن بعض السجناء كانوا على هذه الشاكلة من وهن العزيمة، ولكن القسم الأعظم يتمتعون بمعنويات عالية، رغم كل الشدائد التي تحدثنا عنها . وهذه كرامة عظيمة من الله لأولئك السجناء.

ظلمات بعضها فوق بعض:

لقد اشتدت المحنة على سجناء تدمر عام 82 وبالتحديد أثناء مجزرة حماة (راجع فصل حمامات الدم) واشتد التعذيب مؤدياً لاستشهاد عدد من الإخوة، نتيجة ذلك، وانعدمت العناية الصحية، لانتهاء خدمة المساعد أبو رشيد (ممرض السجن) والمساعد أول أحمد كسيبي (أبو جهل) وتولى الرقيب أول فيصل جميع شؤون السجن، وكان من أشد المجرمين لؤماً وحقداً . وأما المعتقلون، فقد أنهكت أجسادهم، نتيجة معاناة سنوات السجن السابقة (عامين تقريبا) ولم تعد تقوى على شيء، وبلغت المحنة ذروتها صيف ذلك العام، إذ أضيفت محنة جديدة، هي انقطاع الماء خلال أيام الصيف، فكانت إدارة السجن تحضر صهريجاً ليوزع على جميع المعتقلين . وباع السجانون عدة غالونات بلاستيكية لكل مهجع، لتملأ بماء الشرب، ولا تزيد حصة السجين الواحد عن 4/3 لتر من الماء، أو أقل من ذلك في أغلب الأحيان . وبالطبع، توقفت الحمامات، وجميع عمليات التنظيف والغسيل . وليتصور المرء بعد ذلك : كيف أصبحت حالة المعتقلين؟.

وازداد الازدحام داخل المهاجع في تلك الفترة، فلا تزيد حصة السجين عن نصف متر مربع في أغلب المهاجع، وأصبح السجناء ينامون وقد تداخلت أجسامهم

تحت الصدر، وإذا استيقظ أحدهم وخرج لقضاء الحاجة، أو لأي أمر آخر، ثم عاد لمكانه، لا يجد مكاناً ينام فيه، فيبادر لإيقاظ إخوانه، وإبعادهم، ليأخذوا وضعا يساعده على النوم ثانية؟!

وفي ذلك العام جرى فرز السجناء، فجمع القدامى منهم الذين حوكموا بمهاجع خاصة. وهكذا ضرب علينا دون العالم الخارجي سور غليظ من الظلم والعزلة، فنحن لا ندري ما يدور خلف أسوار السجن، نتيجة عدم احتكاكنا بالمعتقلين الجدد، وأذكر أننا سمعنا خطاب المجرم حافظ أسد بمناسبة 8 آذار من ذلك العام، ولم يكن الصوت واضحا بسبب بعد مكبرات الصوت عنا، واستطعنا أن نفهم من خطابه، ترديده لكلمة حماة مرات عديدة فاستقر في أذهاننا هاجس وقوع حادث رهيب هناك، دون أن نعرف التفاصيل، كما وصل إلينا خبر الاجتياح الإسرائيلي لـلبنان بمنتصف ذلك العام، من خلال أحد الأخوة الذي حصل على زيارة من أهله . وكان لذلك الأخ التماسات ووساطات، وجلس مع أقاربه في غرفة مدير السجن، وقال له أقاربه: إن الوضع في لبنان سيء جداً.

وفي نفس العام تم تبديل العديد من الكوادر السجن (الشرطة وضباط الصف) واشتد الكرب على السجناء من كل جانب، فكان ذلك إيذاناً ببدء الفرج، وكنت أتذكر دائماً قوله تعالى: (**إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**) وأتذكر تفسير تلك الآيات الكريمات كما أتذكر قوله تعالى : (**حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا، جاءهم نصرنا، فنجي من نشاء، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**) وأتذكر قوله تعالى واصفاً حال المسلمين بغزوة الأحزاب : (**وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً**)، وحفظت شيئاً من الشعر الذي ردده الإخوة:

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن صبحك بالبلج

وبيت آخر يقول:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكنت أظنها لا تفرج

الانفراج:

إن إرسال المعتقل لسجن تدمر يعني إرساله للمقصلة. هذه هي القاعدة العامة التي تنطبق على سجناء تدمر، لذلك سمي بمركز التطهير الوطني لتصفية الإخوان المسلمين، لقد قالها المجرم غازي كنعان ذات مرة لأحد معتقليه الذي احتج على إرساله لتدمر قائلاً: ماذا فعلت حتى ترسلوني لتدمر؟ ألست بريئاً؟ ألم تعدوني بأنكم ستخلون سبيلي؟ (وكان ذلك المسكين بريئاً وقد أخلي سبيله بعد أكثر من عامين)؟ فأجابه ذلك الزنيم:

(انقلع روح لتدمر لتموت هناك كالكلب عندك بيت حقه 5 ملايين ما بتستأهله)(44). وكما ذكرت سابقاً فقد أخذ ذلك الزنيم على نفسه عهداً بأن يقطف ألفي زهرة من مدينة حمص ليزرعها بصحراء تدمر.

والموت سواء كان على أيدي الجلادين، أو بواسطة محاكم التفتيش، أو نتيجة للإهمال وسوء الأحوال العامة، كله سواء، ومع ذلك، فلكل قاعدة شواذ، والقرآن يقول: **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)**، ويقول أيضاً: **(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** فالحياة والموت بيد الله وحده.

إن عمليات الإفراج عن السجناء كانت نادرة ومحدودة في السنتين الأول بين (أي عام 1980 –1981) وأول دفعة تم الإفراج عنها كانت بمناسبة عيد الفطر عام 1980 عندما أخلي سبيل عدد محدود من المعتقلين (ربما لا يتجاوز عددهم الـــ 30 شخصاً من الذين دخلوا السجن لتوّهم .. وذلك بمناسبة صدور القانون 49 حيث تعمدت السلطة إظهار أولئك السجناء على شاشة التلفزيون معلنين براءتهم من جماعة الإخوان المسلمين، وتنديدهم بجرائمها، ليشجعوا غيرهم (ممن هم خارج السجون) على الانسحاب، فيقعوا في أيدي المجرمين، وهذا ما حصل فعلاً، علماً بأن أولئك

الأشخاص لم يكن لهم أية علاقة بالإخوان المسلمين، بل إن بعضهم كان من الر هائن، وآخرين ممن تركوا الجماعة قبل سنوات طويلة من اعتقالهم، ومع ذلك، يمكننا اعتبار هذه العملية بأنها أول عملية إفراج جماعية من سجن الموت، وبعدها توقفت الإفراجات الجماعية، واقتصرت على حالات فردية، ممن لديهم حظوة أو وساطات والتماسات لدى أزلام السلطة، وبنفس ا لوقت لم يكن لهم أية أسباب تستوجب اعتقالهم أصلاً.

ففي تشرين الثاني من عام 1980 أخلي سبيل عدد محدود من المعتقلين، وفي منتصف عام 1981 أفرج عن عدد آخر، ثم توقفت الإفراجات حتى النصف الثاني من عام 1982 وبالتحديد في شهر آب من ذلك العام، عندما أفرجت المخابرات العامة عن 67 معتقلاً من نزلاء سجن تدمر.

وتأثرت معاملة السجناء بعملية الإفراج المذكورة، فتحسنت نسبياً فخفت شدة التعذيب، بعد أن بلغت ذروتها في الأشهر الماضية، وتحسنت نفسية أكثر المعتقلين الذين استبشروا خيراً، فقال بعضهم: (بدأت الأمور بالتحلحل) يعني بالانفراج.

كان أكثر المعتقلين القدامى من الأبرياء (حسب محاكم الظالمين) وقسم منهم قد حكم مدداً قصيرة (عامين فما دون) وحتى الذين حكموا أكثر من ذلك، فإن بعضهم قد قضى في السجن مدة الحكم وزيادة، وفي شهر تشرين الثاني سنة 1982 تم الإفراج عن دفعة جديدة من معتقلي أمن الدولة والمخابرات العسكرية، ويبلغ عددهم حوالي 200 من سجن تدمر، وحوالي 100 من بقية السجون، وهي أكبر دفعة من المعتقلين تم الإفراج عنها منذ شهر آذار عام 1980 ويعتبر ذلك التاريخ نقطة تحوّل جذرية في تاريخ سجن تدمر، إذ توقف التعذيب تماماً، وبقي مقتصراً على حفلة الاستقبال (وبشكل أقل مما كان سابقاً) أو في حالة وجود شكوى ضد أحد السجناء من رئيس المهجع، أو من سجين آخر (وهذا الأمر لم يكن موجوداً سابقاً).

أما الأمور الأخرى، فبقيت على حالها، فالزيارات ما تزال ممنوعة عن أغلب السجناء (حوالي 90% من السجناء لم يحصلوا على زيارة) وإن كانت قد زادت

نسبتها قليلاً عما مضى، والممنوعات الأخرى ما تزال قائمة، فلا وجود للكتب والقرطاسية والنشرات الدورية، وأجهزة الراديو وغيرها، والطعام ما زال على حالته، والعناية الصحية ما تزال رديئة، فمرض الجرب والقمل وغيرها من الأمراض ما تزال مستشرية في جميع المهاجع، والصلاة بقيت من الممنوعات أيضاً وغيرها...

وفي منتصف عام 1983 أخلي سبيل 34 سجيناً آخر من تدمر، وفي نهاية عام 1984 أخلي سبيل عدد آخر من السجناء، ومنذ ذلك الحين تقوم السلطة بإخلاء سبيل عدد محدد من المعتقلين بين الحين والآخر(45).

وقبل أن أشرح كيف أخلي سبيلنا سأتعرض لموضوع عابر، وهو المشاكل الجديدة التي بدأت تواجه المعتقلين بعد تشرين الثاني عام 1982.

مشاكل جديدة طارئة تواجه المعتقلين:

إلى جانب الصورة المشرقة لسجناء تدمر، طرأت صورة معاكسة لها تماماً بعد عام 1982 وكانت لقليل من المعتقلين، فسجن تدمر كان مقتصراً على الإسلاميين، وهذا لا يعني بالضرورة أن جميع المعتقلين كانوا كذلك، لقد راحت أجهزة المخابرات تعتقل الناس عشوائياً، سواء أكان الشخص له صلة قرابة أو جوار أو علاقة صداقة عابرة بحكم العمل أو الدراسة أو الخدمة العسكرية، والأنكى من ذلك أن أجهزة الظلم لفقت تهماً مزيفة لكثير من الأشخاص كي تبرر اعتقالهم، فمثلاً قامت المخابرات باعتقال الكثير من المهربين بمنطقة الساحل خشية أن يقوموا بتهريب الأسلحة للإخوان المسلمين، واعتقلت المخابرات بإدلب الناس بهذه الهمجية.

والعسكريون أيضاً قامت السلطة بتلفيق التهم لكل من يشكّون بو لائه لهم .

واجتمعنا بعدد من المعتقلين ممن كانوا مدمنين على المخدرات في منطقة الساحل إذ اعتقلت السلطة جميع أصحاب السوابق الجنائية (مخدرات.. سرقة.. تهريب.. إلخ) خشية انضمامهم لمجموعة (أبو علي الجندي) الذي كان على هذه الشاكلة (من أصحاب السوابق الجنائية) واستطاع أن يجمع حوله ممن يسمون بمنطقة الساحل

(عقداً - زكرتية) ومنَّ الله عليهم بالهداية وراحوا يقاومون السلطة.

بل وجد بين سجناء تدمر بعض النصيريين، أذكر منهم شخصين : أحدهما متطوع بالوحدات الخاصة ويدعى سجيع الناصر، وهو متهم ببيع أسلحة للإخوان المسلمين، والآخر على علاقة بمجموعة من المهربين وأصحاب السوابق في منطقة الساحل، ويدعى عصام سلوم، وكان موجوداً بمهجع الأحداث، ووجد أيضاً بعض النصارى، منهم شخص من بيروت الشرقية متهم ببيع أسلحة للإخوان، وشخص آخر من لبنان وكان في المهجع 19 لم أعرف تهمته، بل وحتى سيدة نصرانية من مدينة حمص، متهمة بتأمين جواز سفر لأحد الأشخاص، مما ساعده على الفرار خارج البلاد، ومع الوقت كانت تتناقص نسبة الإسلاميين نتيجة عمليات الإعدام، وبالعكس تزداد نسبة من كانوا على هذه الشاكلة من السجناء. ولا ننكر أن الكثيرين منهم قد تابوا وأنابوا إلى الله خلال فترة سجنهم، وتغيرت أحوالهم، وصقلتهم وهذبت أخلاقهم المحنة، وظل بعضهم على حالته السابقة، وإن كان يصلي ويصوم ويحفظ القرآن، وأثناء فترة التعذيب الممتدة من منتصف عام 1980 وحتى نهاية عام 1982 كانت المحنة توحد جميع السجناء، لذلك لم يكن لحظوظ النفس أي اعتبار عند الجميع، أما الآن، وبعد زوال التعذيب، فقد تغيرت الأحوال، يضاف إلى ذلك الظروف القاسية التي تتطلب صبراً وخلقاً رفيعاً، فالازدحام الشديد داخل الزنزانات، وقلة لوازم الحياة الضرورية، وغيرها من الشدائد التي تتطلب التحلي بالصبر والتضحية والإيثار، كل ذلك أدى لكشف عيوب البعض من ضعاف النفوس، وظهرت حظوظ النفس عند البعض، كالأنانية، وحب الزعامة، وحب الشهرة، وغيرها .. وهذه أمور قد تكون عادية، لكن المخيف نسيان بعضنا بين عشية وضحاها كل ما لحق بنا من ظلم وقهر على أيدي زبانية السلطة، وكأنهم تعرضوا لعملية غسل دماغ، والجلادون ربما يقصدون ذلك، كما قال لي القاضي أثناء المحاكمة، ولكن تصرفاتهم كانت تنم عن حقد ولؤم.

ودخل السجناء مرحلة جديدة لم تكن متوقعة، فراح البعض يشي بإخوانه

لزبانية السجن دون تكليف أو دفع منهم، لأنهم أساساً لا يثقون بأي سجين مهما أظهر ولاءه لهم، كما ظهرت رعونة الآخرين الذين تسببوا بإيذاء إخوانهم، فمثلاً قال أحدهم ذات مرة للشرطة: إن فلاناً يلقي محاضرة دينية في المهجع، فكان ذلك سبباً لإيذائه، وآخر قال للجلادين: إن فلاناً قال لي عليك أن تعاملنا معاملة إخوانية، فنحن هنا إخوان.. وهكذا، وفي كل مرة كانت الوشايات تتسبب بجر الأذى لعدد من السجناء، وليت الأمر اقتصر على هذا الحد، بل هدد أحد الزبانية عندما سمع (معاملة إخوانية) بأنهم على استعداد لإعادتنا لفروع المخابرات للتحقيق معنا ثانية، وكم نصحنا إخواننا بالكف عن تلك التصرفات الرعناء، فأكثرنا دخل السجن بسبب كلمة قالها، أو قيلت أمامه، أو قيلت بحقه، فنحن سجناء سياسيون، والكلمة لها اعتبار كبير، ولكن دون جدوى، فصار لزاماً علينا أن نحترس من العدو الداخلي، ومن هو ذلك العدو؟ أنفسنا نحن، إنهم إخوة منّا، يشاركوننا آلامنا وأحزاننا منذ عدة سنوات، وكم قلت لإخواننا : إن كل واحد منّا قد قضى مع إخوانه ردحاً من الوقت، فنحن نقضي مع بعضنا 24 ساعة متواصلة، نأكل ونشرب وننام ونجلس ونتحدث ونذهب للحمام والحلاقة، ونتلقى التعذيب مع بعضنا، وهكذا، كل شيْ والله تعالى يسأل عن صحبة ساعة، كما ورد في الحديث الشريف: (والساعة مطلق من الوقت) فكيف بهذه الصحبة التي تساوي آلاف الساعات، وانقلبت الموازين فصار العدو صديقاً والأخ عدواً بين عشية وضحاها، كل ذلك جعلني أتساءل: هل نحن مزاجيون لهذا الحد؟ هل تهزمنا المظاهر فتنسينا حقائق الأمور؟ هل صحيح أن ذاكرتانا ضعيفة أو معدومة فلا نعرف إلا يومنا، وننسى الماضي القريب؟ هل يستطيع أعداؤنا تحقيق أهدافهم بسهولة؟ بل أبعد من ذلك، يستطيعون الوصول لأهداف لم يفكروا بها أصلاً؟ ما سبب ذلك؟ هل هو نفسيتنا أم انعدام الوعي عند بعضنا أم الاثنان معاً أم عوامل أخرى؟

كنت أفكر بعمق، وأكاد أتمزق من الغيظ، وأتساءل : كيف يفكر إخواننا أصحاب تلك التصرفات؟ هل وصلت بهم الحماقة إلى هذا الحد؟ وكم كنت أصارح إخواني الموثوقين، وأقع في الغيبة، عندما أصف أولئك الناس بالحماقة والرعونة؟

وكم حذرني إخواني قائلين: اتق الله يا رجل ودعك من الغيبة. وأتذكر قوله تعالى :
(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً).

الإفراج:

أ -الخروج من سجن تدمر:

رغم ظلام المحنة وانعدام الأمل بالإفراج عنا خلال السنوات الأولى (1980 - 1981 -1982) كان يتملكني شعور داخلي بأن الله سيفرج عني يوماً ما، واستقرت في نفسي ضرورة تأريخ تلك الفترة والمحنة، لتدخل تاريخ أمتنا الإسلامية المعاصر من أوسع الأبواب، ولكم قلت لإخواني معزياً عند اشتداد الكرب: لا تحزنوا، فإنكم تكتبون التاريخ، إن ما يجري معنا الآن سيدوّن يوماً ما في سجله، وستضيفه الأجيال من بعدنا إلى رصيدها الجهادي.

وما مرّت مناسبة إسلامية كعيد الفطر أو عيد الأضحى المبارك، أو أي مناسبة إجرامية أخرى كمناسبة 8 آذار أو 16 تشرين ثاني ذكرى ما يسمى بالحركة التصحيحية النصيرية إلا توقعنا الفرج، ولكن.. طال الانتظار، مما جعلني أوطّن نفسي على أن المحنة قاسية، وسنوات السجن ستطول، رغم شعوري الداخلي بأنني سأخرج يوماً ما.

ومع تباشير الانفراج، ذهبت بأخوتنا التعليقات و التلميحات كل مذهب، وتوقع أكثرنا إرهاصات فرج قريب، وتصرف أولئك الأحبة على هذا الأساس، لكنني لم أتجاوز حد التصرف المعقول، خشية أن أصاب بالإحباط، إذ تعلقت بآمال لا تتحقق بهذه المناسبة أو تلك.

ومع إخلاء سبيل بعض الأخوة، كانت أنظار البقية تتعلق بفرج قريب، ولربما كفّ بعضهم عن تناول الطعام في ذلك اليوم، أو بقي مستيقظاً طوال الليل، منتظراً

قدوم الحراس ليقرءوا اسمه، أما أنا، فكنت أتصرف بصورة عادية، لأنني ما أزال رهن الاعتقال، وأسأل الله الفرج العاجل لي ولبقية إخواني.

وأخيراً، وبعد طول انتظار، جاء الجنود بقائمة أسماء ، منها اسمي، ودّعت إخواني وخرجت من المهجع، لألتقي عدداً آخر من السجناء، جمعوا من المهاجع الأخرى، وأخذنا السجانون إلى ساحة القلم (ساحة الإدارة) وهنا فوجئنا بدورية المخابرات، مع دفعة جديدة من المعتقلين، في حفلة استقبال رهيبة في باحة التعذيب !! أوقفنا جانباً ننتظر، ونحن نسمع صراخ المعذبين، فتذكرنا يوم دخولنا هذا المكان اللعين، قبل عدة سنوات، وسألنا الله لإخواننا الفرج.

فتشنا زبانية السجن بدقة، وبنفس الطريقة عند دخولنا السجن، وأوقفونا جانباً في انتظار أن ينتهي المساعد المسؤول عن السجل من تخريجنا من السجلات، وقرأت أسماؤنا، وجاء رجال المخابرات يحملون القيود والعصابات (الطماشات) التي قتلت في نفوسنا أمل الخروج من السجن بشكل مشرف، وسيطر الغم على بعضنا، ولكنه أمراً اعتيادياً لي.

كانت القيود هذه المرة أخف من المرات السابقة، فقد ربطت يد أحد السجناء بيد سجين آخر، وبقيت الأخرى حرّة، ووضعت العصابات على وجوهنا بشكل ضاغط.

صعدنا السيارة العسكرية الخاصة بنقل السجناء، وجلسنا في داخلها، وجلس شخصان من عناصر المخابرات، (ويبدو أنهما من المجندين المغلوبين على أمرهم) خارج صندوق السيارة، على مقعدين متقابلين بمؤخرتها، وكانا في غاية اللطف ، وبدا عليهما إشفاقهما علينا، لذلك بادلناهما مشاعر الشفقة، لما نالهما من البرد أثناء تلك الرحلة، لأنهما يجلسان في مكان مكشوف في مؤخرة السيارة.

كان الجو بارداً، لأن الحرارة تنخفض ليلاً في الصحراء، قال لنا أحدهم : يمكنكم فكّ الطماشات عن عيونكم، لأنها تضغط كثيراً، ففعلنا ذلك. وبجانبي جلس شيخ عجوز، أعلمني أنه مزارع، ومنظره يثير الشفقة والتساؤل : لماذا أقدم المجرمون على

اعتقال هؤلاء المساكين الذين لا يعرفون من أمور السياسية شيئاً.

أخذ ذلك المسكين يسألني: إلى أين نحن ذاهبون؟

قلت له: من أجل إخلاء سبيلنا إن شاء الله.

قال لي: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا القيود والعصابات إذاً؟

أجبته: إننا ما نزال رهن الاعتقال، وهؤلاء (أفراد دورية المخابرات) لا يعرفون إلى أين نحن ذاهبون.

عاد فسألني بالتحديد: إلى أين ذاهبون؟

قلت له: إلى فرع المخابرات الذي اعتقلنا، وربما مكثنا هناك بعض الوقت ، ثم يخلى سبيلنا.

كان ذلك المسكين خائفاً، لأنه ظن أننا ذاهبون إلى سجن آخر، أو لإعادة التحقيق معنا، أو للإعدام، وكرر عليّ نفس الأسئلة، وحول نفس الموضوع، فأعدت شرح الإجابات السابقة.

لقد فقد أكثر السجناء القدرة على التفكير الصحيح، والتوجّه السليم، كما فقد أكثرنا أي بارقة أمل، فلا يرى الأمور إلا منظار التشاؤم، نتيجة ما لاقيناه خلال سنوات السجن، وظن بعضنا أن الذين يخرجون لإخلاء سبيلهم، إنما يؤخذون للإعدام، وظن آخرون العكس.

رحنا نتحدث عن السجن، وأسباب اعتقالنا، والمدة التي قضيناها، حتى وصلنا إلى المدينة، بعد أن عانينا الكثير نتيجة البرد والآلام التي سببتها تلك المقاعد المزعجة.

أثناء الطريق، توقف الموكب عدة مرات، لينزل رئيس الدورية مع بعض عناصره لاحتساء الخمر، ثم كانوا يتابعون السير بعد أن يكونوا قد شربوا حتى الثمالة، وعندما وصلنا إلى مدينتنا، بدأنا نشاهد الأنوار و الأبنية، فتدافعت عندها الأفكار إلى أذهاننا، واختلطت بالمشاعر المتناقضة، فنحن خائفون، لأنه عما قريب سندخل فرع المخابرات، ذلك المكان اللعين الذي لا نعلم ما ينتظرنا فيه، ونحن

متفائلون، فلدينا أمل كبير بأننا سنكون أحراراً، نسير في هذه الشوارع طلقاء.

قلت لإخواني داخل السيارة: ها نحن وصلنا إلى مدينتنا .. عليكم أن تعيدوا العصابات كما كانت، وإلا تعرضنا لما لا تحمد عقباه من زبانية الفرع.

ب -الوصول لفرع المخابرات:

أعدنا وضع العصابات قبل دخول السيارة إلى الفرع بفترة وجيزة، وسيطرت الرهبة على الجميع، هناك دعوت الله في نفسي: (اللهم إني أعوذ بك من شر هذا المكان وشر ما فيه).

أوقفت السيارة، وراح زبانية الفرع ينزلوننا منها، ليستقبلونا باللكم واللطم والرفس، فرحنا نصرخ قائلين لهم: نحن أبرياء، جئنا إلى هنا كي يفرج عنّا . فيكون جوابهم مزيداً من الضرب، مع الشتم بأقذع الألفاظ وأفجرها، فهم لا يعرفون غير ذلك **(قل كل يعمل على شاكلته، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً)**.

بعد ذلك، قام الزبانية بتفتيشنا، وأصيب بعضنا بالجروح والنزيف (من الأنف والفم) وهذه أمور اعتدنا عليها كثيراً خلال سنوات سجننا، فدعونا الله أن تكون هذه آخر مرة نضرب فيها ونهان، وبعدها نزلنا للقبو (السجن) فأدخلونا إحدى الزنزانات الفارغة، وتركونا وانصرفوا.

الساعة تقارب الثالثة بعد منتصف الليل، المكان بارد، لا وجود للبطانيات أو أية مفروشات على الأرض، فرشنا بعض ملابسنا البالية التي نحملها معنا من السجن، وحاولنا أن نرقد قليلاً بعد أن أعيانا التعب والضرب، وأنّى لنا ذلك؟

في صباح اليوم التالي أحضر لنا الزبانية عدة بطانيات، ففرشناها على الأرض، ثم أحضروا لنا طعام الإفطار، فأكلنا وحمدنا الله، وسألناه أن يقطع نصيبنا من ذلك المكان.

ج -العودة إلى التحقيق:

إن الذي يتعرض للاعتقال لأسباب سياسية، يبقى ضمن دائرة التحقيق ما دام

معتقلاً، وكلما انتهى من فصل، واجه فصلاً جديداً. وهكذا حتى يخرج من السجن، ليبدأ نوع آخر من التحري والاستقصاء. أي أن الذي اعتقل ولم تثبت إدانته بأية تهمة، فالمجرمون لا يثقون بتلك النتيجة التي توصلوا إليها، فالأصل عندهم : أن كل متهم مدان حتى يثبت العكس، وهذا لا يتحقق إلا إذا أثبت الشخص ولاءه لهم (أي إذا أثبت أنه مواطن صالح حسب تعبيرهم) وهذا لا يكون إلا إذا أصبح مخبراً لهم، عندها ترفع عنه التهمة، وإلا فهو ضمن دائرة الاتهام، وعليهم أن يجتهدوا لإيجاد أية شبهة يتمسكون بها لإيقاعه، سواء من خلال التحقيق، أو جمع المعلومات عنه من الآخرين المخبرين، أو المعتقلين الجدد.

وإذا لم يتوصلوا لأية نتيجة بجميع الطرق، فالشبهة قائمة مدى الحياة على من اعتقلوا، لتكون لهم سابقة تبرر إعادة اعتقالهم عند حدوث أية اضطرابات بالبلاد، وهم المعروفون بأصحاب السوابق، وبناء على تلك القاعدة، أقام الطغاة جميع تصرفاتهم مع الشعب.

نحن الآن ما نزال بين أيديهم، وما عليهم إلا أن يعيدوا التحقيق معنا وبأساليب أخرى، لعلهم يعثرون على جديد، وبالطبع لن يكون التحقيق هذه المرة بنفس أسلوب المرة الأولى، قد يكون أكثر معقولية ورحمة.

أحضر لنا الزبانية عدة أوراق، تتضمن عدداً من الأسئلة للإجابة عليها، وتتعلق بأسباب الاعتقال، مثل : ما هي الأسباب التي أدت لتوقيفك؟ (إذ الكلمة المستعملة بدل الاعتقال هي التوقيف) ومتى وأين وكيف أوقفت؟ من هم الأشخاص الذين كانوا معك بنفس القضية؟ متى ذهبت للسجن؟ وكيف قضيت هذه الفترة هناك؟ ماذا تنوي أن تعمل بعد إخلاء سبيلك؟

والمجموعة الثانية من الأسئلة تتضمن المعلومات الذاتية المتعلقة بالشخص، مثل: الاسم والعنوان والمهنة ومحل وتاريخ الولادة، مع استمارة بجميع أسماء الأقارب حتى الدرجة الثالثة، مع عناوينهم وأعمالهم وانتماءاتهم السياسية.. إلخ..

بدأت بالإجابة على الأسئلة، ولكني توقفت عند السؤال الأول، فأنا لا أعرف

بالضبط لماذا تم اعتقالي؟ وأخيراً كتبت : إن فلاناً افترى عليّ (الشخص الذي اعتقلت بسبب معرفتي به) وكذلك كتبت اسم ذلك الشخص بأنه كان معي بنفس القضية، لأن المحققين قالوا لي: إنه معتقل، وإنه قد اعترف علي.

أما بقية الأسئلة، فقد أجبت عليها دون صعوبة، وقدمت الأوراق لهم، بعدها جاء دور التحقيق الشفهي، وراح الزبانية يتلون أسماءنا واحداً تلو الآخر، ويدخلوننا إلى غرفة التحقيق، ولم تكن علينا الأصفاد والعصابات ذلك الوقت، وكان يجلس السرجين مقابل المحقق، أمام طاولة المكتب، فينظر المحقق إليه ويسأله حسب قضيته، وربما استرسل بالكلام مع بعضنا، واختصره مع الآخرين، وقد شجّع البعض بكلامه معهم أو ثبط الآخرين مظهراً حقيقته القمعية كرجل مخابرات، وذلك حسب نوعية المعتقل، وفي كل الحالات يحاول التلاعب بـأعصاب المعتقل، فالمسألة هي حرب نفسية بحتة، ومن الذي يدير الحرب النفسية؟ أليست هي أجهزة المخابرات؟

بالنسبة إليّ فقد وجهت لي الأسئلة التالية:

- متى أوقفت؟ أجبته منذ...

- لماذا أوقفت؟ قلت له: لا أعرف، ولكنكم قلتم لي: إن فلاناً قد اعترف عليّ، وأنا لا أعرف ماذا اعترف عليّ.

- من هم الأشخاص الذين أوقفوا معك؟ قلت له: فلان.

فكّر ملياً وقلّب الأوراق الموجودة أمامه، ثم قال: نعم..

- وعاد وسألني: أين هو فلان الآن؟ قلت له: موجود عندكم.

- نظر إليّ بشزر قائلاً: وكيف عرفت ذلك؟

قلت: أنتم قلتم لي ذلك، وأنني قد أوقفت لاعترافه عليّ.

فعاد يقلّب الأوراق أمامه لإيهامي بمعرفتهم لكل شيء، وربما كان لا يعرف القضية أساساً، لعدم مشاركته بالتحقيق، فصوته لم يكن مألوفاً لديّ، أو أن القضية قد صارت من منسياته لتقادمها.

قال لي: طيب هل ذهبت إلى المحكمة؟

قلت: نعم.

قال: وماذا حكمت؟

قلت: لا أعرف.

قال: كيف ذلك؟ قلت: إن القاضي لم يقل شيئاً، بل طلب مني الانصراف فقط.

تأملني ملياً وقال: تفضل. أي اخرج إلى زنزانتك.

وهكذا انتهت المقابلة، وانتهى التحقيق، وكان آخر ما تعرضت له، ولم أعرف تقييمهم للموقف، فهم يريدون مقارنة اعترافاتنا أثناء التحقيق أول مرة، مع اعترافاتنا الآن، لعلهم يعثرون على أي جديد.

لقد بدا على المحقق الغبط والحنق والحيرة، لذلك اختصر الكلام معي كثيراً، وربما شعر أنه لن يستطيع خداعي، فيستفيد مني، بل على العكس فكل كلمة يقولها لي قد تفيدني، وهذه هي عادة ضباط المخابرات، فكل شيء عندهم له حسابه، فإ ذا احتاجوا لرمي الطعم كي يحصلوا على صيد ثمين، فعلوا، وإلا فإنهم لا يرمونه إذا شعروا أن الضحية ستأكله دون الوقوع في الفخ، وهكذا كان تقييمي.. قلت في نفسي (موتوا بغيظكم).

دامت المقابلة عدة دقائق، خرجت بعدها لإخواني أحدثهم بما حصل، وقد سيطرت علي الرهبة، لأن الجلادين ما زالوا عند قناعتهم، ولكنهم لم يستطيعوا استخراج ما عندي، فما الذي يمنعهم من إعادتي للسجن(46).

سألت الله السلامة، وطلبت من إخوتي الدعاء، فطمننى الإخوة قائلين: إن هذا أمر عادي، فأجواء المخابرات كلها إرهاب، هل تنسى أنك أمام أحد الجلادين؟ وهل يستطيع المجرمون تغيير طبيعتهم الإجرامية، هل يصبح الذئب حملاً أو الثعلب غزالاً؟ وهل تصبح الأفاعي والعقارب حمامات مسالمة؟ كلا !... ثم قال لي: ألا تسمع أصوات المعذبين التي لا تنقطع في ليل أو نهار؟ هذه هي طبيعة المجرمين، ولن يغيروا من طبيعتهم مهما حاولوا، فهم يريدون أن يمنّوا علينا بالإفراج، ويريدون إقناعنا بأنهم يفعلون ذلك تكرماً.

وبعد أيام من المقابلة، استدعيت ثانية، وطلب مني التوقيع على ورقة لم أعرف محتواها (وهذه هي عادتهم) وفي اليوم التالي استدعيت لتسلم أغراضي التي سرق بعضها في قسم الأمانات، وتلك هي أمانتهم !! قال لي أحدهم: ندفع لك ثمن الأغراض المفقودة؟ فشكرتهم على أريحيتهم!! فالحرية والخلاص منهم لا يعدلهما شيء.

جاء الحلاق يومها، وحلق لنا جميعاً، لأن حلاقة سجن تدمر تشبه حلاقة الماعز والغنم، وعندها صرنا جاهزين للخروج إلى العالم من جديد.

الخروج من السجن:

وفي المساء، قرأ أحد الجنود أسماءنا، وأخبرنا بإخلاء سبيلنا، قائلاً : اجمعوا أغراضكم لتخرجوا من هنا، فخرجنا إلى غرفة كبيرة خارج السجن، لنجتمع هناك بأهلنا الذين كانوا في انتظارنا، وحضر رئيس الفرع (وهو من الدمى المعروفة ببلدنا، لأنه لا يملك سوى الإجراءات الشكلية) وألقى كلمة تثير السخرية والاشمئزاز والتي اعتدنا سماعها في ظل مناسبة نلتقي فيه بأزلام السلطة، سواء أكانوا ضباط مخابرات أم ضباط شرطة أو غيرهم. الكلمات نفسها يرددها الجميع دائماً، وبعدها خرجنا من الفرع، فكان في انتظارنا جمع كبير من الناس عند الباب، لأن المخابرات أعلموا ذوينا بذلك، فجاءوا لاستقبالنا، وانتشر الخبر بالبلد، فجاء ذوو المعتقلين ينتظرون عند الباب، وسمح لعدد محدد من ذوي المعتقلين المفرج عنهم بالدخول، أما الباقون فظلوا واقفين في الشوارع مدة طويلة، وربما منذ الصباح، ولكن الظالمين خيبوا آمالهم، فكان عددنا لا يستحق الذكر، مقارنة بعدد المعتقلين من أبناء مدينتنا.

ها أنذا أجد نفسي حراً طليقاً أسير في الشارع، لا يستطيع الإنسان وصف مشاعره في تلك اللحظات، فقد اختلطت مشاعر الفرح بالحزن، فأنا فرح بأن الله منَّ عليّ بالحرية بعد سنوات من الأسر، عانينا خلالها ما لا يعلمه إلا الله، ونحتسب ذلك عنده، وبنفس الوقت، أنا متألم على إخواني الذين ما زالوا أسرى بيد عدو لئيم حاقد .. وأما الذين استشهدوا، فقد تخلصوا من ظلم الأرض وجورها، ونحسبهم إن شاء الله

في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولكن، أليس لهم أهل وأولاد واخوة وآباء وأمهات؟ ما حال أولئك المساكين وقد حرموا أبناءهم وهم يجهلون مصيرهم؟ ما ذنبهم أن يعيشوا سنوات عجافاً طويلة ينتظرون وينتظرون، يتجرعون مرارة الأسى، دون نهاية لتلك الأحزان؟ إنها مأساة حقاً .. وراودني شعور بالخوف، فالطغاة لا أمان لهم، وقد نعاد للسجن بين عشية وضحاها، فالعصابة الحاكمة لم تتغير، والظلم والجور ما زالا قائمين فوق رقاب العباد، ومن يمنعهم من اعتقالنا ثانية؟ (لا أحد إلا الله).

وأعود فأسال نفسي: هل أسمح للظالمين باعتقالي ثانية؟ أما يكفينا ما شاهدناه؟ لقد تعلمت الدرس، وقرأت على جدران السجن مرات ومرات العبارة الآتية : (قد يدخل العاقل السجن مرة، ولكن لا يدخله مرتين).

من السجن الصغير إلى السجن الكبير:

عند باب الفرع ركبنا السيارة التي اتجهت بنا إلى البيت، وكان في انتظاري عدد كبير من أقاربي الذين جاءوا لمعانقتي، والسلام عليّ، فحذرتهم.. مهلاً.. مهلاً .. قالوا لماذا؟ قلت: لا تلمسوني حتى لا تصابوا بالجرب!! ثم تداركت، فلعل بين الحاضرين أحد المخبرين.. تمهل تمهل (قلت في نفسي) لا تتكلم.. ألم تتعلم الدرس؟!

فطلبت منهم إحضار الدواء من الصيدلية المناوبة، وعليّ أن أدخل الحمام لاستبدال ملابسي، ووضعه على الجسم بعد الاستحمام (47)، فاستحممت ثم وضعت الدواء، وخرجت فجلست جانباً وطلبت التعرّف على الحاضرين حتى أطمئن لخلو البيت من المخبرين، فعرفت أن الجميع أقاربي، وأدركت أيضاً أن الزمن قد سبقني كثيراً، وتغيرت الدنيا من خلال فترة غيابي في السجن، إذ مات من مات، وولد آخرون، وتزوج غيرهم وهكذا..

إذن لا وجود للغرباء، الجميع متلهفون ليسمعوا مني، وبادرني بعضهم بالأسئلة عن مجزرة سجن تدمر، وعن التعذيب، والأمراض المنتشرة بين السجناء وعمليات الإعدام وغيرها وغيرها.

وباتت جميع أخبار السجن معروفة للجميع، بسبب أخوتنا الذين أفرج عنهم قبلنا، فقلت لهم: إنكم تعرفون كل شيء، محاولاً التملّص من الإجابة، وأمام إلحاحهم الشديد، أخذت أقصّ عليهم ما حصل معنا، الجميع جلسوا مشدوهين، وكلما تعرضت لإحدى المنعطفات المؤلمة، وما أكثرها (حفلة استقبال، تعذيب، إعدام، موت بعض السجناء تحت التعذيب) رأيت الجميع يدعون إلى الله أن ينتقم من الظالمين، وبعضهم يحوقل ويسترجع، وربما راح بعضهم يبكي . حتى أنهيت كلامي، وجاء دور الأسئلة المحرجة: هل التقيت فلاناً من المعتقلين؟ هل صحيح أن فلاناً قد أعدم؟ ماذا أجيبهم؟ إذا كنت متأكداً أن ذلك المعتقل قد انتقل إلى الدار الآخرة؟ هل ألجأ للفّ والدوران (كما يقال) أم أكون صريحاً أم أتملّص من الإجابة؟ ومن يدري فقد تجر عليّ الإجابة كارثة جديدة؟ صحيح أن الجميع من أقاربي، وأنا مطمئن من هذه الناحية، ولكن من يدري أن الجميع يستطيع حفظ لسانه؟!! وأعود فأتذكر ما تعرضت له قائلاً في نفسي: ألم أتعلم من تجربتي؟ أم تراني أكون ممن قال فيهم الشاعر:

من لم تفده عبر الأيام   كان العمى أولى به من الهدى

صحيح أنني مطمئن للحاضرين، ولكن ألا تقول القاعدة (يؤتى الحذر من مأمنه) إذاً لا ينبغي الاطمئنان، بل يجب الحذر في جميع الأحوال.

رحت أجيب على الأسئلة بحذر، مع شيء من التورية أحياناً، ومع ذلك، فلقد عزمت أن أقول الحقيقة كاملة، عندما تتهيأ لي الظروف المناسبة، كما حصل مع إخواني الذين أخلي سبيلهم قبلي..

طلبت من الحاضرين ألا يحرجونني بالأسئلة، فإن ما شاهدته وما عانيته يفوق الوصف، كما رجوتهم مراعاة ظروفي، وكأنما كانت كلماتي بمثابة ضوء أخضر لجدتي التي كان الجميع يهابون سطوة لسانها (شأن كل العجائز ببلادنا) فراحت تتكلم بقسوة مع الذين وجهوا إليّ الأسئلة، قائلة لهم : هل تريدون أن يعود ثانية للسجن؟ لماذا تسألونه عن زيد وعبيد؟ ما شأننا بهم؟ دعوه، فهذه أمور لا تعنينا.

وبالطبع أنا لا أؤيدها فيما ذهبت إليه، فكل شأن يعنيني، فأنا لست محايداً

بالنسبة لتلك الأمور، ولكني كنت أود الاستفادة مما تعلمته، أي أن أقول ما أريد بقدر وحذر. لقد علمني السجن كيف أتصرف.

وهكذا مرت الأيام الأولى، فالزيارات الكثيرة من الأقارب والمعارف وذوي المعتقلين الذين يريدون معرفة مصير أبنائهم المغيبين في غيا هب السجون منذ سنوات، وكم كنت محرجاً عندما أسأل عن أخ قد استشهد، فماذا أقول لأقاربه؟ خاصة إذا كان بين السائلين والدته أو زوجته؟ هل يمكنني قول الحقيقة فتكون الطامة الكبرى؟! طبعاً لا.. كنت أتلافى الإجابة المباشرة بالتورية، وكأن أقول لهم : لم ألتق به، أو لم يكن معي بالمهجع، ورغم ذلك، كنت أقول الحقيقة، عندما تسمح لي الظروف، كأن ألتقي بأحد أقاربه البعيدين، أو معارفه، أو إذا كان السائل رجلاً.

وهكذا قضيت أسبوعين تقريباً، كنت خلالهما مدللاً محمولاً على الأكف كما يقال، وأجريت خلالها العلاج الطبي لبعض الأذيات التي أصبت بها خلال السجن، وإن كان بعضها قد خلقت آفات دائمة، ولكني والحمد لله ما أزال أتمتع بكامل صحتي وقواي العقلية والآن جاء وقت الجد، وعليّ أن أعود لعلمي ثانية، حتى تسنح لي الفرصة بالخروج من السجن الكبير.

وعندما بدأت بالذهاب للعمل، وممارسة حياتي العادية، شعرت أنني في سجن كبير فعلاً، أكثر الأخوة الذين أعرفهم غابوا، إما داخل السجون، أو استشهدوا، أو فروا خارج البلاد، والذين ما زالوا داخلها قد سيطر على أكثرهم الخوف، فهم يحاولون تجنب الاتصال بي، ولو بطريق الصدفة، وكأنهم لا يعرفونني، فأحسست بالعزلة، فكأنني صرت منبوذاً.

المخبرون يحيطون بي من كل جانب، وهذا ما كشفته بنفسي، وعرفه الآخرون أيضاً، وأعلموني به، حيثما أذهب أعاني من هاجس المخابرات، كلما سمعت ضجيج الأبواب أتذكر ساعة اعتقالي، وهنا أذكر ثلاث حوادث جرت لي في تلك الفترة:

الحادثة الأولى: عندما كنت أسير في أحد الشوارع، توقفت عند بقال من معارفي، سلمت عليه، وسألني بضعة أسئلة، ثم طردني قائلاً : تفضل انصرف من

هنا، كمن يطرد لصاً، فانصرفت دون معرفة السبب، هل خيل له أن أحد المخبرين يلاحقني؟ أم شاهد شخصاً يشكّ أنه من المخبرين؟ أم فكّر ملياً فعرف خطورة الاتصال بي؟ أم أسباب أخرى؟. ومع ذلك فقد تأثرت كثيراً دون أن أجرؤ على أن أنبس ببنت شفة!!

وحادثة ثانية مشتبهة، جلست عند أحد معارفي في داخل حانوته أحدثه عما حصل معنا، وكان متشوقاً ليسمع مني تلك الأخبار، وبينما هو يحضر لي كوباً من الشاي إذ شاهد فجأة أحد الأشخاص يقترب من محله، فطلب مني الخ روج والانصراف بسرعة، فسألته عن السبب، قال لي : إن ذلك الشخص من المخابرات، أرجوك ألا تؤذيني، وأي أذية تلك!! فخرجت من محله وابتعدت.

الحادثة الثالثة: عدت مساءً إلى البيت ذات يوم قافلاً من السوق في حاجة لي، فإذا بي بسيارة السجن المخصصة لنقل السجناء تقف عند مدخل الشارع الذي أسكن فيه، وعلى بعد 30 متراً من بيتنا، قلت في نفسي : أنا المطلوب، لقد جاءت هذه السيارة إلى هنا لاعتقالي، فابتعدت عن البيت، ورحت أراقبها حتى غادر جميع أفراد الدورية المنطقة، وانصرفوا **(صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون)** فدعوت الله أن يصرفهم عني، فلا أراهم بعد اليوم.

وأما عن المخبرين الذين كانوا يتعمدون مقابلتي، والحديث معي، وخاصة بمكان العمل، فحدّث عن ذلك ولا حرج، فلا يكاد يمر يوم واحد دون مقابلة أحدهم، وكل شخص منهم يأتي إلي يحدثني بقصة جديدة .. فهذا يدعي أنه كان بالسجن الفلاني بتهمة كذا وكذا، وأنه قضى هناك عدة أشهر.. وادعى بعضهم أنه قضى بالسجن خمس سنوات، وذاك كان نزيل سجن تدمر في الزنزانة رقم كذا، وآخر كذا وكذا، وبالطبع فقد أصبحت ألاعيب القوم وتمثيلياتهم مكشوفة لي، بل إنني صرت خبيراً بها، فكنت أستمع لأولئك الناس، وأشاركهم الحديث، حتى لا يفهموا أني كشفت أمرهم، وكنت أحترس في الكلام، فلا أتكلم أية كلمة يمكن أن تكون ممسكاً علي.

وصار عليّ أن أحترس بتعاملي مع الناس، وأن أجامل أولئك الأوباش، لئلا

يستاء مني أحدهم، فيكتب ضدي تقريراً كاذباً يقودني إلى السجن ثانية، فهم ينتظرون أن يسمعوا مني كلمة، لأنهم حساسو ن جداً، إذ يكفي أن يذكر اسمي عندهم، ليأمروا باعتقالي، لذلك كنت أدعو الله أن أكون من المنسيين عندهم.

شعرت خلال الشهور الأولى من خروجي أنني أعيش سجناً كبيراً، فعلي أن أزن كل كلمة أو حركة أو سكنة، يضاف إلى ذلك، الهاجس الذي أعاني منه، لكن ذلك لم يمنعني من مزاولة أمور حياتي المعتادة، وزيارة أكثر أقاربي، وبعض معارفي، ناقلاً لهم ما رأيته وعانيته داخل السجن، كما أعلمتهم ما أعرفه عن مصير بعض المعتقلين، ورغم ذلك، فقد كنت مقتنعاً أن ذلك ليس كافياً، فقد أصبحتُ ورقة محترقة، لا أستطيع فعل شيء ذي بال، لخدمة الرسالة التي نذرت نفسي لها، فما الحل؟

لقد نصحني أكثر الذين التقي بهم بمغادرة البلاد، بل وأوضح لي بعضهم طريق الخروج منها، فلا أمان لي بعد اليوم.

لقد تعرفت خلال فترة اعتقالي على العديد ممن أخلي سبيلهم، ثم أعيد اعتقالهم، كما أن الخروج من البلاد قد يتيح للإنسان ظروفاً أفضل، والله تعالى يقول : **(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيرة وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً)** وهكذا أعانني الله على الخروج من السجن الكبير، لأستنشق نسمات الحرية، ونجوت من القوم الكافرين، لقد قالها أحد الأخوة عندما قابلني بعد الإفراج عني، وعندها شعرت أن نجاتي ما زالت منقوصة، فما أزال بين أيديهم، وباستطاعتهم اعتقالي متى شاءوا، أما الآن، فلا سلطان لهم عليّ فالحمد لله الذي نجاني منهم، والحمد لله على نعمة الحرية. **(ربِّ بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين).**

انتهى.

الملاحق

الملحق الأول نص القانون 49 مع محضر اجتماع مجلس المهرجين لاقراره، من كتاب قانون العار 49- طبع دار النذير

أقر مجلس الشعب القانون التالي :

المادة 1- يعتبر مجرما ويعاقب بالإعدام كل منتسب لتنظيم الأخوان المسلمين.

المادة 2-

أ-يعفى من العقوبة الواردة في هذا القانون أو أي قانون آخر، كل منتسب إلى هذه الجماعة، إذا أعلن انسحابه منها خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون.

ب- يتم إعلان الانسحاب بموجب تصريح خطي يقدم شخصيا إلى المحافظ أو السفير لمن هم خارج القطر بتاريخ صدور هذا القانون.

المادة 3- تخفض عقوبة الجرائم الجنائية التي ارتكبها المنتسب إلى تنظيم جماعة الأخوان المسلمين، قبل نفاذ هذا القانون تحقيقا لأهداف هذه الجماعة، إذا سلم نفسه

خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون لمن هم داخل القطر وخلال شهرين لمن هم خارجه وفقا لما يلي :

أ – إذا كان الفعل يوجب الإعدام أو الأشغال المؤبدة أو الاعتقال المؤبد، كانت العقوبة الأشغال الشاقة خمس سنوات على الأكثر.

ب – إذا كان الفعل يؤلف إحدى الجنايات الأخرى كانت العقوبة الحبس من سنة إلى ثلاث سنوات .

المادة 4– يعفى من عقوبة الجرائم الجنوحية المرتكبة قبل نفاذ هذا القانون، تحقيقا لأهداف تنظيم جماعة الأخوان المسلمين كل منتسب إلى هذه الجماعة إذا سلم نفسه خلال شهر واحد من تاريخ هذا القانون لمن هم داخل القطر وخلال شهرين لمن هم خارجه.

المادة 5– لا يستفيد من التخفيض والعفو الواردين في هذا القانون الذين هم قيد التوقيف أو المحاكمة .

المادة 6– ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ صدوره .

رئيس مجلس الشعب

محمود حديد

نص المناقشات التي تمت داخل مجلس الشعب حول القانون (العار)/49/

مجلس الشعب

الدورة العادية التاسعة

الجلسة العشرون

المنعقدة في الساعة السادسة والدقيقة العشرين من مساء يوم الاثنين السابع عشر من شعبان /1400/ والثلاثين من حزيران/1980/

مذكرات مجلس الشعب

أولا: افتتاح الجلسة :

في الساعة السادسة والدقيقة العشرين من مساء يوم الاثنين السابع عشر من شعبان /1400/ والثلاثين من حزيران 1980، اجتمع مجلس الشعب علنا برئاسة رئيسه السيد محمود حديد وعضوية أميني السر السيدين سعيد سليمان وتوفيق النقري وحضور أكثرية الأعضاء .

السلطة التنفيذية :

وقد حضر الجلسة السيد وليد حمدون نائب رئيس مجلس الوزراء لشؤون الخدمات، والسيد عبد القادر قدورة نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية والسادة : أحمد اسكندر أحمد وزير الإعلام، اللواء ناصر الدين ناصر وزير الداخلية، الدكتور المهندس أحمد عمر يوسف وزير الكهرباء، محمد نجيب السيد أحمد وزير التربية، عبد الكريم عدي وزير شؤون رئاسة الجمهورية، الدكتور أحمد درقاوي وزير التعليم العالي، محرم طيارة وزير النقل، الدكتور سليم ياسين وزير الدولة لشؤون التخطيط، الدكتور محمد الأطرش وزير الاقتصاد والتجارة الداخلية، نايف طعاني وزير دولة لشؤون مجلس الشعب، الدكتور عبد الجبار ضحاك وزير النفط والثروة المعدنية .

ثانيا: تلاوة أسماء الغائبين والمجازين :

الغائبون السادة :

أحمد عيد الأحمد، اسماعيل اليوسفي، جمعة عبدون، جميل الأسد، حامد حسن رجب، رشيد عيسى، رضا أصفهاني، سعيد السلمان، ضياء الحاج علي، محمد نور عبد المجيد التجار، عبود جدعان ، عصمت غباري، محمد حمدي عرب، محمد هشام، محمد عبد الله العلي، محمد العمادي، مصطفى العايد، نزيه السعيد، نور الدين خضور سيفو، مصطفى الحاج موسى .

المجازون السادة:

البير عبد الله، جمال عبد الله، محمود السعدي، محمود ملوك، موريس صليبي، عبد الرزاق هويدي، علي تلجبيني، فيصل سماق، محمود الجمعة، محمد خربوطلي، حسن ظافر خير الله، محمد فندي أبازيد، خليل محمود خليل، عبده هدلة وزير دولة، فاروق الشرع وزير دولة للشؤون الخارجية، خالد المالكي وزير العدل، المهندس رأفت الكردي وزير المواصلات، الدكتور غضوب الرفاعي وزير الصحة.

الرئيس:

لحضور الأكثرية أعلن افتتاح الجلسة ويتلو أمين السر أسماء الغائبين والمجازين .

مشروع قانون محال من السيد رئيس الجمهورية بتشديد عقوبة الانتساب إلى جماعة الأخوان المسلمين وتخفيض عقوبة من يسلم نفسه من هؤلاء.

السيد رئيس مجلس الشعب

نحيل إليكم مشروع القانون المتضمن تشديد عقوبة الانتساب إلى جماعة الأخوان المسلمين، وتخفيض عقوبة من يسلم نفسه من هؤلاء لعرضه على المجلس .

دمشق في 1400/8/16 هـ و1980/6/29 م .

رئيس الجمهورية

حافظ الأسد

مشروع القانون

المادة 1- يعتبر مجرما ويعاقب بالإعدام كل منتسب لتنظيم الأخوان المسلمين.

المادة 2

أ-يعفى من العقوبة الواردة في هذا القانون أو أي قانون آخر، كل منتسب إلى هذه الجماعة، إذا أعلن انسحابه منها خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون.

ب- يتم إعلان الانسحاب بموجب تصريح خطي يقدم شخصيا إلى المحافظ أو السفير لمن هم خارج القطر بتاريخ صدور هذا القانون.

المادة 3- تخفض عقوبة الجرائم الجنائية التي ارتكبها المنتسب إلى تنظيم جماعة الأخوان المسلمين، قبل نفاذ هذا القانون تحقيقا لأهداف هذه الجماعة، إذا سلم نفسه خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون لمن هم داخل القطر وخلال شهرين لمن هم خارجه وفقا لما يلي :

أ-إذا كان الفعل يوجب الإعدام أو الأشغال المؤبدة أو الاعتقال المؤبد، كانت العقوبة الأشغال الشاقة خمس سنوات على الأكثر.

ب-إذا كان الفعل يؤلف إحدى الجنايات الأخرى كانت العقوبة الحبس من سنة إلى ثلاث سنوات .

المادة 4- يعفى من عقوبة الجرائم الجنوحية المرتكبة قبل نفاذ هذا القانون، تحقيقا لأهداف تنظيم جماعة الأخوان المسلمين كل منتسب إلى هذه الجماعة إذا سلم نفسه

خلال شهر واحد من تاريخ هذا القانون لمن هم داخل القطر وخلال شهرين لمن هم خارجه.

المادة 5- لا يستفيد من التخفيض والعفو الواردين في هذا القانون الذين هم قيد التوقيف أو المحاكمة .

المادة 6- ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ صدوره .

الرئيس : يحال هذا المشروع بقانون إلى لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية، ولدي اقتراح من السيد غازي خضرة يقول فيه : أرجو استعجال النظر في مشروع القانون الخاص بعصابة الأخوان المسلمين. والكلمة للسيد عبد الله موصلي .

السيد عبد الله موصلي : إن طلب استعجال النظر لهذا المشروع هو في غير محله وذلك للأسباب التي سأبينها : لقد نص النظام الداخلي على أنه يجوز للسلطة التنفيذية أو لأي عضو كان أن يطلب استعجال النظر في أي موضوع يراه مستعجلا، فيحال إلى اللجان المختصة وعلى هذه اللجان أن تبت في هذا الموضوع خلال خمسة أيام، فكما تعلمون سيدي الرئيس فان دورتنا الحالية تنتهي في منتصف هذا الليل أي بعد خمس ساعات ونصف، فكيف يحق للجنة أن تتريث وتنظر في هذا الموضوع في خمسة أيام، هذا من جهة كما يجب أن تقوم اللجنة الدستورية أولا البحث في دستورية أو عدم دستورية هذا المشروع فيحال إلى المجلس وتجري المناقشة بشأنه فإما أن يقر دستوريا أو يرفض دستوريا على ضوء الملاحظات التي ستبديها اللجنة، ثم يحال إلى اللجان المختصة لدراسته موضوعيا، وعلى هذه اللجنة كما أسلفت أن تقدم تقريرها خلال مدة خمسة أيام .

سيدي الرئيس: إن جميع الندوات العالمية التي جرت ولاسيما الندوة الأخيرة العربية التي جرت في القاهرة عام 1976 والتي اشتركت فيها سورية قد طلبت جميعها إلغاء عقوبة الإعدام .

سيدي الرئيس: من هذا المنطلق وحيث أن الدستور قد نص على أن السيادة للقانون، فكيف يمكن أن نعطي سيادة لقانون يقر في ظرف خمس ساعات؟ إن الموضوع خطير جدا أطلب من الأخوة الأعضاء عدم الموافقة على الاستعجال فيه وأن يبحث عن ترو وبإمعان لمعرفة الأسباب الاجتماعية والسياسية والإنسانية والنفسية لإقرار مثل هذه العقوبة، وانسجاما مع المبادئ الأساسية التي حافظت عليها عشرين سنة وأنا في هذه المجالس التشريعية وذلك للحفاظ على النظام والدستور، وسوف أعلن أمام الجميع بأنني لن أحضر جلسة اللجنة الدستورية التي أنا عضو فيها كما أنني لا أناقش في هذا المشروع حال إقرار استعجال النظر فيه وشكرا.

الرئيس: هل من ملاحظة على استعجال جواز النظر؟ (سكوت) إذن الموافقون على استعجال النظر يشيرون برفع الأيدي (رفعت الأيدي) أكثرية، وأدعو لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية للاجتماع فوراً الآن .

الكلمة للسيد هشام الساطي:

السيد هشام الساطي:

أرجو أن يذكر عدد الحضور والعدد الذي صوت مع المشروع تمشيا مع ما قاله الزميل موصلي في الحفاظ على النظام الداخلي ولمعرفة الأكثرية وشكرا.

الرئيس: مرة ثانية، الموافقون على استعجال جواز النظر يشيرون برفع الأيدي (رفعت الأيدي) أرجو من العضو الأستاذ هشام أن يعد معنا وهل هناك أكثرية أم لا..

السيد هشام الساطي: أرجو إعلان العدد الذي افتتحت به الجلسة والعدد المطلوب للتصويت الآن وأن يعلن العدد الذي صوت لكي يكون سجلا في تاريخ هذا المجلس.

الرئيس: إن عدد الحضور هو /130/ عضوا وأرجو الآن من السادة المراقبين عد أصوات الموافقين على الاقتراح باستعجال جواز ا لنظر بمشروع القانون كما أرجو من الأخوة رفع أيديهم لفترة قصيرة لأن المسألة دقيقة جدا (وهنا بدأ أمناء السر بعد أصوات الموافقين على استعجال النظر).

الرئيس: إن العدد المطلوب هو /66/ وعدد المصوتين الآن /68/عضوا، وأدعو لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية إلى الاجتماع الآن فورا على أن نتابع نحن جدول أعمالنا، والكلمة للسيد وحيد مصطفى.

السيد وحيد مصطفى: قبل أن ننتقل لمتابعة جدول الأعمال وبعد أن صوت المجلس على استعجال النظر هذا أريد أن أسأل: هل هذا القانون سيحل المشكلة في بلدنا؟

الرئيس: عندما نبدأ بمناقشة المشروع يمكن أن تسأل هذا السؤال والكلمة للسيد هشام الساطي.

السيد هشام الساطي: أرى أن ترفع الجلسة حتى عودة اللجنة وحتى يكون لأعضائها نصيب في المساهمة بالتقارير الواردة ومناقشتها.

الرئيس: لا بأس عندنا أكثرية، ويتلو أمين السر التقرير الأول.

مجلس الشعب

الدورة الاستثنائية الخامسة

الجلسة الثانية

المنعقدة في الساعة السادسة والدقيقة العشرين من مساء يوم الأحد الثالث والعشرين من شعبان 1400هـ والسادس من تموز 1980 م .

أولا : افتتاح الجلسة:

في الساعة السادسة والدقيقة العشرين من مساء الأحد الثالث والعشرين من شعبان 1400 والسادس من تموز 1980 اجتمع مجلس الشعب علنا برئاسة رئيسه السيد محمود حديد وعضوية أميني السر السيدين توفيق النقري ووفيق عرنوس بالإنابة، وحضور أكثرية الأعضاء.

السلطة التنفيذية :

وقد حضر الجلسة الوزراء السادة : نايف طعاني وزير دولة لشؤون مجلس الشعب، المهندس رأفت الكردي وزير المواصلات.

الرئيس : لحضور الأكثرية أعلن افتتاح الجلسة ويتلو السيد أمين السر أسماء الغائبين والمجازين .

ثانيا: تلاوة أسماء الغائبين والمجازين:

الغائبون السادة:

أحمد دشو، حسان جمعة، رئيس فرحان الفياض، رشيد عيسى، شعبان شاهين، ضياء الحاج علي، طريف كيالي، عبد العزيز الملحم، عصمت غباري، علي تلجبيني، فيصل النجرس، ثابت المهايني، محمد حمدي عرب، محمد شيخ اسماعيل، محمد ظافر خير الله، محمد علي الحلبي، محمد العمادي، محمد هشام سيفو، مصطفى العايد.

المجازون السادة :

عبد المعين الفطراوي، محمد ميهوب، نصر اليوسف.

الرئيس: وردني تقرير لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية في مشروع القانون المتضمن تشديد عقوبة الانتساب إلى جماعة الأخوان المسلمين، الموافقون على إدراجه في جدول أعمال هذه الجلسة يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) أكثرية، ويتلو أمين السر هذا التقرير.

السيد رئيس مجلس الشعب

عقدت لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية اجتماعا في الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد 1980/7/6 برئاسة رئيسها الدكتور فؤاد ديب وعضوية مقررها السيد علي ملحم وحضور الأعضاء السادة:

اسماعيل اليوسفي، اسماعيل عبد الغني، البير عبد الله، عبد الله الموصلي، بوغوص سراج، جمعة عبدون، سعيد سليمان، الدكتور عارف حمدان، نجم الدين الصالح ، هادي أقبيق، مقطع طويسان، شفيق وهدان، حمدي المحمود.وغياب بقية الأعضاء.

بحثت اللجنة بحضور السيدين وزير العدل والداخلية من الناحية الدستورية في مشروع القانون المتضمن تشديد عقوبة الانتساب إلى جماعة ا لأخوان المسلمين، وتخفيض عقوبة من يسلم نفسه من هؤلاء.

وبعد الاطلاع على مشروع القانون وأسبابه الموجبة وعلى قرار المجلس الكريم باستعجال النظر في جواز النظر فيه وعلى مضمون مواده مادة مادة . وبعد إجابة السادة الوزراء على كافة تساؤلات السادة الأعضاء قررت اللجنة بـالأكثرية جواز النظر فيه لعدم مخالفته لأحكام الدستور.

في حين رأت الأقلية أن المادة (5) من المشروع تخالف المادة (30) من الدستور التي تقول بعدم رجعية القوانين في الأمور الجزائية.

واللجنة إذ ترفع تقريرها لمقامكم ترجو عرضه على المجلس الكريم للموافقة على رأيها، ودمتم باحترام.

مقرر اللجنة	رئيس اللجنة
علي ملحم	**الدكتور فؤاد ديب**

الرئيس: سمعتم التقرير وهو مطروح للمناقشة العامة (سكوت) الموافقون عليه يشيرون برفع اليد(رفعت الأيدي) أكثرية. قُبل ويحال إلى لجنتي الشؤون الدستورية والتشريعية والأمن القومي مجتمعين، وقبل أن ترفع الجلسة أدعو لجنتي الشؤون الدستورية والتشريعية والأمن القومي للاجتماع الآن كما أذكر الأخوة الأعضاء باجتماعات اللجان ليوم غد الاثنين حسب الجدول المعلن بانتهاء جدول أعمالنا أرفع الجلسة إلى السادسة من مساء غد الاثنين السابع من تموز 1980 وشكرا.

مجلس الشعب

الدورة الاستثنائية الخامسة

الجلسة الثالثة

المنعقدة في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة من مساء يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان 1400هـ والسابع من تموز 1980 م .

أولا : افتتاح الجلسة:

في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة من م ساء الاثنين الرابع والعشرين من شعبان 1400 والسابع من تموز 1980 اجتمع مجلس الشعب علنا برئاسة رئيسه السيد محمود حديد وعضوية أميني السر السيدين سعيد سليمان وتوفيق النقري وحضور أكثرية الأعضاء.

السلطة التنفيذية :

حضر الجلسة رئيس مجلس الوزراء الدكتور المهندس مح مد عبد الرؤوف الكسم، والسيد عبد القادر قدورة نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية.

والوزراء السادة :

أحمد اسكندر أحمد وزير الإعلام، اللواء ناصر الدين ناصر وزير الداخلية، محمد غباش وزير التموين والتجارة الداخلية، محمد نجيب السيد أحمد وزير التربية، الدكتور أسعد درقاوي وزير التعليم العالي، يوسف جعيداني وزير الشؤون الاجتماعية والعمل، نايف طعاني وزير دولة لشؤون مجلس الشعب، عبد الجبار الضحاك وزير النفط والثروة المعدنية، فاروق الشرع وزير دولة للشؤون الخارجية، الدكتور المهندس نورس الدقر وزير الإسكان والمرافق، ميخائيل نقول وزير دولة، المهندس رأفت الكردي وزير المواصلات، أحمد سليم درويش وزير دولة، نايف جربوع وزير الأشغال العامة والثروة المائية،الدكتور جورج رضوان وزير السياحة.

الرئيس : لحضور الأكثرية أعلن افتتاح الجلسة، ويتلو أمين السر أسماء الغائبين والمجازين.

ثانيا: تلاوة أسماء الغائبين والمجازين:

الغائبون السادة:

إبراهيم حيدر، أسعد حرب، حسان جمعة، رئيس فرحان الفياض، رشيد عيسى، شعبان شاهين، ضياء الحاج علي، طريف الكيالي، عبد العزيز الملحم، عبود حداد، عبد المجيد الزعيم، عصمت غباري، علي تلجبيني، محمد أبو النور طيارة ، محمد ثابت المهايني، محمد حمدي عرب، محمد ظافر خير الله، محمد العمادي، محمد مراد، محمد هشام سيفو، مصطفى شاكوش، مصطفى العايد.

المجازون السادة:

إبراهيم بكاري، عبد المعين فطراوي، محمد ميهوب، نصر اليوسف، مروان حموي.

الرئيس: والآن يتلو عليكم أمين السر خلاصة أعمال الجلسة السابقة.

5-تقرير لجنتي الأمن القومي والشؤون الدستورية والتشريعية حول مشروع القانون المتضمن تشديد عقوبة الانتساب إلى جماعة الأخوان المسلمين وتخفيض عقوبة من يسلم نفسه من هؤلاء.

السيد رئيس مجلس الشعب

عقدت لجنتا الأمن القومي والشؤون الدستورية والتشر يعية اجتماعا مشتركا في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد الواقع في 1980/7/6 برئاسة السيد عبد الرزاق أيوب رئيس لجنة الأمن القومي وعضوية المقرر المنتدب السيد جمعة عبدون وحضور الأعضاء السادة:

حسين أبو عمشة، محمد حسن لطوف، جمال عبد الدين، عبد الوهاب الحسن، محمود ناصيف، محمد زاهد استانبولي،محمد حاج أيوب، محمود ملوك، زويع الناصر، جميل الأسد، محمود عجيل، يحيى عرنوس، فؤاد ديب، بوغوص سراج، مقطع

طويسان،اسماعيل عبد الغني، حمدي المحمود، شفيق وهدان، عارف حمدان، نجم الدين الصالح، إسماعيل اليوسفي. وغياب بقية الأعضاء

بحثت اللجنة المشتركة بحضور السيد وزير العدل في مشروع القانون المتضمن عقوبة الانتساب إلى جماعة الأخوان المسلمين، وتخفيض عقوبة من يسلم نفسه من هؤلاء.

وبعد الاطلاع على مشروع القانون وقرار المجلس الكريم بالموافقة على جواز النظر فيه استمعت اللجنة المشتركة إلى الإيضاحات التي قدمها السيد الوزير موضحا أن هذا المشروع يهدف إلى الرغبة في ترك فرصة أخيرة أمام من تورط في تنظيم جماعة الأخوان المسلمين إذا أعلن انسحابه منها خلال شهر من تاريخ نفاذ هذا القانون وتخفيض عقوبته أو الإعفاء منها.

وبنتيجة المناقشة المستفيضة بين السيد الوزير والسادة الأعضاء تبين لهم أن الهدف من هذا المشروع هو الميل إلى الرأفة بالمغرر بهم وبخاصة من الذين هم دون سن الرشد وكذلك الذين ندموا على القيام بالأعمال التي تهدد الوحدة الوطنية لقطرنا الذي واجه التحديات المصيرية والذي يقف بصلابة في وجه الهجمة الإمبريالية والصهيونية التي تهدف إلى النيل من مقدسات شعبنا وأمتنا قررت اللجنة الموافقة على مشروع القانون معدلا على الشكل المرفق:

واللجنة إذ ترفع تقريرها لمقامكم ترجو عرضه على المجلس الكريم للموافقة على رأيها مع وافر الاحترام.

المقرر المنتدب	**رئيس اللجنة المشتركة**
جمعة عبدون	**عبد الرزاق أيوب**

الرئيس : سمعتم التقرير وهو مطروح للمناقشة العامة. والكلمة للسيد محمود كللو.

السيد محمود كللو: سيدي الرئيس. السادة الزملاء.

أرجو أن تسمحوا لي بأن أضع أمام مجلسكم الموقر بعض النقاط:
1-مما لاشك فيه أن القطر العربي السوري يحتل موقع خط المواجهة الأول ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية، وهذا الموقف مستوحى من ضمير الأمة العربية والتي حمل حزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة الرفيق القائد حافظ الأسد راضيا عبء النضال والتصدي لكل من يحاول مس القضايا العربية تصريحا أو تلميحا.

وفي الوقت الحاضر الذي نشهد فيه سقوط العديد من الأنظمة في المنطقة في مستنقع المخططات الإمبريالية نشهد تصعيد الهجمة الشرسة من جهات مختلفة ومتعددة الأطراف ضد قطرنا، وهذا لم يزد قطرنا العربي السوري إلا إيمانا بمصلحة جماهير الأمة العربية وقضاياها المصيرية.

2- لقد مارست الإمبريالية والصهيونية ومن يسير بفلكها في الوطن العربي وسائل مختلفة ومتعددة للنيل من صمود وشموخ هذا القطر، ولما شعرت باليأس ينتابها لعبت بورقتها الأخيرة فزجت باحتياطها وأدواتها المأجورة المتمثلة بالرجعية وعصابة الأخوان المسلمين، وراحت الإمبريالية وعملاؤها يغدقون بالعطاء على عصابة الأخوان المسلمين التي أخذت على عاتقها تنفيذ مخططات أسيادها.

لهذا كان من العدل والإنصاف وانسجاما مع كل القيم الدينية والقومية والوطنية والأخلاقية وحفاظا على أمن المواطنين أن ينال عقوبة الموت كل من يقدم أو يصمم أو يخطط لقتل الأبرياء. ولما ثبت بما لا يدع مجالا للشك ضلوع تنظيم جماعة الأخوان المسلمين بالمؤامرة التي تستهدف كل القيم والمثل فقد بات من الضروري إصدار نص تشريعي من مجلسكم الموقر يقضي بإنزال عقوبة الإعدام على كل منتسب لهذه الجماعة لاقتلاع كل الأعشاب الطفيلية الضارة واجتثاث كل البذور الفاسدة من أرضنا الخيرة المعطاء.

إن القيادة التي تسعى لإزالة الخلل الاستراتيجي الذي أحدثه انتقال السادات من الخندق العربي إلى الخندق المعادي وهي بهذا تهيئ كل أسباب القوة ، لهي رحيمة حريصة

على ألا يؤخذ مواطن قام بعمل مشوب بعيب من عيوب الإرادة كالتغرير ونقصان الأهلية، ففسحت له المجال ليراجع نفسه ويعود مواطنا شريفا يأخذ دوره في بناء الوطن فيتخلص من وخزات الضمير وينقذ نفسه من شرور وآثام ورطة وقع فيها نتيجة تغرير أو تزيين.

أيها السادة : من أجدر منا نحن ممثلي الشعب من أن نفسح المجال أمام أولئك الذين جنحوا إلى الجريمة ليعودوا إلى رشدهم وصوابهم فينظفوا أنفسهم ويبدلوا وجهتهم من طريق الأجرام إلى طريق الخير وحب الوطن، أرجو الزملاء أعضاء مجلس الشعب الموافقة على مشروع القانون كما ورد من اللجنة وشكرا لإصغائكم.

الرئيس : الكلمة الآن للسيد جمال عبد الدين.

السيد جمال عبد الدين : السيد الرئيس. السادة الزملاء، إنني مع تقرير اللجنة ومشروع القانون وانطلاقا من مسئوليتنا وحرصنا الأكيد على الوقوف في وجه الهجمة الاستعمارية الشرسة التي يتعرض لها قطرنا المناضل فإنني أعلن تأييدي المطلق لهذه الخطوة الجريئة المتمثلة بمشروع القانون الذي نحن بصدده.

سيدي الرئيس، السادة الزملاء:

إنني أعلن أنا وزملائي النواب ممثلي العمال في هذا المجلس تأييدي وتأييد زملائي النواب العمال لمشروع القانون هذا الهادف إلى بتر جذور الخيانة والتخريب من قطرنا وأهيب بكم جميعا إعلان تأييدكم على بقاء قطرنا صخرة صامدة تتكسر عليها حراب الاستعمار والصهيونية والرجعية، وحرصا على وحدتنا الوطنية المتماسكة التي يبذل الأعداء كل جهودهم من أجل تفتيتها والعبث بها ومن أجل متابعة مسيرة الكفاح والتحرير تحت قيادة الرفيق المناضل حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية وشكرا لإصغائكم.

الرئيس : الكلمة الآن للسيد وحيد مصطفى.

السيد وحيد مصطفى: سيدي الرئيس، السادة الزملاء.

بديهي أن شعبنا يجابه في هذه الفترة حالة خطيرة ودقيقة بسبب الهجمة الإمبريالية الأمريكية الصهيونية والرجعية التي تتعرض لها بلادنا لتمرير صفقة كامب ديفيد وإخضاعنا للهيمنة الاستعمارية الأمريكية.

ونحن واثقون بأن شعبنا سيحبط حتما هذه الهجمة العدوانية الشرسة. ومجلسنا الكريم يقف اليوم ليعطي رأيه في تدبير ملموس تقترحه الحكومة من أجل مجابهة النشاط المعادي الذي تقوم به الرجعية الداخلية وقوتها الصدامية حزب الأخوان المسلمين.

واضح لنا - نحن الشيوعيين- أن هذا الحزب الذي يسمي نفسه جماعة الأخوان المسلمين ، يقف تاريخيا في موقف العداء للمصالح الوطنية العليا وللتقدم الاجتماعي وللاشتراكية . ويذكر الجميع أننا خضنا جنبا إلى جنب مع سائر القوى الوطنية والتقدمية معارك سياسية معروفة ضد نشاط هذا الحزب . ومن هنا فمن المشروع جدا ومن الضروري أن يبحث شعبنا وقواه الوطنية والتقدمية والسلطة السياسية ومجلس الشعب التدابير اللازمة لوضع حد لجرائم هذا التنظيم والقوى الرجعية التي تقف وراءه.

إننا نقف إلى جانب تدبير جدي يحقق هذا الهدف ومن أجل ذلك نعطي رأينا في مشروع القانون المقترح منطلقين من شعور عال بالمسؤولية تجاه شعبنا ووطننا.

1 - في نص المشروع والأسباب الموجبة نحن نرى بأن يميز القانون بين المنتسب غير المرتكب فيخفف عليه العقوبات وبين المرتكب للجريمة الذي يمكن تشديد العقوبات بحقه.

وأن تكون المحاكم المدنية هي الجهة التي تتولى ذلك وأن تجري للمرتكبين محاكمات علنية لأنها هي التي تقنع الجماهير وتثقفها وتعبئها ضد المجرمين، كما أنها تعطي قوة لبلادنا أمام الرأي العام العربي والعالمي.

ونتساءل : أليس الأفضل الاعتماد على القوانين العادية النافذة؟.

أما إذا كان المقصود بالمشروع فتح المجال للتراجع أمام المضللين والمغرر بهم ولمن يرغبون في التبرؤ والتحرر من النهج الإجرامي الذي يقوم به هذا التنظيم، في هذه

الحالة، ليكون من الأفضل أن يأخذ المشروع منحى آخر يوضح ويؤكد الضمانات لهؤلاء ويشجعهم على التخلص من عار الجريمة.

لماذا يستثني المشروع الموقوفين ومن هم قيد المحاكمة من إمكانية العفو وتخفيض الحكم ويسد بذلك الباب أمام من يريد التراجع منهم، وبذلك يعطل كل المفعول الإيجابي الذي يمكن أن توحي به النصوص الأخرى للعفو عن المتراجعين.

ويثير التساؤل النص الوارد في الأسباب الموجبة الذي يشير إلى ضلوع الأخوان المسلمين في تنفيذ مخططات أعداء الأمة العربية دون أن يحدد النص الإمبريالية والصهيونية والرجعية الذين هم تحديدا أعداء الأمة العربية . فمثل هذا النص العام يمكن أن يطلق في أي بلد عربي آخر بما فيها تلك البلاد التي تسود ها أنظمة رجعية معروفة.

أيها الزملاء، نحن أمام مشروع قانون لا يعالج جريمة عادية وإنما نهجا إجراميا تخريبيا واسع النطاق، يشكل جزءا أساسيا من مخطط سياسي إمبريالي صهيوني رجعي. ومكافحة مثل هذا المخطط يتطلب معالجة جذرية للعوامل والأسباب التي يستفيد منها العدو لتنفيذ جرائمه وخدمة مخططه.

ومن هنا ألا يجدر بنا أن نتوقف قليلا لمعرفة العوامل الأخرى التي ساعدت على توسيع النشاط الإجرامي التخريبي للجريمة التي دفعت عددا من الطلبة والشباب والمثقفين للتورط في الأعمال الإجرامية والتخريبية التي تقوم بها الرجعية السوداء؟.

لقد توسعت في السنوات الماضية الأرضية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للرجعية في البلاد، وآن الأوان لضرب هذه الأرضية ولسحب البساط من تحت أقدامها، وشكل النمو الهائل للرأسمالية الطفيلية وانتشار نفوذها بما في ذلك داخل السلطة، واحتلال عدد من ممثليها مقاليد هامة اقتصادية وإدارية في حياة البلاد، شكل مناخا مواتيا للنشاط المعادي الذي تقوم به الرجعية، فمن المعروف أن نمو البرجوازية الطفيلية والبيروقراطية جرى ويجري على حساب قوت الشعب وميزانية الدولة

والاقتصاد الوطني وتعمل البرجوازية الطفيلية والبيروقراطية لتحويل القطاع الع ام بل والاقتصاد الوطني إلى بقرة حلوب لمصالحها الطبقة الرجعية الجشعة.

وقد آن الأوان لوضع حد لجشع هذه الفئات الطبقية الرجعية كذلك وتحرير الاقتصاد الوطني والجماهير الشعبية من تسلطها واستغلالها.

وقد استفادت الرجعية كثيرا في نشر أضاليلها من التضييقات التي كانت تمارس ضد الشيوعيين والتقدميين في المؤسسات والمدارس وبعض الجوانب من الحياة العامة، بينما ظلت الرجعية طوال سنوات تسرح وتمرح وتنشر أضاليلها في أوساط من الطلبة والشباب والمثقفين.

وأصبح الآن من التدابير الضرورية إزالة هذه المؤسسات والأساليب ووقف كل شكل من أشكال التضييق على الوطنيين التقدميين وإشاعة الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية. ومنظماتها وأحزابها الوطنية والتقدمية.

وفي هذا المجال أيضا نرى من الضروري أن تميز مؤسسات السلطة شكل دقيق وحازم بين النشاط المعادي للنظام الذي تقوم به الرجعية وقوتها الصدامية . وبين الآراء الانتقادية والمطلبية التي تصدر من أوساط الجماهير الشعبية أو من القوى الوطنية المعادية للإمبريالية والصهيونية والرجعية . ومن المفيد أن يستمع المسؤولون بانتباه وبصدر رحب إلى هذه الآراء الانتقادية والمطلبية التي تصدر من أوساط الجماهير الشعبية أومن القوى الوطنية المعادية للإمبريالية والصهيونية والرجعية . ومن المفيد أن يستمع المسؤولون بانتباه وبصدر رحب إلى هذه الآراء وأن يتوجهوا نحو القوى والشخصيات الوطنية بروح إيجابية أخوية بناءة ويتحاوروا معهم للوصول إلى مواقف مشتركة رغم اختلاف وجهات النظر في عدد من القضايا حاليا.

السيد الرئيس.. السادة الزملاء:

إن حصر المعالجة للوضع الخطير الذي نجابهه بالتدابير القمعية المشددة وحدها، دون اتخاذ تدابير اقتصادية واجتماعية وسياسية لمصلحة الجماهير الشعبية والتقدم الاجتماعي، هو توجه وحيد الجانب ولا يحقق الهدف المطلوب في نشر الأ من

والاستقرار في البلاد، بل ويمكن أن يؤدي مثل هذا التوجه إلى نتائج سلبية تضر بمصالح الشعب والوطن.

وإذا كان المقصود من إصدار هذا القانون هو القيام بخطوة حاسمة لوضع حد لعمليات الإجرام والتخريب وجو الإرهاب الذي بدأ يتوسع ولإعادة الاطمئنان والاستقرار إلى المواطنين، فهذا أمر إيجابي وينبغي أن تعبر نصوص القانون عن هذه الروح، كما أن ذلك يتطلب أيضا حسب اعتقادنا أن يسبق القانون أو يترافق معه جملة من التدابير الضرورية المتكاملة التي تؤدي إلى وضع حد للغلاء وارتفاع الأسعار وأزمة السكن وغيرها من المشاكل التي تكوي بنارها الجماهير يوميا ونشر الحريات الديمقراطية للعمال والفلاحين والمثقفين ومنظماتهم النقابية وأحزابهم وقواهم الوطنية والتقدمية، وإشاعة الحوار الديمقراطي الأخوي بين كافة القوى والشخصيات الوطنية والتقدمية وإطلاق سراح الموقوفين السياسيين الوطنيين أو إحالتهم إلى محا كم عادلة، وتحقيق المساواة والعدالة للمواطنين، وإزالة مظاهر التمييز بينهم وكذلك مظاهر الفساد والرشوة في دوائر الدولة .

إن بلادنا وشعبنا لهما موقف تاريخي محدد إلى جانب الحرية والديمقراطية وضد أنظمة الإرهاب والديكتاتورية، وهو موقف معروف عربيا ودوليا، وطالما أعطى لسورية مكانة محترمة بين البلدان ولدى الشعوب، ومن المفيد والضروري أن نظهر جميعا أقصى درجات الحرص على التقاليد والمفاهيم المرتبطة بهذا الموقف المشرف وأن تعزز مكانة بلادنا إلى جانب قوى الحرية والديمقراطية في العالم وشكرا.

الرئيس: الكلمة الآن للسيد تحسين الصفدي.

السيد تحسين الصفدي: سيادة الرئيس، السادة الزملاء:

لا يوجد إنسان على وجه الأرض يقر بالجريمة أو يوافق عليها أو ينفذها، لأن مجرد حمله كلمة إنسان أصبح مكلفا شاء أم أبى أن يحافظ على أخيه الإنسان ويرعى ذمته وعهده . إذن نحن جميعا ضد كل الجرائم التي ترتكب في هذا الوطن خاصة وفي العالم أجمع.

نحن مع كل القوانين التي من شأنها الحفاظ على هذا الوطن والحفاظ على هذا الشعب الكريم وكرامته ودينه وجميع معتقداته.

من هذا المنطلق أتأمل هذا القانون الذي هو مطروح أمامنا وأتساءل : هل هذا سيكون الحد الفاصل لما يحصل، هل نستطيع أن نرضي ضميرنا ولا نظلم أحدا عند تطبيق هذا القانون أو نقضي على ما يحدث، هل السادة الذي سيطبقون هذا القانون معصومون عن الأخطاء ؟.

وأضرب مثلا:

أحد أفراد الشعب دعا صديقه لقضاء بعض السهرات لديه وهو يعلم أن ذاك الصديق له صلة بالإخوان ولا علم له بماذا يبحث فلبى الدعوة عدة مرات ولم يبحث شيء أمامه إلا استعراض ما يحدث أو ما يرى.

وفجأة قبض على بعض من كان يجتمع وله بعض المواقف المناوئة لهذا العهد وبعد التحقيق سئل عن الاجتماعات التي كان يحضرها ومن كان يحضر وبعد الضغط أفاد بأسماء جميع من كان يحضر الاجتماعات وأفاد بأنهم جميعا من الأخوان وطبعا يلقى القبض على جميع من كان يحضر الاجتماعات فكيف يستطيع هذا البريء والمغرر به أن يثبت بأنه ليس من الأخوان؟.

وهل ستطبق عليه مادة الإعدام؟.

" دخل جحا مرة بيته مسرعا وقال لزوجته أغلقي الباب دوني، ولما استفسرت عن السبب قال : انهم يمسكون بالحمير، فقالت زوجته: ولكنك لست حمارا فلماذا الخوف؟ فقال لها: حتى يتبين لهم أني لست حمارا سيسلخ جلدي".

سيدي الرئيس، السادة الأعضاء:

أنتم أمام قانون غير كل القوانين فأناشدكم الله وأناشد ضميركم بأن تناقشوا كل مادة مناقشة حكيمة مخلصة لوجه الله وأن تعطوها حقها من الدراسة الكاملة وليعلم كل منكم بأنه المسؤول أمام الله عن كل حرف وكل كلمة تقرونها وتوضع موقع التطبيق

فلا يوافق أحدكم على شيء إلا بعد قناعته التامة بأنه أرضى الله وأرضى ضميره وهو راض عنها.

كما أناشد جميع العلماء والمفكرين والعاملين في حقل السياسة والوجهاء ورجال الفعاليات الفكرية والاقتصادية ورجال الأحياء ليعاهدوا الله على السعي للوصول للطريق السليم ومناقشة الوضع الحاضر وتشخيص المرض الذي نحن فيه وإيجاد الدواء بالحكمة المخلصة. إن شعبنا طيب مؤمن لذلك عندما نجد من يستطيع دراسة أوضاعه وإيجاد الحل لها والسير جم يعا لخدمة هذا الوطن والحفاظ على ترابه الغالي والحفاظ على دم الأبرياء والحد من الفوضى والسعي لتطبيق سيادة القانون على الجميع. فأنا مقتنع كل القناعة عندما نتعاهد جميعا للوقوف صفا واحدا ضد عدو يريد بنا شرا وعندما يأخذ كل فرد ممن ذكرتهم دوره في المعالجة والإصلاح لا من الزاوية التي ينظر إليها حسب رأيه فقط، بل من كل الزوايا التي تخص هذا الوطن عند ذلك سنرى بأن الشعب كله مواطن واحد مخلص يضحي بكل غال ورخيص في سبيل وطنه وأمته.

إذن المسؤولية لحماية هذا الوطن والوقوف في وجه كل من يريد الأذى له هي أمانة بعنق كل من يستطيع المساهمة ولو بكلمة طيبة في سبيل تحقيق الوحدة الوطنية وصياغة الحقوق لكافة أفراد الشعب والوقوف صفا واحدا متراصا في وجه كل أعداء هذا الوطن وشكرا لإصغائكم.

الرئيس: الكلمة الآن للسيد محمد جمعة تفتنازي.

السيد محمد جمعة تفتنازي: إن عقوبة الإعدام في رأيي تكون لمجرم أقدم على قتل عالم أو طبيب أو عسكري ناجح أو أي مواطن وهي أقل بقليل مما يستحق هذا المجرم. في كل بلدان العالم يحافظون على علمائهم وعلى خبراتهم وعلى مواطنيهم، ونحن في بلدنا ومنذ أكثر من خمس سنوات ونحن نعاني من عمليات إرهابية مجرمة تقوم بها عصابات ما يسمى بالإخوان المسلمين، لم يتعود هذا البلد على مثل هذه العمليات الجرمية إذ لهذه العمليات خلفيات تهدد وحدتنا الوطنية وتستهدف فئة محددة

من مواطنينا وكان الاستعمار وراء التخطيط لها بغية تفتيت هذا الشعب، الشعب الذي أحب حافظ الأسد، الشعب الذي أحب الحركة التصحيحية الشعب الذي استقبل حافظ الأسد وحمله وصحبه على الراحات ليس لأنه رئيس الجمهورية، فقد توالى على هذا القطر عدد كبير من رؤساء الجمهوريات ولم يلاقوا ما لاقاه حافظ الأسد بل لأنه رئيس أحب الشعب فأحبه شعبه واحترم المواطن علنا وصان له كرامته وحريته كما جاء في الدستور، فبادله المواطن هذا الحب بحب وهذا التقدير بالتقدير،لقد أرادت الإمبريالية والصهيونية ومن وراءها تفتيت هذا الحب وإبعاد هذا القائد عن شعبه فلجئوا إلى المضللين من عملائهم وأوكلوا لهم مهمات غايتها تفتيت وحدتنا الوطنية وتفتيت هذا القطر، نحن كل ما نرجوه بأن لا يستغرب أحد ورود عقوبة الإعدام في هذا القانون لأنها وردت في مجال قوانين سبق وأن أقرت في هذا المجلس فالمجرمون يجب أن يعدموا، ولكن المجرمون فقط، ويجب أن نسلك طريق تحديد المجرمين ومن هم المجرمون فنقدم على إعدامهم ويجب أن نتثبت من صحة ما يقال عنهم، أي أنهم منتسبون إلى تنظيم الأخوان المسلمين، وحتى لا يدخل في عداد هذه الجماعة أبرياء بسبب وشاية من واش، وكل ما نرجوه أن تلجأ الحكومة عند التطبيق إلى أسلوب التدقيق في معرفة هوية المنتسبين إلى الأخوان المسلمين، لأنه كما نرى ومن خلال عمليات عصبية سقط بعض الأبرياء، لذلك نرجو أن نكون جميعا مع مشروع هذا القانون وأن نلفت نظر وزارة العدل وكل الحكومة والقيادة السياسية إلى ضرورة الحرص على التدقيق في معرفة هوية الأخوان المسلمين وشكرا.

الرئيس: هل من متكلم آخر (سكوت) الموافقون على الانتقال لمناقشة مواد المشروع مادة مادة يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) أكثرية، ويتلو عليكم أمين السر المادة الأولى.

المادة 1- يعتبر مجرما ويعاقب بالإعدام كل منتسب لتنظيم جماعة الأخوان المسلمين.

الرئيس: سمعتم المادة هل لأحد من ملاحظات عليها (سكوت) الموافقون عليها يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) أكثرية، قُبلت.

المادة 2

أ–يعفى من العقوبة الواردة في هذا القانون أو أي قانون آخر، كل منتسب إلى هذه الجماعة، إذا أعلن انسحابه منها خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون.

ب– يتم إعلان الانسحاب بموجب تصريح خطي يقدم شخصيا إلى المحافظ أو السفير لمن هم خارج القطر بتاريخ صدور هذا القانون.

الرئيس: سمعتم المادة هل لأحد من رأي فيها (سكوت) الموافقون عليها يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) أكثرية، قُبلت.

المادة 3– تخفض عقوبة الجرائم الجنائية التي ارتكبها المنتسب إلى تنظيم جماعة الأخوان المسلمين، قبل نفاذ هذا القانون تحقيقا لأهداف هذه الجماعة، إذا سلم نفسه خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون لمن هم داخل القطر وخلال شهرين لمن هم خارجه وفقا لما يأتي :

أ– إذا كان الفعل يوجب الإعدام أو الأشغال المؤبدة أو الاعتقال المؤبد، كانت العقوبة الأشغال الشاقة خمس سنوات على الأكثر.

ب– إذا كان الفعل يؤلف إحدى الجنايات الأخرى كانت العقوبة الحبس من سنة إلى ثلاث سنوات .

الرئيس: سمعتم المادة فهل من ملاحظة بشأنها (سكوت) الموافقون عليها يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) أكثرية، قُبلت.

المادة 4– يعفى من عقوبة الجرائم الجنوحية المرتكبة قبل نفاذ هذا القانون، تحقي قا لأهداف تنظيم جماعة الأخوان المسلمين، كل منتسب إلى هذه الجماعة إذا سلم نفسه خلال شهر واحد من تاريخ هذا القانون لمن هم داخل القطر وخلال شهرين لمن هم خارجه.

الرئيس: سمعتم المادة فهل من رأي حولها (سكوت) الموافقون عليها يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) أكثرية، قُبلت.

المادة 5- لا يستفيد من التخفيض والعفو الواردين في هذا القانون الذين هم قيد التوقيف أو المحاكمة .

الرئيس سمعتم المادة؟ الكلمة للسيد نجم الدين الصالح.

السيد نجم الدين الصالح: أحب أن أسأل الحكومة عن هؤلاء الموقوفين، فهل تطبق عليهم أحكام هذا القانون أم أحكام القوانين السابقة لهذا القانون وشكرا.

الرئيس: الكلمة للسيد وزير الداخلية.

وزير الداخلية اللواء ناصر الدين ناصر : السيد الرئيس تطبق القوانين السابقة النافذة وشكرا.

الرئيس: هل من ملاحظة أخرى (سكوت) الموافقون على المادة الخامسة يشيرون برفع اليد(رفعت الأيدي) أكثرية. قُبلت . وننتقل إلى المادة السادسة يتلوها أمين السر.

المادة 6- ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ صدوره .

الرئيس: هل من ملاحظة على مادة النشر؟ (سكوت) الموافقون عليها يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) أكثرية، قُبلت. والآن الموافقون على مجمل مواد مشروع القانون... وردني اقتراح من السيد جميل الأسد يقول بإضافة مادة إلى القانون تنص على مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة لكل منتسب لحزب الأخوان المسلمين. نحن نعاقب المجرمين ولا نعاقب أولادهم . والآن الموافقون على مجمل مواد مشروع القانون يشيرون برفع اليد(رفعت الأيدي) أكثرية. قُبل المشروع وأصبح قانونا.

الرئيس: الكلمة للسيد مقرر اللجنة.

مقرر اللجنة السيد جمعة عبدون : السيد الرئيس أخذت المادة الخامسة منا دراسة في اللجنة الدستورية، وكانت هناك تساؤلات حول شبهة هذه المادة، وكنت أحد الذين تحفظ على هذا النص، ومن مجمل ما تحدث به السيد وزير الداخلية والسيد وزير العدل أن القانون قد استهدف حوارا مفتوحا لكل الناس المضللين وأعطاهم فرصة للرجوع عن غيهم وذلك بمنحهم العفو أو التخفيض . وقد وجدت أن هذا العفو

والتخفيض هو أشمل مما ورد في هذا القانون العام بنص المادة رقم /243/ من قانون العقوبات العام، كما أنني أجد أيضا أن نص القانون العام فيما يتعلق بالأسباب المخففة التقديرية والأعذار القانونية ينطبق أيضا على هذا القانون الخاص، لأن نص المادة/243/ تخفض عقوبة الإعدام حتى /12/سنة، أما فيما يتعلق بمن هو قيد التوقيف أو المحاكمة وكذلك التساؤل الذي أثاره نجم الدين الصالح أو غيره من الزملاء فقد وجد بنص المادة التاسعة من قانون العقوبات العام التي تفيد في فقرته الأولى بما يلي: كل قانون جديد يقضي بعقوبات أشد لا يطبق على الجرائم المقترفة قبل نفاذه. أي أن القانون الأرحم هو الذي يطبق وبالتالي فان هذا النص دستوري، والقوانين النافذة قبل ارتكاب الجريمة هي التي ستطبق. هذا ما أردت توضيحه وشكرا لإصغائكم.

إحداث المحاكم الميدانية

المرسوم التشريعي رقم /109/

تاريخ 1968/8/17

رئيس الدولة

بناء على أحكام القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي رقم 2 تاريخ 1966/2/25 وعلى قرار مجلس الوزراء رقم 109 تاريخ 1968/8/14

يرسم ما يلي

مادة 1- تحدث محكمة أو أكثر تسمى محكمة الميدان العسكرية.

تتولى هذه المحكمة النظر في الجرائم الداخلة في اختصاص المحاكم العسكرية، والمرتكبة زمن الحرب أو خلال العمليات الحربية التي يقرر وزير الدفاع إحالتها إليها.

يسري اختصاص هذه المحكمة اعتبارا من 1967/6/5.

مادة 2- يقصد في هذا المرسوم التشريعي ما يلي:

أ – زمن الحرب: هو المدة التي تقع فيها اشتباكات مسلحة بين الجمهورية العربية السورية وبين العدو ويحدد بدؤها وانتهائها بمرسوم.

ب –العمليات الحربية : الأعمال والحركات التي يقوم بها الجيش أو بعض وحداته في الحرب أو عند وقوع اصطدام مسلح مع العدو .

مادة 3– تؤلف المحكمة بقرار من وزير الدفاع من رئيس وعضوين. ولا تقل رتبة الرئيس عن رائد كما لا تقل رتبة كل من العضوين عن نقيب ، ولا يجوز محاكمة أحد ضباط القوات المسلحة أمام محكمة يكون رئيسها أدنى منه رتبة.

مادة 4–

أ – يقوم بوظائف النيابة العامة لدى المحكمة قاض أو أكثر من النيابة العامة العسكرية تجري تسميتهم بقرار من وزير الدفاع.

ب –تتمتع النيابة العامة لدى المحكمة بجميع السلطات والصلاحيات الممنوحة للنائب العام وقاضي التحقيق العسكريين .

ت –تصدر قرارات النيابة العامة قطعية لا تقبل أي طريق من طرق الطعن.

مادة 5– يجوز للمحكمة أن تتقيد بالأصول والإجراءات المنصوص عليها في التشريعات النافذة .

مادة 6– تطبق المحكمة العقوبات المقررة قانونا ولا تقبل الأحكام التي تصدرها أي طريق من طرق الطعن.

مادة رقم7– لا تنفذ أحكام محكمة الميدان العسكرية إلا بعد التصديق عليها من السلطة المختصة، وتنفذ وفقا للتشريعات المرعية.

مادة 8–

أ – تخضع أحكام الإعدام لتصديق رئيس الدولة، أما باقي الأحكام فيجري تصديقها من وزير الدفاع.

ب –لرئيس الدولة ووزير الدفاع كل بحسب اختصاصه أن يخفف العقوبة أو يستبدل بها عقوبة أخرى، أو يلغيها كلها مع حفظ الدعوى. ويكون لحفظ الدعوى مفعول

العفو العام كما يجوز له أن يأمر بإعادة المحاكمة أمام محكمة ميدان عسكرية أخرى، ويجب أن يصدر القرار في هذه الحالة معللا، فإذا صدر الحكم في المحاكمة الثانية بالبراءة وجب التصديق عليه في جميع الأحوال، وينفذ فورا.

ت -لوزير الدفاع ضمن اختصاصه أن يوقف تنفيذ العقوبة المقضي بها، وفي هذه الحالة تطبق قواعد وقف تنفيذ الأحكام المنصوص عليها في قانون العقوبات العام.

ث -لرئيس الدولة أو وزير الدفاع كل بحسب اختصاصه بعد التصديق على الأحكام بالإدانة أن يمارس الصلاحيات المنصوص عليها في الفقرتين السابقتين.

مادة9- ينشر هذا المرسوم التشريعي في الجريدة الرسمية .

دمشق في 1388/5/23و 1968/8/17

رئيس الدولة

الدكتور نور الدين الأتاسي

الملحق الثاني بعض مجرمي مجزرة تدمر

مع

اعترافات بعضهم من كتاب تدمر المجزرة المستمرة – طبع دار النذير.

أ-بعض مجرمي مجزرة تدمر من المخططين والمنفذين وكلهم من طائفة واحدة هي الطائفة (العلوية).

1- المجرم حافظ أسد - رئيس الدولة .
2- المجرم رفعت أسد - قائد سرايا الدفاع .
3- المجرم المقدم فيصل غانم- مدير سجن تدمر.
4- المجرم المقدم علي ديب- قائد اللواء 138 من سرايا الدفاع - محافظة اللاذقية.
5- المجرم الرائد معين ناصيف- قائد اللواء 40 من سرايا الدفاع.
6- المجرم المقدم سليمان مصطفى- قائد أركان اللواء 138 من سرايا الدفاع- محافظة اللاذقية.
7- المجرم الملازم أول ياسر باكير - من اللواء 40 من سرايا الدفاع- محافظة حماة.
8- المجرم الملازم منير درويش- من اللواء 40 من سرايا الدفاع - محافظة اللاذقية .
9- المجرم الملازم رئيف عبد الله - من اللواء 40 من سرايا الدفاع- محافظة اللاذقية.
10 - المجرم الرقيب محمد عمار- من حراسة منزل م عين ناصيف- محافظة اللاذقية.
11 - المجرم الرقيب علي موسى- من اللواء 40 من سرايا الدفاع- محافظة حمص.
12 - المجرم الرقيب همام أحمد - من اللواء 40 من سرايا الدفاع- جبلة.
13 - المجرم الرقيب نزيه بلول - من اللواء 40 من سرايا الدفاع- محافظة حمص.

14 – المجرم الرقيب طلال محي الدين أحمد– من اللواء 40 من سرايا الدفاع – محافظة اللاذقية.

15 – المجرم الرقيب عيسى ابراهيم الفياض– من حراسة منزل معين ناصيف– محافظة اللاذقية.

16 – المجرم الرقيب بدر منصور– من اللواء 40 من سرايا الدفاع– منطقة جبلة.

17 – المجرم العريف أكرم بيشاني– من حراسة منزل معين ناصيف– محافظة طرطوس.

18 – المجرم العريف ابراهيم يونس– من اللواء 40 من سرايا الدفاع– محافظة حمص.

19 – المجرم العريف ابراهيم مكنا– من اللواء 40 من سرايا الدفاع– منطقة جبلة.

20 – المجرم العريف طاهر زباري– من اللواء 40 من سرايا الدفاع– محافظة اللاذقية.

21 – المجرم العريف علي صالحة– من اللواء 40 من سرايا الدفاع– منطقة مصياف.

22 – المجرم العريف عبد الرحمن هدلان– من اللواء 40 من سرايا الدفاع.

23 – المجرم العريف ناصر عبد اللطيف– من اللواء 40 من سرايا الدفاع– محافظة طرطوس.

24 – المجرم العريف غسان شحادة– من اللواء 40 من سرايا الدفاع– محافظة اللاذقية.

25 – المجرم العريف حسين عيسى، من اللواء 40 من سرايا الدفاع – محافظة حمص.

26 – المجرم العريف بشير قلو – من اللواء 40 من سرايا الدفاع– محافظة حمص.

المطلوب من المجتمع الدولي معاملة هؤلاء الأشخاص كمجرمين دوليين.

وفيما يلي النص الحرفي لاعتراف بعض المجرمين الذين اشتركوا في مجزرة تدمر الكبرى.

ب-اعترافات المشتركين في مجزرة تدمر

إفادة المجرم عيسى إبراهيم فياض:

س: ممكن تقدم نفسك؟

ج: عيسى إبراهيم حامد فياض، بلدتي قويقة تابعة لمحافظة اللاذقية، تاريخ الولادة 1960. أعزب، علوي، والدي إبراهيم حامد فياض، مزارع، والدتي جميلة صقر مربية بيت، ثقافتي الحادي عشر، درست بالقرية، بقرية قويقة حتى الثالث الإعدادي، والتحقت بقرية عين العروس، مدرسة ثانوية، تابعة لمحافظة اللاذقية.

تركت المدرسة، اشتغلت مع أبي، مزارع عادي لمدة سنة، والتحقت بسرايا الدفاع في 10 /3 /1979 وأنا الآن رقيب بسرايا الدفاع رقمي 956982.

س: سيد عيسى وضّح لنا خدمتك العسكرية بشيء من التفصيل.

ج: التحقت بسرايا الدفاع بمعسكر اسمه القابون / كدورة أغرار ظلت دورة الأغرار شي 45 يوم والتحقت بدورة ثانية بنفس المعسكر دورة صاعقة استمرت حوالي ثلاثة أشهر وأكثر وانتقلنا من معسكر القابون لمعسكر يعقوب الواقع في دمشق، كدورة قتال عادي للكتيبة لدورة يعني كتيبة مشاة هنيك تدربنا على السلاح على بارودة كلاشن، رشاش، قاذف قنابل، رمي قنابل، وتدريبات عادية ككل التدريبات . أي كتيبة مشاة استمرت هالدورة حوالي ثلاثة أشهر رجعنا لمعسكر قابون وهنيك عملنا مظلات حوالي 25 يوم لثلاثين يوم بعدها التحقت باللواء أربعين اللي قائده الرائد معين ناصيف زوج بنت العقيد رفعت أسد، (تماضر الأسد) علوي من محافظة اللاذقية واستمريت على هالشي يعني تدريب عادي في الكتيبة 302 بنفس اللواء مشاة حتى تم التحاقي بحراسة منزل الرائد معين ناصيف اللي هو قائد اللو اء، عدد مجموعة

الحراسة كان 25 عنصر مسؤول عنا الرقيب أول صلاح إبراهيم – علوي وهو وجميع عناصر الحراسة علويين.

س: عيسى.. إيش المهمات اللي كلفت فيها أثناء خدمتك بسرايا الدفاع؟

ج: كلفت في مهمتين:

س: إيش المهمة الأولى؟

ج: المهمة الأولى مهمة سجن تدمر في 26 / 6 /1980 تعرض سيادة الرئيس حافظ الأسد لمحاولة اغتيال فجر اليوم الثاني 27 / 6 /1980 فيقونا الساعة الثالثة بالليل الصبح وقالوا لنا: اجتماع في لباس الميدان الكامل مع الأسلحة. واجتمعنا بالساحة وأخذونا إلى سينما في اللواء /40/ وهناك كان منتظرنا الرائد معين ناصيف قائد اللواء ألقى فينا كلمة.. قال هدول العرصات الإخوان المسلمين ما عم بفرقوا بين مسلم علوي ومسلم سني ومسيحي عم بقتلوا في الشعب وامبارح حاولوا اغتيال الرئيس. لذلك اليوم راح تقوموا بهجوم على أكبر وكر لهم وهو سجن تدمر. قال مين ما بده يقاتل؟ ما حدا رفع إيده، الآمر العسكري قال لنا اطلعوا بالسيارات، طلعنا بالسيارات مجموعة قدرها 82 واحد تقريباً ووصلنا لمطار المزة القديم وكان في انتظارنا مجموعة من اللواء 138 أحد ألوية سرايا الدفاع اللي قائده المقدم علي ديب -علوي- من اللاذقية وكان موجود في انتظارنا عشر طائرات هليكوبتر. طلعنا بالطائرات بقيادة قائد أركان اللواء 138 المقدم سليمان مصطفى -علوي- وكان معنا ضباط الملازم أول ياسر باكير -علوي- من حماة والملازم منير درويش -علوي- والملازم رئيف عبد الله – علوي – يعني الثلاثة هذول من لواء أربعين. طلعنا بالطائرات اتجاه تدمر ووصلنا حوالي الساعة ستة ونصف الصبح بنفس اليوم وهناك نزلنا من الطائرات وفرقونا إلى مجموعتين مجموعة اقتحام ومجموعة ظلت بالمطار. المجموعة اللي راحت على السجن إجت سيارة دوج تراك يعني ونقلتنا للسجن. بالسجن توزعنا لمجموعات حوالي شي ست مجموعات وأكثر يعني كانت مجموعتي أنا حوالي أحد عشر واحد يعني المجموع الكلي اللي تحرك للسجن حوالي ستين واحد

هيك شي مجموعتي كانت بقيادة الملازم منير درويش وفتحوا لنا باب المهجع يعني الباب بتاع المهجع اللي دخلنا حوالي ستة لحد السبعة قتلنا اللي فيه كان مجموع اللي فيه حوالي ستين واحد ..سبعين واحد سمعت أنا أنه فيه قتيل أخذ بارودة من زميلي من السرايا اسمه إسكندر أحمد رقيب رحت أنا لعنده وشفته وإلا واحد بناديلي قلت له شو بدك قال أعطيني مخزن قلت له ليش قال لي في واحد لسه ما مات بدنا نموته قلت له أعطيني بارودتك بما أنا أعطيت بارودتي لزميلي بارودته كانت خرب انه . أخذت بارودته ورشيته يعني كان مجموع اللي رشيتهم حوالي 15 واحد.

ومجموع اللي قتلوا في السجن من الإخوان المسلمين كان حوالي 550 واحد والمجموع اللي قتلوا منا السرايا كان واحد واثنين جرحى طلعنا عاد صار كل واحد منّا يغسل ايديه ورجليه ..في كانوا ملطخين بالدماء وكان معنا الملازم رئيف عبد الله. لمّا طلعنا سألوه للملازم رئيف عبد الله ليش كنت تفرق المساجين هيك كل واحد لوحده. قال امبارح كانوا يقتلوا إخوانا في حلب بكلية المدفعية.

س: كيف كان يفرق بين المساجين؟

ج: يعني اللي ما مات يموته.

س: يتفقد فيهم؟

ج: أ آه، قلت في كمان ضابط أطلق نار على واحد ما قتل قال له تعال نكّفي عليه ما قتلت واحد من عصابة الإخوان المسلمين. فطلعنا بسيارة واحدة ونقلتنا للمطار وكان في انتظارنا المجموعة التي ظلت بالمطار وطيارات الهليكوبتر.

س: كم استغرقت المهمة هذه؟

ج: استغرقت حوالي نص ساعة. كان في دوي قنابل وصيحات الله أكبر وطلعنا بالطائرات واتجهنا باتجاه الشام لمطار المزة القديم ومن هنيك مجموعة اللواء 138 اللي تابعة لسرايا الدفاع طلعت على لوائها ومجموعتنا لواء 40 طلعت على لوائها كان بانتظارنا الرائد معين ناصيف قائد اللواء قال لنا شكرنا على جهودنا و عزانا بوفاة زميلنا وقال لنا كل واحد يلتحق بعمله فالتحقنا بعملنا.

س: أنت بينت لنا إيش كان دورك، ما بينت لنا أدوار زملائك اللي اشتركوا في العملية هذه؟

ج: مثلاً في محمد عمار قتل اللي قتل إسكندر أحمد هذا الرقيب اللي قتل معنا خلصوه البارودة قتلوه وقالوا لي أنه رش كمان في المهجع نفسه. محمد عمار بحراسة منزل الرائد معين ناصيف – علوي– إبراهيم مؤنس – علوي – عريف مجند من منطقة مصياف وكمان قال لي رشيت ما بعرف شو رش بس قال لي انه رشيت.

س: ما حدد عدد معين من اللي رشهم؟

ج: أبداً ما قال لي في إبراهيم مكنا كان مع الملازم رئيف عبد الله . إبراهيم مكنا علوي عريف مجند من منطقة جبلة محافظة اللاذقية كان يفرد مع الملازم رئيف عبد الله المساجين.

س: وين ذكروا لك هذا الشي عن أدوارهم؟

ج: إبراهيم مكنا أنا شفته، شفته مع الملازم رئيف عبد الله في السجن . إبراهيم يونس حكى لي بالسكن. كنت نازل أنا وياه عالبلد حكى لي. محمد عمار قال إنه أنا قتلته.

س: طيب لما رجعتم من السجن جرى أي توجيه لكم أمر؟

ج: الرائد معين قال إنه ما لازم يعني تطلع هالعملية خارج منا يعني لازم تظل مكتومة وسرية.

س: بالنسبة لسجن تدمر كيف كان جو السجن قبل قيامكم بهذه العملية؟

ج– لكان هادئ ما في أصوات ما في شيء بعدين طلعت الأمور مرتبة قبل دخولنا يعني ما حدا اعترضنا بالدخول الشرطة كانت حرس واقفة في جماعة حرس على الباب ورئيس حرس وفي شرطة بالساحة. أخذوا التفقد قبل العملية تفقد للمساجين.

س: تفقد للمساجين؟

ج: قبل بدء العملية.

س: طيب رقيب عيسى بالنسبة لزملائك في سرايا الدفاع في حد منهم كلف في مهمات أخرى؟

ج: والله بعرف بمفرزتي مفرزة الرائد معين ناصيف لحراسة منزله اللي رافقوا السيد عبد الحليم خدام وزير الخارجية. علي موسى رقيب.

س: وين رافقه؟

ج: رافقه على عمان على مؤتمر القمة العربي.. بعرف علي موسى رقيب من حمص علوي بعرف همام أحمد رقيب من منطقة جبلة، بدر منصور رقيب من منطقة جبلة علوي، وعلي صالحة عريف من منطقة مصياف علوي، عبد الرحمن هدلان علوي عريف، نزيه بلول عريف علوي، بشير قلو وعلي موسى شاركوا في عملية تدمر.

س: شاركوا في عملية تدمر ورافقوا السيد عبد الحليم خدام لعمان؟

ج: نعم.. وفي علي صالحة وطاهر زباري راحوا بمهمة سرية لروما وإسبانيا.

إفادة المجرم أكرم بيشاني

س: ممكن تقدم نفسك؟

ج: أنا أكرم علي جميل بيشاني من محافظة طرطوس قرية يحمور مواليد سنة 1962 أعزب شهادتي الصف السادس الابتدائي علوي. اسم والدي علي جميل بيشاني علوي. اسم أمي حليمة يعقوب والاثنين حالياً بقيموا في قرية يحمور.

س: إيش عملك يا أكرم؟

ج: حالياً عريف في سرايا الدفاع.

س: شو خدمتك العسكرية؟

ج: في 23 / 3 / 1979 التحقت في صفوف سرايا الدفاع ونقلت إلى معسكر التدريب وهو معسكر القابون في دمشق. وهناك التحقنا في دورتين الأولى وهي دورة لغة والثانية دورة الصاعقة ومن بعدها نقلت إلى كتيبة مدفعية رقمها 149 من لواء 40 تابع للواء 40 سرايا الدفاع بالضبط هيك في شهر 5 سنة 1980 نقلت ضمن مجموعة الحراسة لمفرزة حراسة بيت الرائد معين ناصيف والمجموعة هاي حوالي 25

عنصر.

س : إيش مركزه الرائد معين ناصيف؟

ج: قائد، هوه معين ناصيف قائد لواء 40 من سرايا الدفاع علوي من قضاء اللاذقية وتزوج ابنة العقيد رفعت الأسد، تماضر الأسد، والعقيد رفعت الأسد شقيق الرئيس حافظ الأسد وقائد سرايا الدفاع.

س: إيش المهمات اللي كلفت للقيام بها أثناء خدمتك في سرايا الدفاع؟

ج: كلفت في مهمتين الأولى هي مهاجمة سجن تدمر والمهمة الثانية في داخل الأردن.

س: إيش المهمة الأولى؟

ج: المهمة الأولى هي مهاجمة سجن تدمر حيث إنه بعد محاولة اغتيال الرئيس حافظ الأسد بالشهر السادس السنة الماضية أيقظونا بعد بيوم يع ني حثونا من المهجع حوالي الساعة الثالثة والنصف صباحاً وقالوا لنا اجتماع بالسينما في قاعة السينما الموجودة في اللواء مع فيه السلاح الميداني الكامل وطلعنا وصلنا على السينما بلشت المجموعات تتوافد اللي قادنا بالسينما كان عدد المجموعة حوالي المجموعة الموجودة في السينما من اللواء 40 حوالي 100 عنصر مع ثلاث ضباط وبعدين اجا قائد اللواء اجتمع فينا وألقى كلمة. بعد الكلمة قال هوه أنه الإخوان المسلمين قتلوا ضباط قتلوا المشايخ قتلوا الأطباء وبالنهاية حاولوا اغتيال الرئيس حافظ الأسد وهلأ بدنا نكلفكوا بأول مهمة قتالية وطلعنا بعدين من اللواء 40 بسيارات وصلتنا إلى مطار المزة. كان موجود هناك بالمطار هناك مجموعة من اللواء 138 يقدر عددها بحوالي 100 عنصر واللواء 138 قائده المقدم علي ديب علوي قضاء اللاذقية.

هناك كمان كان موجود (9) طائرات هليكوبتر، جمعونا هناك على شكل مجموعات وكل مجموعة سلمها ضابط وطلعونا على الطائرات الموجودة هناك وكانت كل طائرة تسع لحوالي 24 عنصر. وطلعنا من مطار المزة كان قائد العملية هناك يعني اللي هو قائد أركانه للمقدم علي ذيب علوي من قضاء اللاذقية بس ما بعرف شو اسمه أقلعنا

إلى مطار تدمر هناك يعني أقلعنا حوالي الساعة الخامسة وصلنا حوالي الساعة السادسة أو السادسة وعشر دقائق. جمعونا هناك وطلب قائد العملية المقدم اجتماع للضباط، جمع الضباط وقال لهم أعطوا العناصر استراحة حوالي ثلاثة أرباع الساعة وبعد الاستراحة ثلاثة أرباع الساعة قسمونا على شكل مجموعات فاللواء 40 كان على شكل ثلاث مجموعات وكل مجموعة استلمها ضابط وأخذوا ينتقوا العناصر اللي بدها تدخل إلى سجن تدمر بشكل عشوائي مثلاً الواحد بيعرف اسمه بيقول له فلان انته تعالى أو ما بيعرف اسمه يأشر له بإيده أنه تعال . انتقوا حوالي 80 عنصر كذلك حوالي كمان انتقوا 20 عنصر لحراسة الطائرات والباقي خلوهم على شكل احتياط في المطار . بعدين توجهت العناصر اللي انتقوهم يطلعوا حوالي 80 عنصر هذا اللي بدهم ينفذوا العملية داخل السجن توجهوا على شكل مجموعات بسيارة نقلتهم إلى داخل السجن بعد ثلاثة أرباع الساعة من دخولهم إلى باب السجن الخارجي بدأنا نسمع صوت إطلاق نار دوي انفجار صوت قنابل، يقدر عدد القنابل بحوالي 7 قنابل تفجرت هناك. ودام إطلاق النار حوالي ثلاثة أرباع الساعة كمان بعد طلع العناصر من السجن مثل ما دخلوا طلعوا على شكل مجموعات.

س: انته كنت مع أي مجموعة؟

ج: أنا كنت مع مجموعة الاحتياط ياللي ظ لت هناك في المطار، بقى لما طلعوا العناصر من السجن كان فيه بعض الناس ملطخين بالدماء، ملطخين ثيابهم بالدماء، بعرف أسماء ياللي تلطخوا ثيابهم بالدماء هوه الملازم رئيف عبد الله، الملازم منير درويش، الرقيب علي محمد موسى وطلعنا كل واحد على الطائرة.

س: من اللواء 40 وإلا؟

ج: لا.. من اللواء 40 هدول، طلعنا بعدين على الطائرات مثل ما اجينا ورجعنا إلى مطار المزة وصلنا إلى مطار المزة حوالي الساعة الثانية عشرة الظهر . كان منصاب معنا واحد والشي اللي خلاني أعرف أنه انصاب معنا واحد فيه الملازم ياسر باكير من اللواء 40 قال وجه كلامه لكافة العناصر أنه قائد اللواء بده يجتمع فينا هلأ في

السينما إذا سأل عن الإنسان ياللي انصاب قولوا له أنه طلقة مرتدة ضربت في الحائط ورجعت عليه بعدين انصاب . قلنا له ماشي الحال . وطلعنا بالسيارات واتجهنا اتجاه اللواء 40 واجتمعنا في قاعة السينما.

س: جميعكو اتجهتوا مع بعض انتو وأفراد اللواء 138 وإلا 40 لوحده؟

ج: اللواء 40 لحاله وهذولاك راحوا على المعسكر تبعهم فاللواء 40 ناس يعني ياللي اشتركوا من اللواء 40 اجتمعوا في السينما واجا قائد اللواء ألقى فيهم كلمة شكر.

س: اللي هوه الرائد معين ناصيف؟

ج: الرائد معين ناصريف ألقى فيهم كلمة شكر بذكر منها أنه : انتو قمتوا هلأ بعمل بطولة بعمل رجولة مع العلم أنه لأول مرة بنكلفكوا بهيك مهمة .. بعدين طلعنا من قاعة السينما وأخذ يعني كل إنسان يتحدث مع زميله فالتقيت أنا مع أحد زملائي هناك وهو الرقيب علي محمد موسى من مفرزة حراسة الرائد معين ناصيف سألته لأنه هو من الجماعة ياللي دخلوا على السجن نفسه انه اشلون هناك تمت العملية .. قال لي إنه قسمونا على شكل مجموعات، وكانت كل مجموعة حوالي 8 عناصر وكل مجموعة تسلمها ضابط كانوا يفوتوا يعني – حسب ما قال لي– كانوا يفوتوا إلى الغرفة ياللي فيها السجناء يفتحوا الباب ويطخوهم مباشرة بدون سؤال بدون أي كلام . فقلت له طيب هذولاك ما كانوا يستنجدوا. قال كانوا يستنجدوا ويقولوا الله أكبر كانوا يقولوا لنا منشان الله.. منشان محمد.. مشان أمك.. مشان أختك ما تقتلنا . قال لي إنه ما كانوا يستمعوا لها لحكي هاي نهائياً.

وطخّوهم بعدين طلعوا قلت له طيب قديش تقدر عدد القتلى ياللي داخل السجن من السجناء. قال لي عدد القتلى يطلعوا 500 أو 600 قتيل من السجناء هذول ياللي في السجن وفي اليوم الثاني وزعوا لكل الناس هاللي اشتركوا لكل الزملاء ياللي اشتركوا بالمهمة كل واحد 200 ليرة سوري.

س: مين تعرف من اللي اشتركوا بهالعملية؟

ج: بعرف العريف ناصر عبد اللطيف من قضاء طرطوس أو اللاذقية ما بعرف

بالضبط علوي بعرف العريف غسان شحادة من قضاء اللاذقية علوي بعرف الرقيب علي محمد موسى من قضاء حمص اللاذقية بعرف العريف طاهر زيادي من قضاء اللاذقية علوي والرقيب طلال محي الدين أحمد علوي من اللاذقية والرقيب نزيه بلول علوي من قضاء حمص والعريف حسين عيسى علوي من قضاء حمص والرقيب همام أحمد علوي من اللاذقية. هذول هنه الناس اللي بعرفهم من اللي اشتركوا.

س: من تعرف من الضباط اللي اشتركوا؟

ج: هم الملازم رئيف عبد الله م ن كتيبة المشاة التابعة للواء 40 سرايا الدفاع قضاء اللاذقية علوي، والملازم منير درويش كمان من كتيبة المشاة تابع للواء 40 سرايا الدفاع قضاء اللاذقية علوي، والملازم أول ياسر باكير من اللواء 40 كمان علوي من قضاء حماة.

س: انته يا أكرم كشاب في بداية شبابك شو اللي ورطك في هيك مهمات وليش اخترت سرايا الدفاع؟

ج: أولاً في أقول أنه الشي اللي خلاني أختار سرايا الدفاع هوه سوء حالتي المادية والرواتب اللي يتقاضاها جنود سرايا الدفاع أعلى من الرواتب في أي قطعة من قطعات الجيش الثانية، حيث إنه جندي في سرايا الدفاع يتقاضى حوالي 1200 ليرة سوري، أما أي جندي في بقية قطعات الجيش يتقاضى حوالي 500 ليرة أو 600 ليرة سوري أما بالنسبة لورطتي في هذه العملية إنه بستطيع أن أقول أنهم استغلوا ظروفي كإنسان حالتي المادية سيئة وأغروني بالفلوس واستغلوا صغر سني كما استغلوا كوني عسكري مأمور وما في أرفض هيك أوامر.

س: بالنسبة للضباط تعرف شي يعني من تميزهم عن الضباط الآخرين يعني ضباط السرايا سرايا الدفاع يتميزوا بشي عن ضباط آخرين في الجيش السوري؟

ج: والله ما بعرف عن الضباط ككل بس بعرف عن الضابط اللي أنا عنده موجود.

س: اللي هوه؟

ج: الرائد معين ناصيف موجود عنده حوالي 8 سيارات يعني.

س: خاصة فيه؟

ج: خاصة فيه، وحالته المادية كويسة يعني.

س: كيف عايش هذا الضابط اللي انته تقوم بحراسته؟

ج: عايش إنسان مرفه يعني بشكل.

من إفادة المجرم طه الخالدي

س: مجزرة تدمر

ج: بسيارة أبو شلحة وخلال رجعتنا للشام دار حديث بين الاثنين هذول اللي جبناهم من الفندق ماجد أبو شلحة ودار حديث بيننا عن الأوضاع الداخلية والمشاكل اللي بسوريا حول قال واحد منهم يمكن اذكر إنه اسمه عبد المنعم قال إنه اشتركت في إحدى المجازر وهي مجزرة تدمر فحدث علي فقال 8 طائرات ركبنا هليكوبتر حملونا فيهم ونزلنا بقرب سجن تدمر ودخلنا على المساجين وقتلناهم كلهم .. روّحناهم كلهم بعد ما قتلوا المساجين سولف عبد المنعم كان أخوه رفيقه هذا أو زميله يآزره في الحكي في الحديث فأسأله قديش كان العدد سأله ماجد أبو شلحة فقال له فوق الـــ 700 قتيل بعد أن اجت تركّات جرافات بسيارات قلاب شالوا الجثث وشالوها إلى وادي شرق تدمر دفنوها هناك ووصلنا الشام.

الهوامش

(1) الغمامة وتسمى بفروع المخابرات الطماشة وهي المستعلمة لتغطية العيون.

(2) كان المجرمون يخافون أن يعرف المعتقلون أسماءهم لذلك طلبوا من زبانيتهم عدم ذكر الأسماء والألقاب والرتب العسكرية للاحتياط.

(**3**) الآدمية: الإنسانية والعقل والمنطق.

(**4**) تصطفل: كلمة عامية تستعمل ببلاد الشام تعني افعل ما تريد. أنت وشأنك، وهذا شأنك.

(**5**) أي عندما كنت خارج السجن قبل الاعتقال.

(**6**) رئيس فرع المخابرات العسكرية بحمص حتى عام 1983 وأصبح رئيساً للمخابرات السور ية في لبنان بعد ذلك.

(**7**) وليس بالضرورة أن يكون مواجهة مسلحة فكلمة الحق في وجوه الطغاة تعتبر من أعظم الجهاد كما ورد في الحديث الشريف.

(**8**) وهذه القاعدة غير صحيحة إذا كان المعتقل شخصية مرموقة بالعمل الإسلامي، عندها يجب الأخذ بالعزائم لأن الترخيص يترتب عليه ضرر معنوي كبير بالدعوة الإسلامية لا مكان لسلامة الفرد ونجاته أمامها، وقد ضرب بعد الدعاة المجاهدين أمثلة يقتدى بها من عصرنا الحاضر كالشهيدين سيد قطب ومروان حديد رحمهما الله، وكذلك الأمر بالنسبة للشيخ أحمد ياسين الذي أصر على الاعتراف بالتهم الموجهة له والتي تعني إصراره على الجهاد لإزالة الكيان اليهودي الدخيل من أرضنا المقدسة لإدراكه التام لما يترتب على الاعتراف بما يرضي قتلة الأنبياء من أضرار.

(**9**) وهكذا قدم القرامطة الجدد خدمة مجانية لأعداء الأمة بقتلهم علماء الأمة.

(**10**) وما لبنان ببعيد.

(**11**) هكذا فعل هولاكو ببغداد.

(**12**) وهكذا نرى أن الخلافات بين أزلام النظام حول أجدى الطرق وأنفعها لبقاء النظام.

(**13**) عقد مؤتمر المذكور في الفترة الواقعة بين 1979/12/22، وحتى 1980/1/6.

(**14**) الحمد لله لقد شاهد رفعت أسد مصير الشيوعية التي ثبت أركانها ستالين ولكن الطغاة لا يتعظون. وصدق الله العظيم حيث يقول واصفاً حالهم: "**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**" (الأعراف: 179). وقال أيضاً: "**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعق لون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**" (الحج: 46).

(**15**) تتعلق شدة الإشاعة بعاملين هما: الأهمية والغموض، وهذان العاملان متوفران فالخبر في غاية الأهمية بل انه يتعلق بقضية مصيرية إضافة للغموض الذي يحيط بالمعتقلين منذ اللحظة الأولى لاعتقالهم كما شرحنا سابقاً.

(**16**) وكنت من الذين اعتبرهم ذووهم في عداد الشهداء لأنني اعتقلت قبل المجزرة.

(**17**) الكتب والمصاحف والراديو موجودة في سجن المزة، لأن المعتقلين هناك من الإسلاميين وغيرهم محكومون في المحاكم الميدانية والاستثنائية، وقد أمضوا سنوات طويلة في هذا السجن، أما في السجون والمعتقلات المخصصة للإسلاميين، فليس فيها كتب ولا أجهزة راديو ولا أقلام ولا دفاتر.

(**18**) الكلمة مأخوذة من الفرنسية.

(**19**) إن معظم مهاجع السجن التي بناها الفرنسيون فيه من آثار الاستعمار الفرنسي البغيض في بلادنا وقد بني فيما بعد المهاجع 32- 33- 34 في الباحة السادسة أما أثناء فترة اعتقالنا فاستحدث الظالمون الباحة السابعة مع مهاجع أخرى، وهكذا ازدهرت عملية بناء السجن في عهد القرامطة الجدد.

(**20**) هكذا يسميها الجلادون وهي مخصصة لتجميع العناصر الذين سيقومون بأعمال الحراسة طو ال النهار.

(**21**) وهو نصراني آشوري من منطقة القامشلي وبذلك تلاقى الحقد النصيري مع اللؤم الصليبي.

(**22**) وظاوظ تعني فراخ الطيور والعصافير الصغيرة.

(**23**) يعني لحذائي تحقيراً.

(**24**) قد يصاب القارئ بالدهشة عندما يقرأ عن أدوات التعذيب إذ لا وجود للكثير منها ولكن السجن المذكور ليس مركزاً للتحقيق وبالتالي يجب ألا توجد به أدوات التعذيب أصلاً.

(**25**) كل إناء بما فيه ينضح.

(**26**) العدد الحقيقي للجيش في تلك الأيام أكثر من أربعمائة ألف يضاف إليه توابع الجيش من مخابرات وشرطة وتدريب جامعي وجيش شعبي وميليشيات حزبية وسرايا دفاع ومعتقلين.. وغيرها.

(**27**) وبعض السجناء كان يحمل إصابات لطلقات نارية حيث التقط من الشوارع بعد المجازر التي ارتكبها المجرمون وأرسل إلى السجن دون معالجة شافية.

(**28**) لم يكن طبيب السجن وقتها من النصيريين.

(**29**) من مدينة دمشق وعائلته مشهورة بالعلم والتقوى، وله كتاب عن التداوي بالعسل كما كتب كتاباً آخر أثناء وجوده بفرع المخابرات العامة بدمشق لكن المجرمين صادروا المخطوط عند دخوله سجن تدمر، أخلي سبيله في نهاية عام 1991 بعد أن قضى قرابة الإثني عشر عاماً بالسجن.

(**30**) أي ما يعادل ثمانية آلاف دولار في ذلك الوقت (بداية عقد الثمانينات).

(**31**) مع 50% من ذوي المعتقلين الذين حصلوا على إذن بالزيارة لأن الباقين يفشلون بمقابلة أبنائهم

للأسباب التي شرحناها.

(**32**) كالأدلة المادية الملموسة.

(**33**) الجهاز القضائي يسمى في كثير من دول العالم: جهاز العدالة ويتبع في وزارة العدل.

(**34**) لقد صرح بعضهم أكثر من مرة بأنه يخجل من نفسه كرجل دولة.

(**35**) حيث يستطيع أي فرع من فروع المخابرات اعتقال أي شخص من المدن الأخرى، وذلك بأن يرسل في طلبه من نفس شعب المخابرات في تلك المحافظة، ليقوموا باعتقاله وإرساله إلى الفرع الذي طلبه.

(**36**) إذ يكفي أن يقول الكاتب للجلادين هذا دكتور دون ذكر تهمته ليشبعوه ضرباً وإهانة.

(**37**) أي سترون العقوبة.

(**38**) وعرفهم المعتقلون من ملابسهم العسكرية المميزة (المموهة).

(**39**) وهي مجموعة من ضباط المخابرات والجيش وسرايا الدفاع.

(**40**) ويجمع المحكومون بالإعدام بزنزانات منفردة قبل تنفيذ الحكم بعدة أيام.

(**41**) ما عدا الذين تمكنوا من الحصول على جوازات بعد دفع رشاوى خيالية.

(**42**) لا مانع من ذلك فقد أثبت تخطيط الدماغ أن الأحلام تستمر فترة قصيرة جداً.

(**43**) وعلى كل أخ قدر الله له النجاة أن يكتب ما يعرفه حتى تكتمل الصورة ويؤرخ لهذه الفترة العصيبة.

(**44**) أي عندك بيت ثمنه خمسة ملايين ليرة وأنت لا تستحقه.

(**45**) في نهاية عام 1991 أخلي سبيل مجموعة كبيرة من المعتقلين بلغ عددهم 2864 شخصاً فكانت أكبر دفعة من المعتقلين يفرج عنها خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخ بلدنا.

(**46**) وقد حصل مع بعض إخواننا الذين أعيدوا للسجن، بل أن أحدهم أعيد بعد أسبوع من إخلاء سبيله، وبعضهم أعيد اعتقاله في نفس اليوم الذي أفرجوا عنه.

(**47**) من عادة بلدنا أن يعالج الصيدلي بخبرته الكثير من الأمراض.

الفهرس

الملحق الأول:

نص القانون 49 مع محضر اجتماع مجلس المهرجين لإقراره.

من كتاب قانون العار 49 طبع دار النذير.

نص المناقشات التي تمت داخل مجلس الشعب.

حول قانون (العار)49

الملحق الثاني :

اعترافات المشتركين في مجزرة تدمر من كتاب تدمر المجزرة المستمرة طبع دار النذير.

الهوامش

الفهرس